القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ
Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

حوار: سلامة الغويل
وزير الاقتصاد الليبي

درعا: مخابرات الأسد
تستهدف المسجد العمري

الملعب الروماني في صور
اللبنانية: معلم وحكايات

الأردن: القصر الملكي
وإعادة برمجة الاتجاه
06

فواز طرابلسي: هبة فلسطين
ومستقبل الصراع
22

هل يستيقظ بيريز
على دمار ريال مدريد؟
41

تونس: بين الانتكاسة وأقنعة الانقلاب

أقدم الرئيس التونسي قيس سعيّد على إساءة تفسير الفصل 80 من الدستور معتبراً أن تأويله للنص يتيح له اتخاذ إجراءات استثنائية قصوى، متجاهلاً اشتراطات عديدة يتوجب أن يلتزم بها الرئيس، مثل إبقاء البرلمان في حال انعقاد والتشاور مع رئيس البرلمان ورئيس الحكومة والعودة إلى المحكمة الدستورية. ومن المفارقات أن هذه المحكمة غير موجودة لأن الرئيس نفسه هم الذي عطل تأسيسها، كما أن البرلمان قيد التجميد ورئيس الحكومة خارج الخدمة بموجب إجراءات سعيّد. وبين انتكاسة التجربة الديمقراطية والانقلاب الذي يرتدي أقنعة عديدة، ثمة الكثير من السيناريوهات التي تنتظر تونس، حافلة بأخطار كثيرة تشكل جميعها مصاعب جديدة تضاف إلى عوائق البلد الاقتصادية والمعيشية والصحية والسياسية.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

بعد ثلاثة أعوام على اتفاق المصالحة في جنوب سوريا

درعا تنتفض مجدداً

درعا البلد أكبر معاقل الثوار في جنوب سوريا والحي المفتاحي، وفي حال السيطرة عليه، يدرك النظام ان السيطرة على الأرياف مسألة وقت، إذ لا يمتلك المقاتلون استعدادا كافياً للمواجهة.

منهل باريش

صورة أرشيفية من قصف النظام لدرعا

وثقت «القدس العربي» أسر ما يزيد عن 175 ضابطا وصف ضابط ومجندا من قوات النظام في جنوب سوريا، يوم الخميس. في حين أفادت مصادر ميدانية في درعا بأن عدد الأسرى تجاوز الـ 200 في عموم المناطق. ولم تتمكن المجموعات الإحصائية والتوثيقية من الحصول على أرقام دقيقة نتيجة تقطع أوصال المناطق وغياب الشبكات الرسمية المعارضة بعد مصالحة درعا في صيف 2018.

وسيطر ثوار الجبهة الجنوبية على أحياء الصحاري، وحي السبيل، والكاشف، وشمال خط وحي المحطة وحي المطار وحي القصور. إلى ذلك بقيت أحياء العباسية، وحي السبيل، ويتراجع النظام إلى حي سجنه والمنشية.

وحاولت الفرقة الرابعة في جيش النظام اقتحام درعا البلد من ثلاثة محاور عدة مرات، لكنها فشلت ولاقت مقاومة عنيفة من أبناء حي درعا البلد.

وشهدت أحياء درعا البلد وطريق السد ومخيم درعا قصفا مكثفا براجمات الصواريخ والمدفعية والدبابات من قبل قوات النظام، تمهيداً لهجوم عسكري على هذه المناطق.

وخسرت الفرقة الرابعة عددا من عناصرها أثناء محاولتها التقدم من محور منطقة القبة شرق درعا البلد، وتصدى أبناء المدينة للقوات المقتحمة، بالتزامن مع استمرار القصف المكثف بقذائف الهاون والدبابات على أحياء المدينة.

وعلمت «القدس العربي» أن الفرقة الرابعة أحضرت شاحنات ضخمة بهدف التعفيش وسرقة الأثاث المنزلي من درعا البلد وهذا ما شاهده أبناء درعا المحطة التي اكتظت شوارعها بتلك الشاحنات.

وأعرب المحامي عدنان المسالمة، عضو اللجنة المركزية عن غضبه من المفاوضات الجارية، وكتب على حسابه الشخصي على موقع «فيسبوك» أن «البلاد لم تعد تتسع لنا ولهم.. كرامة وأمان أو الرحيل».

وعقد ممثلون عن اللجنة المركزية للتفاوض في مدينة درعا وممثلون عن قطاعات شمال وشرق وغرب درعا، اجتماعا في درعا المحطة مع اللجنة الأمنية وممثلين عن ضباط القيادة الروسية في الجنوب.

وعلمت «القدس العربي» أنه مثل لجنة المفاوضين، المحامي عدنان المسالمة وأبو شريف الحامد والعقيد محمد الدهني أبو المنذر، في حين مثل القطاع الغربي، أبو مرشد البردان، ومصعب البردان، وأحمد البقيرات.

وحضر عن القطاع الشمالي، محمد المذيب أبو حسام وجلال الحلقي والدكتور أحمد الحلقي، ومثل القطاع الشرقي، رعد العامر وأبو أحمد الهويدي وأحمد العودة، وفرضت المخابرات العسكرية حضور عماد أبو زريق ومصطفى الكسم، كما حضر ممثلون عن محافظة القنيطرة.

ويوم الخميس، اتفقت اللجنة المركزية المعارضة على التهدئة ووقف القتال، والتزمت المناطق المنتفضة الهدوء، إلا أن الفرقة الرابعة في جيش النظام والتي يقودها اللواء ماهر الأسد، شقيق الرئيس، خرقت الهدنة بشكل متكرر وقصفت الأحياء المدنية بمعدل قذيفة واحدة خلال الساعتين. كما تم الاتفاق على تسليم أسرى المنطقة الغربية مقابل إبقاء السلاح والذخيرة التي سيطر عليها ثوار الريف الغربي.

صباح الجمعة، سلم ثوار الريف الغربي عددا من الأسرى، التزاما بالوعد. في حين بقيت جثة ضابط برتبة رائد في جيش النظام مجهولة المصير، وكان الضابط قتل في مواجهات، الأربعاء، في بلدة النعيمة شرق درعا، وهو ما جعل النظام يتحفظ على جثة المقاتل زيدان بديوي الزعبي، وهو خامس أخوته الذين قتلوا على يد قوات النظام.

وقتل الزعبي مع ثلاثة آخرين، في مواجهات مع الفرقة الرابعة المتمركزة في مديرية الري على طريق اليادودة – المزيريب غرب درعا، أشهرهم قائد لواء الفاروق في جيش المعتز بالله سابقاً، معاذ الزعبي أبو الليث، حيث سقطت قذيفة صاروخية بينهم أدت لمقتلهم على الفور قبل ان يسيطر زملاؤهم على المديرية.

وفي المفاوضات خلال الأيام الأخيرة، نقل علي باش نائب قائد اللواء الثامن الذي يقوده أحمد العودة رسالة روسية للجنة المركزية مفادها ترحيل1 «مطلوبا إلى الشمال، كانت اللجنة والمفاوضون يرفضون تسليمهم قبل 27 تموز (يوليو) الماضي، ويصرون على ترحيلهم إلى الشمال السوري. لكن مع تغير الأوضاع الميدانية في الأيام الأخيرة، رفضت اللجنة الطلب الروسي بترحيلهم إلى الشمال، حسب ما اقترح مندوب اللواء الثامن التابع لروسيا.

وتصر روسيا على خروج مجموعتين عسكريتين من محافظة درعا، تتهمهما بالتبعية إلى جيش «خالد بن الوليد» المبايع لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام سابقا، والتي كانت تتحصن في منطقة وادي اليرموك. ويقدر عدد المجموعة الأولى عشرين مقاتلا والثانية نحو 15. في حين ترفض اللجنة المركزية الاتهامات للمجموعتين بأي شبهة. وتتحفظ «القدس العربي» على نشر أسماء عناصر المجموعتين وقائديهما، حرصا على سلامتهم وعدم تعريضهم للخطر.

وارتفع عدد القتلى في قصف قوات النظام والميليشيات الإيرانية إلى نحو قتيلا 19 أغلبهم من المدنيين، بينهم عائلة من آل الزعبي تتألف من أربعة أطفال وسيدة.

في ردود الأفعال والتحشيد للتضامن مع درعا، طالب رئيس المجلس الإسلامي السوري الشيخ أسامة الرفاعي السوريين بمساندة درعا وأعرب عن تعاطف المجلس مع أهالي درعا. وناشد السوريين بالوقوف إلى جانب درعا صفا واحدا وقلبا واحدا. واصفا في كلمة مصورة بثتها منصات المجلس الإسلامي، العدوان على المدنيين بانه استمرار لقتل المدنيين الذي بدأ في2011. مضيفا ان المحتلين الإيرانيين والـروس «يعتبرون المدنيين الأعداء الحقيقيين لهم».

ورفض التعويل على المجتمع الدولي، مستنكرا غياب دوره، واصفا شعار حقوق الإنسان بانه شعار فقط. وخاطب الدول العربية محذرا من اشتعال النيران في بلدان الجوار، متسائلا «ماذا تنتظرون من المستعمر الإيراني بعد ما فعل في سوريا والعراق ولبنان؟».

وأعلن الأردن تشغيل مركز جابر الحدودي مع سوريا، اعتبارا من اليوم الأحد، بشكل شبه عادي. وقال وزير الداخلية مازن الفراية انه «بعد إجراء الترتيبات الميدانية الكاملة مع الجانب السوري، سيبدأ اعتبارا من صباح الأحد الأول من أغسطس (آب) التشغيل الكامل لمركز حدود جابر».

وخلال حملة السيطرة على نقاط النظام ومناطقه، قام رجل المخابرات العسكرية عماد أبو زريق بهجوم وهمي على معبر نصيب والسيطرة عليه وعلى الموظفين والعاملين في مجال الجمارك السورية مع الأردن، هادفا إلى منع فصائل وثوار الجنوب من اقتحام الجمارك بسرعة والسفر.

يهدف النظام للسيطرة الفعلية والكاملة على محافظة درعا، من خلال بدء السيطرة على حي درعا البلد، وهو أكبر معاقل الثوار في جنوب سوريا والحي المفتاحي. وفي حال السيطرة عليه، يدرك النظام ان السيطرة على الأرياف التي تمردت يوم أمس، هي مسألة وقت، إذ لا يمتلك المقاتلون استعدادا كافياً للمواجهة، خصوصا مع معركة يتواجد فيها الروس كطرف مشارك بقوة في القصف الجوي.

وتسعى روسيا من خلال إطلاق يد قوات النظام وقصف درعا إلى الضغط على اللجنة المركزية وتطويع سكان الجنوب أكثر ودمجهم في مؤسسات النظام بعد فرض التسويات الأمنية بحقهم جميعا. وتعتبر قضية السلاح الفردي والخفيف الذي استثنى في اتفاق تسوية 2018 مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لموسكو، فهي تريد استغلال إنهاك ثوار درعا بعد ثلاث سنوات على عملية المصالحة الذي تسببت به الملاحقات الأمنية والاعتقالات ومحاولات الاغتيال المتكررة من كافة الأطراف.

في المقابل، فقد أثبتت تكتيكات خلايا المقاومة في الجنوب السوري نجاعتها بشكل كبير، حيث أوجعت النظام وأعاقت ـ نسبيا– النشاط الإيراني في درعا. كما أعاقت عمليات تهريب المخدرات إلى الأردن، عبر شبكات حزب الله في الجنوب.

سكان المدينة يقاتلون وحيدين

تجديد إغلاق «مؤسسات القدس» لتأكيد السيادة الإسرائيلية وإضعاف المقدسيين

لم تنح أي مؤسسة فلسطينية في مدينة القدس، من الاقتحام، أو الإغلاق، أو المصادرة لمحتوياتها، أو المنع من مزاولة نشاطاتها، أو اعتقال القائمين عليها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

سعيد أبو معلا

بيت الشرق

أعاد وزير الداخلية الإسرائيلي تجديد عملية إغلاق مجموعة من المؤسسات الفلسطينية في مدينة القدس المحتلة للمرة الأربعين، وتوقيع تجديد الإغلاق أصبح عملية روتينية تحدث مرة كل ستة أشهر، وهو أمر يجعلنا نصل إلى بداية مسار الانعطاف الكبير في سياسة إغلاق المؤسسات في مدينة القدس المحتلة أي قبل أكثر من 20 عاما.

20 عاما من سياسة إغلاق المؤسسات أو تجفيف المدينة المقدسة وقص كل الأذرع والأدوات التي كان يمكن لها أن تلعب دورا مهما في تمكين المقدسي وتعزيز صموده، وهي العملية التي بدأت منذ اللحظة الأولى لاحتلال المدينة عام 1967.

وحسب الباحث يعقوب عودة، مراقب حقوق الإنسان والمسكن في القدس لدى مركز أبحاث الأراضي، فإن إجراء إغلاق المؤسسات كان تعبيرا عن خطة بدأها الاحتلال منذ أيامه الأولى التي سيطر فيها على المدينة، حيث حل بلدية القدس العربية (ما يعرف بأمانة القدس) وحل المحاكم العربية الرسمية، وكان هذا ما يمكن تسميته بالمرحلة الأولى.

أما المرحلة الثانية فتمثلت في سياسة عزل مدينة القدس بالحواجز العسكرية منذ عام 1993 مع بداية إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي الذي وقع في 13 ايلول/سبتمبر 1993 بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية، حيث شكلت سلطات الاحتلال عام 1994 لجنة لتحديد المؤسّسات الفلسطينيّة العاملة في القدس حيث أغلقت خمسين مؤسّسة، ووضعت 49 أخرى على قائمة المؤسسات المهدّدة بالإغلاق.

أما المرحلة الثالثة فكانت مع إقامة جدار العزل والفصل العنصري الذي راكم على عملية عزل المدينة ديموغرافيا وجغرافيا عن امتدادها الفلسطيني.

استهداف الوجود الفلسطيني

وزير شؤون القدس فادي الهدمي، أدان تمديد الاحتلال الإسرائيلي إغلاق مؤسسات فلسطينية بمدينة القدس وعلى رأسها «مؤسسة بيت الشرق». واعتبر، في بيان وصل «القدس العربي» نسخة منه، أن هذا التمديد يأتي في سياق الهجمة الإسرائيلية المستمرة على مدينة القدس ومؤسساتها ومقدساتها. وهو استهداف للوجود الفلسطيني الأصيل في المدينة.

وشمل قرار تمديد الإغلاق الصادر عن وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي الاستمرار في إغلاق كل من: بيت الشرق والغرفة التجارية ونادي الأسير والمجلس الأعلى للسياحة وغيرها العشرات من المؤسسات الحيوية.

وتتذرع أوامر الإغلاق غالبا بتعبيرات مثل «تنفيذ نشاطات معادية» أو «غير مشروعة» أو القيام بـ«نشاطات مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية» أو «حماية أمن الجمهور».

الوزير الهدمي رأى في قرار تجديد الإغلاق الذي بدأ عام 2001 في سياق عمليات الإخلاء القسري والهدم في الشيخ جرّاح وسلوان وبيت حنينا وغيرها من الأحياء المقدسية. كما اعتبر الإجراءات الإسرائيلية «انتهاكا سافرا وفاضحا لتعهدات والتزامات الحكومة الإسرائيلية في فترة شمعون بيرس إلى وزير الخارجية النرويجي يوهان هولست عام 1993 حول عدم التعرض للمؤسسات الفلسطينية بالقدس الشرقية».

وتشير المعلومات أن وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي عومر بارليف، قد أصدر قرارا بإغلاق مبنى بيت الشرق ومقر الغرفة التجارية وجمعية الدراسات العربية ومؤسسات مقدسية أخرى لستة أشهر أخرى، وجرى تعليق القرار على بوابات تلك المؤسسات المغلقة منذ عام 2001 وهو ما زال مستمرا حتى اللحظة.

بدورها طالبت وزارة الخارجية الفلسطينية والمغتربين في بيان صحافي إسرائيل بتنفيذ «الرسالة التي تلقتها القيادة الفلسطينية من الجانب الإسرائيلي، والتي تعهد فيها الالتزام بالاتفاقيات الموقعة». حيث اعتبرت أن قرار تجديد الإغلاق يندرج في إطار الإجراءات أحادية الجانب، ويشكل إخلالا فاضحا بالاتفاقيات الموقعة، وعدم وفاء بالالتزامات المترتبة على إسرائيل كقوة احتلال في الحفاظ على حياة وخدمات السكان المدنيين الرازحين تحت الاحتلال ومؤسساتهم في المدينة المقدسة، واخلالا أيضا بالوضع القائم التاريخي والقانوني في القدس المحتلة».

مطلب بناء الثقة

وكانت وسائل إعلام فلسطينية وعربية قد نشرت قبل أيام أن السلطة الفلسطينية طلبت من الإدارة الأمريكية الجديدة العمل على فتح «بيت الشرق» (أي عدم تجديد إغلاقه) في محاولة لإعادة بناء الثقة وليكون إحدى الخطوات باتجاه استئناف المفاوضات، وهو الأمر الذي يراه مراقبون بمثابة عدم إعطاء أي إشارة إيجابية من قبل الحكومة الإسرائيلية الجديدة.

بدوره، توقع رئيس مجلس إدارة مؤسسة فيصل الحسيني، عبد القادر الحسيني في تصريحات صحافية أن يحقق التوجه الأمريكي الجديد إمكانية إعادة فتح «بيت الشرق» في حال استمر الضغط المحلي والدولي الذي قد يتمكن من التغلب على القرار الإسرائيلي القاضي باستمرار إغلاقه.

وأضاف أنه يأمل ان يكون فتح «بيت الشرق» شرطا وليس مجرد مطلب أو مقترحا فلسطينيا على الإدارة الأمريكية، فالأمر لا يحتاج إلى إجراءات كثيرة من أجل بناء الثقة، بل يبدأ من امتناع الطرف الإسرائيلي عن اتخاذ إجراء تمديد الإغلاق.

المقدسي وحيدا

وأمام كم الاعتداءات التي تمارسها قوات الشرطة الاحتلالية في مدينة القدس يتم تفريغ المدينة من مؤسساتها ليبدو المشهد ان المقدسي يقاوم وحيدا بحسب الناشط الشبابي المقدسي أسامة برهم. وتساءل برهم: «كيف يمكن توفير مقومات الصمود للمقدسيين في ضوء تفريغ المدينة من مؤسساتها من خلال سياسة إغلاق مستمرة بدأت منذ الأيام الأولى لاحتلالها 1967 وحتى اللحظة؟».

وتعاني مدينة القدس من غياب شبه كامل للمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية، في ضوء أن المدينة تواجه ملفات صعبة ومعقدة ومن أبرزها مسألة التطهير العرقي وطرد السكان من حي الشيخ جراح، وهدم المنازل في أحياء القدس المختلفة، وبيع الأراضي والهجمة الاستيطانية التي ظهرت في أقوى مظاهرها من خلال مسيرات الأعلام التي تقودها جماعات المتطرفين.

وتشير الأرقام التي نشرها مركز المعلومات الفلسطيني أنه منذ عام 1995 وحتى مطلع عام 2020 أغلقت شرطة الاحتلال أكثر من 70 مؤسسة فلسطينية في المدينة، فيما التدقيق في قائمة المؤسسات المغلقة تكشف أنها تتنوع ما بين مؤسسات إعلامية وبحثية وصحية ورياضية وشبابية وفنية وتعليمية.

وبحسب المركز فإنه لم تنج أي مؤسسة من المؤسسات الفلسطينية في مدينة القدس، على اختلاف أنواعها وتسمياتها، من الاقتحام، أو الإغلاق، أو المصادرة، لمحتوياتها، أو المنع من مزاولة العديد من نشاطاتها، أو اعتقال القائمين عليها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

وتشير الأرقام أنه منذ عام 1967 وحتى اللحظة أغلقت سلطات الاحتلال في إطار سياستها الساعية إلى تهويد مدينة القدس والتضييق على سكانها، أكثر من مئة مؤسسة فلسطينية؛ استنادًا إلى قانون الطوارئ الذي سنته سلطات الانتداب البريطاني عام 1945م من جهة، والأوامر العسكرية الإسرائيلية من جهة أخرى؛ فيما أجبرت عشرات المؤسسات على نقل مكاتبها ونشاطاتها إلى مناطق أخرى من الضفة الغربية.

وعن أنواع المؤسسات الفلسطينية التي تم إغلاقها نجد أنها تتوزع على محاور ثلاثة الأول: المؤسسات النقابية والاتحادات والروابط المهنية التي تضم نقابات العمال والطلاب والمهنيين والحرفيين والصحافيين والكتاب. وثانيا: المؤسسات الإعلامية والأهلية، وتشمل مؤسسات مستقلة وغير حكومية وتضم الصحف اليومية والأسبوعية والمجلات والدوريات والمكاتب الصحافية والمؤسسات الثقافية والفنية. وثالثا: المؤسسات الخدماتية والجمعيات التي تقدم خدمات طبية وإنسانية مباشرة.

أما الانتهاكات بحق المؤسسات فتتنوع بدورها ما بين الاقتحام والمداهمة والإغلاق المؤقت أو الدائم، ومنع الفعاليات والأنشطة الشعبية، والتفتيش والمصادرة، واعتقال العاملين في المؤسسات والمسؤولين عنها وإغلاقها لفترات متفاوتة ومتجددة، والإغلاق المستمر والمتواصل للمؤسسات من خلال سحب التراخيص.

وقال الباحث يعقوب عودة، مراقب حقوق الإنسان والمسكن في مركز أبحاث الأراضي، في ورقة قدمت في مؤتمر «القدس: تاريخ المستقبل» ونشرت في مجلة «حوليات القدس» إن إغلاق المؤسسات الفلسطينية أحد برز المخططات الرامية لتغيير وجه القدس وهويتها الثقافية والسياسية الفلسطينية، وهي مخططات تهدف إلى خنق صوت القدس، وتشويه صورتها الحضارية، وتهجير مؤسساتها ودفعها لفتح مقرات بديلة في مناطق أخرى في الضفة الغربية.

ويختم في بحثه قائلا: «الحرب الإسرائيلية ترفضها اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 فهي لا تجيز للاحتلال أي تغييرات في الوضع القانوني والإداري للمناطق الخاضعة للاحتلال، وهو ما يجعلها إجراءات لاغية بلا سند قانوني سوى قانون القوة، قانون الاحتلال».

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ

كيف جعلت إسرائيل من «برنامج الشيطان» بيغاسوس جسرا دبلوماسيا مع العالم العربي

تتوفر إسرائيل على ما يقارب 700 شركة تعمل في مجال التجسس الرقمي، يقف وراءها عدد من الضباط السابقين في وحدة التجسس الإلكتروني في الجيش الإسرائيلي ولاسيما وحدة 8200.

مدريد ـ «القدس العربي»: حسين مجدوبي

هيمنت فضيحة التجسس بواسطة برنامج بيغاسوس على العلاقات الدولية لأنها جاءت لتبرز المخاطر التي تستهدف الحياة الخاصة وكيفية توظيفها ضد الأشخاص وخاصة الإعلاميين والحقوقيين والسياسيين. وبرزت إسرائيل كفاعل رئيسي بتصنيعها هذا البرنامج وعشرات أخرى وتحويلها إلى جسر دبلوماسي وأساسا مع العالم العربي الذي استقبلت بعض دوله هذا البرنامج الذي أصبح يعرف بـ «برنامج الشيطان».

وجاءت هذه الفضيحة عبر مراحل، حيث بدأ الحديث عن استعمال هذا البرنامج سنة 2016 في المكسيك، ثم سنة 2019 عندما أبلغت مؤسسة واتساب 1400 من ضحايا بيغاسوس بتجسس جهات على هواتفهم. وكانت المرحلة الأخيرة والخطيرة هي خلال منتصف تموز/ يوليو الماضي، عندما فضحت «أمنستي أنترناشنال» وجمعية «فوربيدن ستوريز» بتعاون مع 17 مؤسسة إعلامية كبيرة مثل «لوموند» و«الواشنطن بوست» و«الغارديان» كيفية تجسس دول عديدة من بينها الإمارات العربية والسعودية والبحرين والمغرب على دول أخرى وإعلاميين.

وتوجد إسرائيل في موقف حرج للغاية، فهي تعتبر متورطة في هذه الفضيحة رغم إنتاج شركة خاصة لبرنامج بيغاسوس، ويقول غابي سيبوني وهو إسرائيلي منتج سابق لمثل هذه البرامج في هذا الصدد «شركة إن سي أو لا يمكنها بيع عود ثقاب بدون ترخيص من حكومة إسرائيل فكيف ببرنامج مثل بيغاسوس؟». وهذا ما يفسر كيف تعمل إسرائيل على محاولة احتواء الأزمة مع فرنسا التي تعد ضحية برنامج بيغاسوس، حيث انتقل وزير الدفاع الإسرائيلي بيني غانتس إلى باريس الأربعاء الماضي لتقديم توضيحات للحكومة الفرنسية.

وعلاوة على الضجة المرافقة للبرنامج بحكم تسببه في توتر في العلاقات الدولية بين بعض الدول وداخل الدولة نفسها، تأتي فضيحة بيغاسوس لتطرح تحديات حقيقية على العالم بشأن مخاطر الحرب السيبرانية على الحياة الخاصة للناس وتأثيرها في العلاقات الدولية. وأبرز ما ترتب عن هذه الفضيحة هو:

في المقام الأول، برنامج بيغاسوس ما هو إلا ذلك الجزء الظاهر من جبل الجليد الضخم القابع تحت مياه البحر. إذ تتوفر إسرائيل على ما يقارب 700 شركة تعمل في مجال التجسس الرقمي، يقف وراءها عدد من الضباط السابقين في وحدة التجسس الإلكتروني في الجيش الإسرائيلي ولاسيما وحدة 8200 الشهيرة. وأبرزها هي شركة إن سي أو التي تصنع بيغاسوس ثم شركة كانديرو وشركة سيركلز. وأصبحت تدر أرباحا كبيرة وتصنف ضمن صادرات الأسلحة لأن برنامجا مثل بيغاسوس يعتبر سلاحا.

في المقام الثاني، وارتباطا بما سبق، تدرك إسرائيل مدى حاجة الدول إلى تعزيز أمنها السيبراني، ولهذا حولت هذه البرامج إلى أداة دبلوماسية فعالة لنسج علاقات جديدة مع مختلف الدول بعد النكسات التي تعرضت لها بسبب الجرائم التي ارتكبتها في حق الفلسطينيين ووجدت الترحيب من طرف بعض الدول العربية.

في المقام الثالث، تتفادى كل الدول المتقدمة ومنها الغرب والصين وروسيا شراء برامج إسرائيل للتجسس الرقمي لعلمها المسبق بتحكم إسرائيل في هذه البرامج، وبالتالي تعرف بالضبط الأهداف المستهدفة من طرف الزبناء. وهذا أمر خطير، إذ أن شراء الدول العربية للبرنامج يجعل إسرائيل تعرف أجندتها للأمن القومي بمنهى الدقة. ويبدو عدم اهتمام بعض الدول العربية التي وقعت اتفاقيات مع إسرائيل بهذا الجانب بحكم إشراكها الإسرائيليين في تدبير الأمن القومي مثل حالة بعض دول الخليج التي تستعين بخبراء إسرائيليين في ملاحقة المعارضة وفي حرب اليمن.

في المقام الرابع، تسببت فضيحة بيغاسوس في ارتفاع أصوات تطالب بضرورة إصدار قوانين دولية تحد من هذه البرامج، وكانت البداية مع الأمم المتحدة ثم المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل. وستكون العملية صعبة للغاية نظرا للسرية التامة التي تتعامل بها الدول المتقدمة، فهي تعتبر هذه البرامج ضرورية لأمنها القومي من جهة، وبسبب التستر عليها من جهة أخرى. وعمليا، تظهر أخبار بين الحين والآخر حول أسلحة مثل الصواريخ والطائرات لكن نادرا ما تظهر أخبار حول برامج التجسس باستثناء عندما يقوم عميل سابق بالكشف عنها مثلما حدث مع إدوارد سنودن، موظف وكالة الأمن القومي الأمريكية الذي فضح برامج مثل بريزم للتجسس على العالم. ويقول المحامي رونالد ديبر بصعوبة إيجاد اتفاق بحكم «الغموض والصمت» الذي يميز هذه الصناعة لاسيما في دول مثل الصين وروسيا وليس فقط إسرائيل والغرب.

في غضون ذلك، استقال 43 من خبراء الأمن السيبراني المنتمين إلى وحدة 8200 التابعة للجيش الإسرائيلي سنة 2014 لأنهم لم يعودوا يوافقون على مراقبة لصيقة للملايين الفلسطينيين، وها هي إسرائيل تنقل المراقبة من فلسطين إلى العالم، ووجدت في أنظمة دكتاتورية ومنها في العالم العربي الترحيب والتشجيع والمال لشراء برامج «الشيطان».

Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

لبنان: هل إنكفاء التيار والقوات عن التسمية والمشاركة في الحكومة يخرج المسيحيين من المعادلة؟

إنكفاء الأحزاب المسيحية يتم في ظل عهد الرئيس الذي لا يبصر مرسوم الحكومة النور من دون توقيعه، ووجود كتل مسيحية وازنة في البرلمان يمكنها خلط أوراق سياسية.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

مرة جديدة ينكفئ أكبر حزبين مسيحيين عن تسمية رئيس مكلّف بتشكيل الحكومة، فبعد الامتناع عن تسمية الرئيس سعد الحريري امتنع كل من التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية عن تسمية الرئيس نجيب ميقاتي، الأمر الذي جعل البعض يتساءل عن سبب هذا الانسحاب العريض للأحزاب المسيحية عن التسمية وعن الرغبة في المشاركة في الحكومة العتيدة.

واللافت أن امتناع التيار والقوات عن التسمية جاء من دون أي تنسيق لا بل في ظل خصومة سياسية هي الأكثر بروزا منذ توقيع اتفاق معراب الذي أسهم في تسهيل انتخاب العماد ميشال عون رئيسا للجمهورية. ومن المعلوم أن اعتبارات وحسابات كل طرف تختلف عن اعتبارات وحسابات الطرف الآخر، إلا أن الحكومة في حال ولدت ستعيد طرح مسألة الميثاقية ومدى توافرها في الحكومة في ظل غياب هذين الحزبين يُضاف إليهما غياب حزب الكتائب الذي انتقل إلى المعارضة، بحيث باتت تقتصر التسمية والمشاركة على حزب مسيحي واحد هو «تيار المردة» الذي لا يوازي بحضوره وحجمه أيا من الأحزاب الأخرى.

وتعيد خطوة كل من التيار والقوات إلى الأذهان ولو بنسبة معينة تجربة المقاطعة المسيحية الشاملة عام 1992 للانتخابات النيابية بسبب فرض نظام الوصاية السورية قانوناً انتخابياً غير عادل ولا يؤمن صحة التمثيل المسيحي لجهة توسيع الدوائر في 4 محافظات وإبقاء محافظة جبل لبنان على مستوى الأقضية. حينها لم تأخذ سلطة الوصاية بعين الاعتبار هذه المقاطعة ولم تعد النظر بقانون الانتخاب، ونتيجة لذلك تمكّن نواب مسيحيون في جبل لبنان من الوصول إلى البرلمان اللبناني بـ 42 صوتاً فقط، واستمرت مفاعيل المقاطعة وتداعياتها وتسبّبت بإحباط مسيحي بعد اعتقال قائد القوات سمير جعجع وإدخاله إلى سجن وزارة الدفاع في خطوة أعقبت نفي الجنرال ميشال عون إلى فرنسا.

لكن المفارقة أن إنكفاء الأحزاب المسيحية اليوم يتم في ظل عهد «الرئيس القوي» الذي لا يبصر مرسوم الحكومة النور من دون توقيعه، كما يتم في ظل وجود كتل مسيحية وازنة في البرلمان يمكنها في حال توحّدها من خلط أوراق سياسية. وفي هذا الإطار، أبلغ النائب السابق فارس سعيد رسالة قصيرة إلى بعض المحيطين به جاء في مضمونها ما يلي «ما كنا متخوّفين منه بعد اعتذار الرئيس الحريري لجهة تشكيل اصطفاف إسلامي عريض لتسمية رئيس مكلّف جديد حصل، وما حدث على المستوى السياسي هو ظهور لإصطفاف إسلامي يطالب بتسمية رئيس حكومة. وفي المقابل، حصل اصطفاف مسيحي لعدم تسمية رئيس حكومة كل لأسبابه».

ورأى سعيد "أن خروج الكتل المسيحية الوازنة عن التسمية أدّت إلى خلل عند الطرفين: الطرف الأول هو الطرف العوني الذي بات في مأزق، فإذا تألفت حكومة وفق شروط الرئيس ميقاتي بات الرئيس القوي هو نجيب ميقاتي وليس ميشال عون. وإذا لم تتألف حكومة سيواجه الرئيس عون مطالبة بإقالته أو باستقالته بشكل فجّ ومباشر لأنه لا يستطيع بعد تجربة السفير مصطفى أديب وتجربة الحريري وحالياً الرئيس ميقاتي أن يكون بصدد عرقلة تشكيل الحكومة. أما الطرف الثاني وهو القوات اللبنانية فهي في موقع الاحراج، فهم يقولون للناس انتظروا الانتخابات لأنها هي التي ستغيّر الأوضاع، إنما الناس لا تستطيع انتظار هذا الاستحقاق لأنها تريد حلولاً فورية، وهي تتحقق إما من خلال المشاركة في حكومة مع نجيب ميقاتي وبالتالي كان يفترض تسميته أو وهذا هو الخيار الأفضل من خلال المطالبة باستقالة الرئيس عون كبداية حل».

وانضم إلى سعيد في التحذير من هذا الموقف المسيحي عضو «التكتل الوطني» النائب فريد هيكل الخازن الذي سأل «كيف ننتخب رئيسا للجمهورية عند الاستحقاق الرئاسي إذا رفض الفريق السنّي تسمية الرئيس؟» مضيفاً «ليس كهذا يُبنى البلد».

في المقابل، فإن أوساط القوات اللبنانية قلّلت من أهمية التحليلات حول أن الامتناع عن التسمية يؤدي إلى خروج المسيحيين من المعادلة السياسية وإلى إنطلاق عجلة النهوض في البلد من دون المسيحيين، مؤكدة «ان هذا الوطن لا يُبنى من دون مسيحييه كما من دون مسلميه، وهذه حقيقة تاريخية ثابتة، لا يمسّها هذا الهلع المصطنع على امكانية تحالف المسلمين السنّة والشيعة لضرب مصالح المسيحيين المنكفئين» وشدّدت على «أننا لم ولن نخرج من المعادلة السياسية إذا تشكّلت فعلا حكومة وفق المبادرة الفرنسية، وسنقف إلى جانبها بالقول والفعل، وهذا ما أبلغناه إلى الرئيس المكلّف».

وميّزت القوات بين عدم تسميتها للرئيس ميقاتي وبين عدم تسمية التيار له، فلفتت إلى «ان منطلقات كل تكتل مسيحي ودوافعه لعدم التسمية مختلفة عن بعضها، اختلاف الأبيض عن الأسود. ويعلم مطلقو تلك التحاليل وقبل غيرهم هذا الأمر جيداً» موضحة «أن عدم تسميتنا لأي شخصية لتكليف الحكومة هو استمرار لقناعة ثابتة أعلنا عنها مراراً بأن حصان التغيير الشامل هو الانتخابات النيابية، وان عربته هو حكومة تُشكّل وفق المبادرة الفرنسية، ولن نغيّر موقفنا الثابت من هذه السلطة لمجرّد تغيير شخص الرئيس المكلف، ولم نتعوّد على الاستدارات المصلحية».

من جهته، فإن التيار الوطني الحر الذي يستشعر دقّة الاستحقاق الانتخابي المقبل بعد فك تحالفه مع «تيار المستقبل» الذي تمكّن بفضله من نيل عدد من المقاعد النيابية في بيروت والبترون وعكار وزحلة، يحاول الظهور من الآن وحتى موعد الانتخابات بمظهر الفريق المعارض للحكومة علّه بهذه الخطوة يحتفظ بأغلبية التمثيل المسيحي التي تؤهّله للاحتفاظ بلقب الأقوى مسيحياً عشية الانتخابات الرئاسية، في ظل الاستطلاعات التي تتحدث عن تقدم للقوات اللبنانية في الأقضية المسيحية. إلا أن حساب التيار قد لا يلتقي مع حساب البيدر خصوصاً أن هذا العهد هو عهد التيار ويتربّع على رأسه الرئيس الفعلي للتيار، وبالتالي لا تستوي محاولة لعب دور المعارضة والسلطة في آن واحد.

الرئيس عون يكلف نجيب ميقاتي تشكيل الحكومة

الفصائل الولائية تفسد فرحة الكاظمي بانجازاته في واشنطن

الرفض الإيراني لنتائج زيارة الكاظمي إلى واشنطن جاء بعد إعلان أمريكا ان طهران لن تحصل على اتفاق نووي أفضل ورفض رفع العقوبات عن مئات الشخصيات والمؤسسات الإيرانية.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

حظي الحوار الاستراتيجي الأخير بين العراق والولايات المتحدة، الذي جرى في واشنطن، باهتمام محلي وإقليمي ودولي، نظرا لتداعياته على مسار الأحداث في العراق والمنطقة، بالتزامن مع وصول قائد فيلق القدس في الحرس الإيراني إلى بغداد واجتماعه مع قادة الفصائل المسلحة التي أعلن أغلبها رفض نتائج الحوار. ومع تأكيد الرئيس الأمريكي جو بايدن، خلال استقباله رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي في البيت الأبيض: «لن نكون مع نهاية العام في مهمة قتالية في العراق، لكن تعاوننا ضد الإرهاب سيتواصل» فإن الكاظمي، وصف الزيارة بأنها «تاريخية مهمة بكل المعاني» وان هناك اتفاقيات ستنعكس على مستوى حياة العراقيين في السنين القريبة المقبلة، و«نشكر القوى العراقية التي وقفت مع الحكومة». وشدد على أن «العلاقة بين العراق والولايات المتحدة ستنتقل إلى مرحلة جديدة» مبينا أن «التنسيق بين العراق والولايات المتحدة لن يقتصر على الجانب الأمني» كما حرص الكاظمي على اللقاء برجال الأعمال الأمريكان وتشجيعهم على الاستثمار في العراق.

وبعد مباحثات واسعة بين وفدي البلدين في الجولة الرابعة والأخيرة من الحوار، أكد البيان الختامي على تعزيز الشراكة الاستراتيجية طويلة المدى التي حددتها اتفاقية الإطار الاستراتيجي، وعلى القضايا الرئيسية ذات الاهتمام المشترك، مع التركيز على ان «العلاقة الأمنية ستنتقل بالكامل إلى المشورة والتدريب والتعاون الاستخباراتي، ولن يكون هناك أي وجود لقوات قتالية أمريكية في العراق بحلول 31 كانون الأول/ديسمبر 2021».

كما اتفق الطرفان على قضايا أخرى مثل الاستقرار الإقليمي، والصحة والنازحين، والاستثمار، وكفاءة الطاقة واستقلاليتها، والقضايا المتعلقة بالمساعدات الإنسانية وحقوق الإنسان، والتعاون الاقتصادي، والتبادل الثقافي والتعليمي، وغيرها من المواضيع. فيما تعهدت بغداد بحماية قوات التحالف الدولي في العراق وإجراء الانتخابات والتزامها بشبكات الطاقة الإقليمية مع الأردن ودول مجلس التعاون الخليجي، لتقليل الاعتماد على الطاقة الإيرانية.

وإذا كانت ردود الأفعال العراقية على نتائج الحوار، اتسمت بارتياح حكومة الكاظمي واعتبارها ما تحقق انجازا كبيرا، مع رضا الأطراف الكردية والسنية، فإن مواقف القوى الشيعية تباينت بين ترحيب مقتدى الصدر الذي أفتى «بوجوب وقف العمل العسكري للمقاومة ضد القوات الأمريكية بعد انسحابها» وقبول كتلة الفتح (أغلبها من فصائل الحشد) وبين مواقف الفصائل الولائية، التي رفضت نتائج الحوار واعتبرتها خدعة لإطالة بقاء القوات الأمريكية.

ولذا وقبل عودة الكاظمي إلى بغداد، وفي هجوم هو الأول من نوعه عقب انتهاء مباحثات الجولة الرابعة للحوار الاستراتيجي، سقط صاروخان قرب السفارة الأمريكية بالمنطقة الخضراء وسط العاصمة بغداد، بالتزامن مع وقوع عدة انفجارات على القوافل التي تنقل معدات وتجهيزات لقوات التحالف الدولي.

وانسجاما مع هذا التحرك، أصدرت «الهيئة التنسيقية لفصائل المقاومة» التي تضم الفصائل الولائية، بيانا أشار إلى وجود «ثغرات» في نتائج الحوار، مؤكدة أن «الموضوع لا يتعدى الإعلان المخادع لإبقاء الاحتلال، ولكن بتغيير عنوانه فقط». وأوضح البيان «في هذه الحال لن يتغير موقف المقاومة الرافض لوجود أي نوع من أنواع الاحتلال، ولاسيّما أننا أثبتنا عدم حاجة قواتنا الأمنية لهم، وأنها قادرة وقوية، وأن وجود مستشارين أمريكيّين ضرر ليس معه نفع». وختم البيان، أن «المقاومة ستبقى على جهوزيتها الكاملة لحين الانسحاب الحقيقي، وسيكون لها إجراؤها وموقفها الذي لن تتردد فيه إذا كان انسحابا شكليا، وأن أي طيران أجنبي في الأجواء العراقية سيعد معاديا» رافضين استمرار «السيادة الأمريكية على الأجواء العراقية».

ولم يكن قرار الفصائل مفاجئا، كونه جاء عقب أنباء عن وصول مفاجئ، للجنرال إسماعيل قآاني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، وإجراءه مباحثات مع قادة الأحزاب والميليشيات الشيعية في بغداد، وسط حملة واسعة في وسائل الإعلام الإيرانية وصفت نتائج الحوار بانها «مراوغة أمريكية تمدد للاحتلال». والحقيقة ان الرفض الإيراني لنتائج زيارة الكاظمي إلى واشنطن جاء بعد إعلان الولايات المتحدة «ان الحكومة الإيرانية الجديدة، لن تحصل على اتفاق نووي أفضل» وبعد كشف طهران ان إدارة بايدن رفضت رفع العقوبات عن مئات الشخصيات والمؤسسات الإيرانية، وبالتالي فإن تصعيد التوتر بين الطرفين وتبعاته، لن تكون بعيدة عن المشهد العراقي.

ولاشك ان نتائج زيارة الكاظمي كانت مرضية جدا له، فإضافة إلى المساعدات الكبيرة التي تعهدت الولايات المتحدة تقديمها للعراق في مجالات متنوعة، ومواصلة تقديم المساعدات لمحاربة «داعش» فهناك فوائد أخرى، أبرزها تشجيع الشركات الأمريكية للاستثمار في العراق في مشاريع تعزز الوضع الاقتصادي المنهار، وتمديد إعفاء الإدارة الأمريكية، العراق من الحظر المفروض على واردات الطاقة من إيران، مع استمرار الحماية الأمريكية والدولية للأموال العراقية في بنوك أمريكا (نحو 35 مليار دولار) من طلبات الدائنين الساعين للاستيلاء عليها.

ومن أجل تعزيز دعمها للكاظمي، حرصت واشنطن على ان تنقل الطائرة التي يعود بها إلى بغداد 17 ألف قطعة أثرية، تشكل أكبر مجموعة من الآثار المسروقة من العراق بعد الاحتلال، وهو الأمر الذي وصفه وزير الثقافة والسياحة والآثار العراقي، حسن ناظم، بـ «الحدث الكبير في استعادة آثارنا المسروقة في العالم».

وبعيدا عن تناقض المواقف والمصالح بين القوى السياسية في العراق، فهناك ترحيب عام بنتائج الحوار، حيث يأمل الكثير من العراقيين ان يسهم في لجم مساعي الفصائل الولائية لخلق الأزمات والاستفراد بالوضع العراقي، خدمة لمشاريع إقليمية، ويوفر قوة دولية لا بديل لها في الوقت الحاضر رغم كل مساوئها، لكي تمنع أن يكون العراق خاضعا بشكل كامل للنفوذ الإقليمي الأحادي.

الصورة: بايدن والكاظمي

هل يعيد القصر الملكي الأردني برمجة الاتجاه؟ تشويش وضغوط متعددة الجهات على «اللجنة»

بعض الأنماط التفكيرية التي صمدت لسنوات أو لعقود في مستويات القرار الرسمي بخصوص ملفي الانتخاب والأحزاب آن أوان تغييرها.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

وضع ورود بند تعديلات على قانون البلديات واللامركزية بعض مهام اللجنة الملكية للإصلاح السياسي في الأردن أمام حالة من التشوش التشريعي خصوصا وان إحدى اللجان الفرعية المهمة التابعة للجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية معنية بملف الإدارة المحلية وبالتالي يفترض ان تتريث الحكومة في المضي قدما بالخطوات لتشريع تعديلات قانون البلديات ونصوص الإدارة المحلية إلى ان يتسنى لتلك اللجنة الفرعية تحديد البوصلة في التغيرات التي تقترحها.

ويبدو أن صدور نص إرادة ملكية بخصوص الدورة الاستثنائية الجديدة لمجلس النواب والبرلمان وتضمن هذا النص وضع القانون المعدل للبلديات واللامركزية بمعنى ملف الإدارة المحلية على جدول أعمال الدورة الاستثنائية يعتبر مؤشرا على انتصار الجناح في السلطة التنفيذية الذي يرى بانه ليس مضطرا لانتظار ما تقرره اللجنة الملكية بالخصوص رغم ان ملف الإدارة المحلية هو الثالث بالأهمية بعد قانوني الانتخاب والأحزاب، وبالتالي تم إنتاج حال تشويش تشريعية تحتاج إلى تفسير وتحليل الآن خصوصا وان الخلافات بين اللجنة الملكية والحكومة الحالية على ملف الإدارة المحلية كانت قد برزت على أكثر من صعيد. وكان رئيس اللجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية سمير الرفاعي قد أبلغ خلال مجالسات سياسية مع بعض النخب، بأن لجنته حاولت لفت نظر الحكومة إلى هذا التناقض في البوصلة والاتجاه متمنيا ضمنيا بان تسحب الحكومة مشروعها بخصوص الإدارة المحلية والمحول لسلطة التشريع الحالية إلا ان ذلك لم تستجب له الحكومة لأسباب غامضة حتى الآن.

وترى مصادر برلمانية بان ورود بند قانون البلديات والتعديلات على جدول أعمال الدورة الاستثنائية وبموجب إرادة ملكية رسمية قد يكون خطوة في الاتجاه المعاكس والمضاد لما يمكن ان تقرره اللجنة الفرعية الملكية المعنية بالخصوص وقد يكون خطوة إضافية تظهر حصول خلافات مع الحكومة، فيما تقدر تلك المصادر بان مجلس النواب ليس مضطرا لإكمال مناقشات هذا القانون حتى خلال الدورة الاستثنائية الصيفية.

ومن المرجح هنا ان خلافات تشريعية من هذا النوع تؤشر على ان الفرصة متاحة لرؤية خلافات أكثر عمقا بين اللجنة الملكية وبين الحكومة خلافا للانطباع الذي كان قد أثير في وقت سابق. وهو انطباع كان يوحي بحصول توافق بين السلطات على تمكين اللجنة الملكية من المضي قدما في برنامج عملها وجدول الأعمال الذي قرر بغطاء ملكي مباشر.

ولم يعرف بعد ما إذا كان الخلاف مع بعض الوزراء حول ملف الإدارة المحلية قد ينسحب على خلافات مع وزراء آخرين في الحكومة أو أي من المؤسسات الرسمية والدستورية حول تعديلات طموحة ومهمة مقترحة على قانوني الأحزاب والانتخابات وهي في المسألة المتعلقة بالانتخابات والأحزاب تعديلات تحتاج على حد تعبير عضو اللجنة الملكية خالد البكار وكما أبلغ «القدس العربي» مباشرة إلى مقاربة أكثر حداثة وأكثر عمقا وجدية لتعزيز المشاركة الشعبية. بمعنى ان بعض الأنماط التفكيرية والذهنية التي صمدت لسنوات أو لعقود في مستويات القرار الرسمي بخصوص ملفي الانتخاب والأحزاب آن أوان تغييرها اللحظة. ويوحي ذلك بان المطلوب تغيير العقيدة البيروقراطية المتعلقة بقانوني الأحزاب والانتخابات.

لكن الحكومة مضت قدما في مشروعها التشريعي بخصوص البلديات واللامركزية الأمر الذي أربك اللجنة المختصة بملف الإدارة المحلية والتي يترأسها وزير البلديات الأسبق والحكم المحلي لسبع سنوات المهندس وليد المصري.

ولا تبدو تلك المفارقة وحيدة في الجمل الاعتراضية البيروقراطية، والسياسية الرسمية التي تناكف اللجنة الملكية أو تحاول فرض بعض الايقاعات عليها فاللجنة نفسها كانت قد ترنحت للتو وخرجت من سلسلة أزمات لها علاقة ببعض الأعضاء البارزين فيها حيث استقال عضوان هما الدكتورة وفاء الخضراء والكاتب الصحافي عريب الرنتاوي من عضويتهما في اللجنة الملكية بسبب حملات شعبوية طالت آراء واجتهادات فردية لهما.

وزاد شعور أعضاء اللجنة خصوصا المخضرمين منهم والذين لديهم خبرات سابقة في العمل الحكومي والسياسي بأن بعض توصيات اللجنة وأعمالها لا تحظى بالتوافق المطلوب على المستوى الرسمي، الأمر الذي أسس لمفارقات بالجملة أرهقت اللجنة وضغطت عليها من اتجاهين، الأول هو اتجاه رسمي داخل الدولة. والثاني هو اتجاه شعبي يشكك باللجنة ونتائج أعمالها وتوصياتها حتى قبل ان تنضج.

لكن تلك الضغوط عليها ان تخضع الآن لإعادة برمجة بعد عودة الملك عبدالله الثاني من زيارته الأخيرة إلى الولايات المتحدة خصوصا وان الرهان الملكي على أعمال اللجنة وحسب الرفاعي كبير، والسقف الملكي في التوجيهات حتى الآن أعلى من السقف المحيط بأعمال أعضاء اللجنة.

الملك عبدالله الثاني في مجلس النواب الأردني

ليبيا ضمن سباق التحضير للانتخابات وسيف الإسلام وحفتر يتصدران المشهد

اغتيال محمد الكاني جاء مع اقتراب الانتخابات ومع رغبة حفتر الترشح لرئاسة البلاد، وفي إطار التصفية لخصومه، للترشح بسجل خال من الجرائم والأعداء.

طرابلس – «القدس العربي»: نسرين سليمان

مع اقتراب انتخابات كانون الأول/ديسمبر المنتظرة، بدأت التجهيزات لها تتسارع في وتيرتها من قبل الأطراف الذين أعلنوا عن نيتهم للترشح لرئاسة ليبيا، وخاصة أولئك الذين حملوا في سجلهم صفحات طوال من الجرائم والانتهاكات لحقوق الإنسان.

وعلى غير العادة كان هذا الأسبوع حافلا بالتجهيزات التي اختفلت في طريقتها بين ظهور مفاجئ لأول مرة، صعق به الليبيون وبين اغتيالات لتصفية الحسابات.

حفتر وسيف الإسلام القذافي، اللذان يروج برغبتهما الترشح لرئاسة ليبيا في مرحلتها المقبلة، والتي من المفترض أن تكون مرحلة تنتهي بها سنوات من الحروب والقتل والدمار، كان لهما خلال هذا الأسبوع نصيب الأسد من صناعة الأحداث والمواقف، بين قتل الكاني وظهور سيف نجل القذافي المفاجئ.

صحيفة «نيويورك تايمز» نشرت الجمعة مقابلة مفاجئة، صدمت بها الأوساط المحلية، قالت أنها أجرتها مع سيف الإسلام القذافي، الذي اختفى منذ سنوات وكان آخر ظهور له قبل سبع سنوات تحديدا وفي مكان مجهول، ورغم انتشار أخبار في الأونة الأخيرة تفيد بأنه على قيد الحياة إلا أن ظهور صور له كان غير متوقع.

نجل القذافي وخلال المقابلة أظهر حسب الصحيفة نية واضحة للترشح لرئاسة ليبيا، موضحا أنه سيستعيد ليبيا، متقمسا لشخصية أبيه في عدد من الكلمات ومدافعا عنه، وقد وجهت مجموعة من الانتقادات لأحاديثه المليئة بالثقة، وعدم الاعتراف بالخطأ.

حيث قال سيف الإسلام إنه لا يحمل أي انتقادات لعهد والده الذي استمر 40 عامًا، مشيرًا إلى أن بعض السياسات الاشتراكية في الثمانينيات «ربما تكون قد خرجت عن مسارها، لكن والده أدرك ذلك وصحّح الوضع». وتابع أن الكتاب الأخضر «لم يكن جنونًا وأن مختلف الأفكار التي اكتسبت رواجًا في الغرب مثل الاستفتاءات العامة، وخطط تملّك الموظفين للأسهم، ومخاطر الملاكمة والمصارعة تعود أصولها إلى الكتاب الأخضر».

وقال الصحافي أنه عندما سأله ما إذا كان يتعاطف بأي شكل مع المشاعر التي دفعت المتظاهرين للمطالبة بالتغيير عام 2011 كان ردّه قاطعًا: هؤلاء كانوا أشرارا وإرهابيين وشياطين. وتابع الصحافي إنه سأل سيف الإسلام القذافي عن رأيه في ثورات الربيع العربي فقال دون لحظة تردّد واحدة: «العرب الحمقى دمّروا بلدانهم».

وظل نجل القذافي يردد حسب الصحافي متعمدا الادعاء الزائف بأن جميع ضحايا أبوسليم كانوا إرهابيين إسلاميين، وقال: «لقد شاهد الناس ما فعلوه في السنوات العشر الأخيرة».

وزاد أن معظم الليبيين يعتقدون أن النظام كان متساهلا جدا وأنه كان ينبغي قتل جميع السجناء في سجن أبوسليم، قائلا للصحافي «اذهب إلى بنغازي، واسأل أي شخص، سوف يقولون لك: إنهم لم يُنهوا المهمة» أي قتل جميع السجناء.

ونقل الصحافي في حديث ملفت عن سيف الإسلام القذافي قوله: «لقد قضيتُ عشر سنوات بعيدًا عن أنظار الليبيين. عليك أن تعود إليهم خطوةً خطوة. مثل راقصة تعرّ» قالها ضاحكًا ثم أضاف: «عليك أن تلعب بعقولهم قليلًا».

وعلق الكاتب: «كان هناك شيء من التآمر في الطريقة التي نطق بها تلك الكلمات الساخرة» وتابع: «يبدو أنه ظنّ أنه يمكنه الوثوق بي، وأني ربما أرغب في مشاركته في تضليل أبناء شعبه».

ورغم تشكيك بعض المواطنين من خلال مجموعة من المنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي بصحة كون الصورة تنتمي لسيف الإسلام القذافي إلا أن بعض الصحافيين أكدوا أنهم التقوا معه شخصيا قبل سنوات بنفس الهيئة وبنفس القيافة.

توقيت نشر المقابلة رغم أنها أجريت منذ شهر ايار/مايو الماضي يظهر أنها جاءت في معترك التجهيز للانتخابات، وقرب اقفال سجل الناخبين لتحفيز التيار المناصر للقذافي للتسجيل والانتخاب.

وضمن معترك التجهيزات دخل حفتر وبقوة أيضا حيث شهد هذا الأسبوع اغتيال أحد أبرز قادة حفتر والمعروف باسم محمد الكاني والمسؤول عن كافة قضايا القتل الجماعي والمقابر الجماعية والفردية في مدينة ترهونة.

حيث أكدت مصادر محلية من مدينة بنغازي الواقعة شرق ليبيا لـ«القدس العربي» صحة الأنباء المتداولة عن مقتل محمد الكاني آمر اللواء التاسع مشاة والمعروف بميليشيا الكانيات، في منطقة بوعطني بمدينة بنغازي.

وأضافت ذات المصادر أن القيادي في الكانيات محمد الكاني، كان قد قتل على يد ميليشيا طارق بن زياد التابعة لنجل حفتر صدام وبتحفيز مباشر منه.

وتابع المصدر الذي رفض ذكر اسمه أن محمد الكاني قد قتل في مزرعة يقيم فيها بمدينة بنغازي رفقة عبدالباري الشقاقي ووليد البشير، فيما ألقت الميليشيا القبض على شخص يدعى اسماعيل شرود.

وفور تداول الخبر انطلقت احتفالات في مدينة ترهونة، بمقتل محمد الكاني، عقب تورطه في جرائم قتل وإبادة جماعية في المدينة أثناء سيطرتهم عليها بدعم من حفتر.

وفور إعلان الخبر بدأت ردود الفعل المحلية بالتصاعد وكان أولها من رابطة الضحايا بمدينة ترهونة التي استنكرت اغتيال محمد الكاني آمر ميليشيا الكانيات، وإعدامه خارج إطار القانون، من خلال بيان رسمي أصدرته الرابطة التي تمثل أهالي ضحايا المقابر الجماعية بمدينة ترهونة جنوب شرق طرابلس.

وقالت الرابطة، إن محمد الكاني يحمل معلومات وأسرارا عن المقابر الجماعية ومرتكبيها، والعديد من الجرائم الجنائية التي تحتاجها الرابطة لاستكمال التحقيقات، وعدم قفل الملف بموته.

وطالب البيان مكتب النائب العام بفتح تحقيق عاجل، وتسليم باقي المجرمين الموجودين في المنطقة الشرقية للقضاء.

وحملت الرابطة وزارة الداخلية الليبية مسؤولية الانفلات الأمني، مطالبة بتسليم جثمان الكاني للجهات المختصة لأخذ عينات تحليل البصمة الوراثية، للتأكيد على هويته وضمان عدم إفلات المجرمين من العقاب.

ويرى محللون أن هذا الاغتيال لشخصية كهذه جاء مع اقتراب الانتخابات ومع رغبة حفتر الترشح لرئاسة البلاد، وفي إطار التصفية لخصومه، للترشح بسجل خال من الجرائم والأعداء.

حفتر لم يكتف بقتل الكاني في إطار التحضير للانتخابات وانما باشر في توزيع أوراق للحصول على بيان المواطنين في مدن سيطرته وتتضمن الأرقام الوطنية ورقم المركز.

الأزمة السياسية في تونس

توجسات الجزائر تبررها الأوضاع الأمنية المتوترة على كل حدودها، من ليبيا إلى حدودها الجنوبية مع الساحل خاصة في مالي والنيجر، إلى جانب الصحراء الغربية وتدهور العلاقات مع المغرب.

الجزائر – «القدس العربي»: رضا شنوف

شكلت الأحداث الأخيرة التي عرفتها تونس مصدر قلق كبير لدى الجزائر، بسبب ما يمكن ان ينجر عن التحاق تونس بركب الدول غير المستقرة في المنطقة من ارتدادات عليها في ظل التكلفة الكبيرة التي تدفعها سنويا جراء الأوضاع في ليبيا وباقي دول الساحل المحيطة.

ولم تصدر الجزائر أي بيان صحافي بخصوص موقفها من القرارات التي اتخذها الرئيس تونسي قيس سعيد بإعفاء رئيس الحكومة هشام المشيشي من منصبه وتعليق عمل البرلمان لمدة شهر، وهي القرارات التي خلفت جدلا واسعا في الشارع وصلت إلى حد مواجهات محدودة بين أنصار ومعارضي الرئيس، ومخاوف من تفجر الأوضاع.

وبحكم إدراك قيس سعيد حساسية الجزائر من أي انفلات للوضع في تونس، اتصل بنظيره الجزائري عبد المجيد تبون، في أول اتصال خارجي له بعد قراراته يوم 25 تموز/يوليو، وجاء في بيان لرئاسة الجمهورية الجزائرية أن الرئيس تبون، تلقى «مكالمة هاتفية من أخيه قيس سعيد رئيس الجمهورية التونسية، تبادلا فيها مستجدات الأوضاع في الشقيقة تونس» كما تطرق الرئيسان، حسب البيان «إلى آفاق العلاقات الجزائرية التونسية وسبل تعزيزها».

وبعد يوم من الاتصال وصل وزير الخارجية الجزائري إلى تونس في إطار زيارة كانت مبرمجة مسبقا، حمل خلالها رسالة إلى الرئيس التونسي من نظيره الجزائري، كما التقى وزير الخارجية التونسية عثمان الجرندي، وقال لعمارة بعد لقائه بالرئيس التونسي بانه «تبادل المعلومات مع سيادة الرئيس حول عدد من القضايا الإقليمية والقارية التي تهمنا، كما استعرضنا عددا من التحديات على مختلف المستويات» وأضاف بأن «تونس الشقيقة كانت دائما حليفة للجزائر، التي ترغب في بناء علاقات مثالية مع تونس». في المقابل نقلت وكالة «رويترز» عن مسؤول سياسي تونسي قوله إن «الجزائر حثت سعيد ومعارضيه على الامتناع عن أي مواجهات للحيلولة دون المزيد من زعزعة الاستقرار أو تدخل قوى خارجية».

وتكشف تصريحات السياسي التونسي حجم التوجس الجزائري من انفراط الوضع في تونس، ومحاولتها الدفع بطرفي الأزمة إلى التوصل إلى حلول في أقرب وقت لتجنب أي تطورات سلبية للوضع السياسي التونسي.

ورأى ملاحظون في الجزائر وتونس، ان قيس سعيد وراشد الغنوشي رئيس حركة النهضة قد تراجعت حدة خطاباتهما ومواقفهما مقارنة باليوم الأول من الأزمة، وأرجعوا ذلك إلى اتصالات خارجية ومن بينها الجزائر ساهمت في هذا التراجع.

توجسات الجزائر تبررها، حسب متابعين، الأوضاع الأمنية المتوترة على كل حدودها، على غرار الوضع في ليبيا الذي استنزف من الجزائر جهدا وانفاقا عسكريا كبيرا لتأمين حدودها التي تناهز 1000 كيلومتر على مدار سنوات الحرب، ونفس الأمر على حدودها الجنوبية مع الساحل خاصة في مالي والنيجر في ظل الانهيار الأمني وخطورة الجماعات الإرهابية النشطة في هذه المنطقة والآثار الأمنية الكبيرة على الجزائر، إلى جانب الوضع في الصحراء الغربية وعلاقات الجزائر مع المغرب التي وصلت إلى مستويات دنيا خلال المدة الأخيرة ولحد استدعاء سفير الجزائر بالمغرب.

هذا الوضع يدفع الجزائر للرمي بكل ثقلها من أجل منع أي تدهور للوضع في تونس، من خلال تقريب وجهات النظر ودفع الطرفين للتحاور، وتستغل في ذلك علاقاتها المتميزة مع تونس.

وفي هذا السياق يرى المحلل السياسي والإعلامي محمد سيدمو ان الجزائر تميزت في تعاطيها «مع الأزمة التونسية منذ ثورة الياسمين، بالتزام مقاربة متزنة تقوم على الحفاظ على الدولة التونسية وتقويتها عبر المساعدات المادية والتعاون الأمني لمكافحة الإرهاب الذي طرأ على البلاد التونسية في السنوات الأخيرة، وذلك دون أي مقايضة للجانب التونسي أو التدخل في شؤونه الداخلية أو تغليب أي طرف سياسي على الآخر».

واعتبر سيدمو في تصريح لـ«القدس العربي» أن هذه الاعتبارات أكسبت «الجزائر احتراما كبيرا في تونس فكانت علاقتها جيدة مع حركة النهضة التي زار رئيسها راشد الغنوشي الجزائر عدة مرات أو مع باقي الأطراف السياسية المحسوبة على التيار البورقيبي».

وفي رأي المتحدث فإن الجزائر قد تكون أحسن «وسيط خارجي مأمون في هذه الفترة إذا تطورت الأزمة وفشلت الأطراف الداخلية في فك خيوطها، ذلك أن الجميع يدرك في تونس ان الجزائر بعيدة عن لعبة المحاور الكبرى المتربصة بتونس سواء من قوى خليجية أو من تركيا أو من القوى الاستعمارية التقليدية».

ويرى الإعلامي ورئيس موقع «قدس برس» محمد رابح أن «الجزائر تملك علاقات قوية مع تونس بحكم الجوار أولا ولوجود علاقات اقتصادية ومصالح متبادلة لعل أهمها استفادة تونس من الطاقة والغاز الجزائري، وتحتفظ أيضا بعلاقات طيبة جدا مع كل الأطراف السياسية في تونس وعلى رأسهم رئيس تونس قيس سعيد».

ويقول محمد رابح لـ«القدس العربي» إن كل هذه العوامل تجعل «من الطبيعي أن تكون الجزائر على اطلاع ما يجري في تونس ويجعل القيادة التونسية دوما حريصة على التشاور وأخذ آراء الجزائر، وقد برز ذلك في الاتصال الذي أجراه قيس سعيد بعد قراراته الأخيرة مع الرئيس الجزائري وهو الاتصال الوحيد مع رئيس آخر إلى حد اليوم والزيارة التي قام بها وزير الخارجية رمطان لعمارة إلى تونس بعد ذلك تشير إلى رغبة جزائرية في تقديم العون.»

وقال المتحدث في إجابته عن انعكاسات الأزمة التونسية على الجزائر بأن «تونس تمثل خاصرة للجزائر والسلطات في الجزائر حريصة على الاستقرار في تونس». وحسبه فإن «أي تردي للوضع الأمني في تونس ينعكس على الجزائر ويشكل عاملا ضاغطا في ظل تدهور الأوضاع في ليبيا» مشيرا في هذا السياق إلى أن «التعاون الأمني بين البلدين هو على أعلى مستوى خصوصا في السنوات الأخيرة لمكافحة الإرهاب الذي برز كظاهرة في تونس منذ سنوات».

وفيما يتعلق بمخاوف الجزائر من فتح الأزمة السياسية في تونس باب التدخلات الأجنبية في المنطقة، فقال مدير موقع «سبق برس» بأن «التأزم في تونس يخدم وجود قوى إقليمية ضاغطة وهو ما يدفع الجزائر لدعم الجهود المبذولة للاستقرار لتفادي تحول تونس لحلبة صراع جديدة بين قوى إقليمية لديها حلفاء على الأرض في تونس».

مصدر قلق جديد بالنسبة للجزائر

حدث الأسبوع

تونس تتجه إلى نظام رئاسي بعد تعديل الدستور وإجراء انتخابات مُبكرة

تونسيون مؤيدون لإجراءات الرئيس

رشيد خشانة

في أعقاب أزمة سياسية حادة، استمرت أكثر من ستة شهور، وزعزعت معنويات المجتمع، بينما هو في حرب مع وباء «كوفيد–19» وتوابعه، اختار رئيس الجمهورية تجميد مجلس النواب، وهي عبارة غير موجودة في الدستور، فيما منح ضباط من الجيش رئيس مجلس النواب راشد الغنوشي ومساعديه من الدخول إلى مقر المجلس.

وتمثلت التدابير الاستثنائية التي اتخذها رئيس الجمهورية في استحواذه على السلطة التشريعية، إذ صار يُشرع بالمراسيم، في ظل تعليق نشاط البرلمان، والسلطة التنفيذية إذ استأثر بسلطات رئيس الحكومة، هشام المشيشي الذي أجبر على الاستقالة، بالإضافة إلى السلطة القضائية من خلال قراره ترؤُس النيابة العمومية.

ووصفت «جمعية القانون الدستوري» الإجراءات الاستثنائية بالانقلاب، وتضم الجمعية فقهاء القانون الدستوري، وهم من زملاء قيس سعيد، الذي كان يعمل في خطة أستاذ مساعد للقانون الدستوري قبل صعوده إلى سدة الرئاسة.

إلا أن الضغوط التي مارستها جمعيات أهلية، من بينها جمعية القضاة، حملت الرئيس على إعلان تخليه عن رئاسة النيابة العامة. وبموجب البند 80 من الدستور، الذي استند عليه رئيس الجمهورية لتبرير العملية الانقلابية لا يحق له حل البرلمان، ولذا لجأ إلى عبارة «تعليق نشاط المجلس» مع تحديد سقف للتعليق بثلاثين يوما. لكن الأرجح أنه سيمدد الفترة لأن من الصعب تسمية رئيس للحكومة ومنحه فرصة تشكيل طاقمه الحكومي في شهر واحد.

في المقابل سيطرح تشكيل حكومة جديدة تحديا كبيرا للرئيس، لأن الدستور يقضي بأن مجلس النواب هو الذي يُجيز الحكومة، بغالبية الأصوات، ويمنحها الثقة. فهل سيضطر إلى دعوة المجلس للانعقاد، مُخالفا بذلك قرار التعليق، أم سيكتفي بأداء أعضاء الحكومة المعينين القسم أمامه، مع أنه إجراء غير دستوري؟

وعلى الرغم من أن البند 80 من الدستور يشترط استشارة رئيسي مجلس النواب والوزراء قبل حل البرلمان، فإن الاثنين أكدا أنهما لم يُستشارا في الأمر، خاصة أن علاقاتهما مع رئيس الجمهورية كانت متدهورة أصلا.

أزمة طال أمدها

أتت هذه الإجراءات في أعقاب أزمة سياسية طال أمدها، وتمثلت في صراع علني ومفتوح بين رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب، الذي يتزعم في الوقت نفسه «حركة النهضة» الحزب الأول في البرلمان، لكنه لا يملك الغالبية.

واستطاعت «النهضة» أن تُؤمن وسادة تُراوح بين 120 و130 نائبا لدعم حكومة المشيشي.

إلا أنها لعبت دورا سلبيا، في تردي المناخ السياسي في الفترة الماضية، بحسب مراقبين، لكونها لم تقدر على امتصاص الاستفزازات التي تعرضت لها من رئيسة «الحزب الدستوري الحر» عبير موسي، وهي أعلى الأصوات المُطالبة بإلغاء مكاسب ثورة 2011 وإعادة تركيز منظومة الرئيس الراحل زين العابدين بن علي. وكانت موسي تدعو علنا إلى إعادة القيادات النهضوية إلى السجون، وتنحية الغنوشي من رئاسة مجلس النواب.

كما لجأت في مناسبات متكررة، إلى تعطيل جلسات البرلمان، باستخدام مكبرات الصوت أثناء الجلسات، فتحولت المداولات، أحيانا، إلى حلبة عراك بين نواب «النهضة» ونواب كتلة حزب موسي. وجعلت تلك المشادات والملاسنات الرأي العام يضجر من تلك المشاهد، التي كان التلفزيون العمومي يبثها على الهواء، وشعر الرأي العام بالنقمة على جميع السياسيين.

وكان واضحا في الفترة الأخيرة أن غضب الرأي العام زاد حدة بدرجات كبيرة، مثلما أظهرت ذلك استطلاعات الرأي، بسبب تعطُل أعمال البرلمان، فيما ظلت مشاريع القوانين عالقة.

والثابت أن موسي، لعبت دورا محوريا في تهيئة الأجواء للحركة التي قام بها رئيس الجمهورية. لكن اللافت أنها لاذت بالصمت منذ الأحد الماضي، مع تأكيدها عبر وسائل التواصل الاجتماعي دعمها المطلق لما فعله الرئيس.

على هذا الأساس يجوز أن يتساءل المرء هل ما زال لهذا الحزب من دور في المستقبل، علما أن رئيسته تحتكر كافة السلطات داخل الحزب، وهي الوجه الإعلامي الوحيد الذي يتحدث إلى وسائل الإعلام.

مسؤولية «النهضة»

ويُحمل المحللون قسما كبيرا من المسؤولية عن تردي الأوضاع، إلى قيادة «النهضة» التي رفضت الاستماع إلى أصوات العناصر الإصلاحية داخل الحركة، ما أدى إلى إرجاء المؤتمر العام، بسبب الخلافات على خريطة الطريق. وتعلقت بالحزب، على امتداد السنوات الأخيرة، صورة سلبية مردُها الاستفراد بالقرار والاعتماد على الأسرة والأقرباء والتغطية على أخطاء المُخطئين. ولوحظ أن كثيرا من الضالعين في ملفات الفساد انضموا إلى «النهضة» لضمان الإفلات من المحاسبة.

أكثر من ذلك، كشفت تقارير قضائية أن رئيس الحركة راشد الغنوشي على صلة باغتيال الزعيمين المعارضين شكري بلعيد ومحمد براهمي في العام 2013. وجددت أخيرا هيئة الدفاع عن الزعيمين المغدورين تحريك الملف القضائي.

أزمات متشابكة

سيتعين على الحكومة التي سيتم تشكيلها أن تُجابه ملفات حارقة تزداد كل يوم تعقيدا، في مقدمها احتواء أزمة «كوفيد–19» التي عجزت السلطات عن مقاومتها ومحاصرتها، بالرغم من المساعدات التي أتت من دول عدة.

وثاني التحديات يتعلق بحلول ميقات تسديد ديون، فيما اقتصاد البلد مُتضرر جدا من الإجراءات الوقائية، وخاصة من حظر الجولان عشر ساعات في اليوم، وتراجع إيرادات القطاعين الصناعي والسياحي. وكانت تونس سددت قرضا مُستحقا للبنك الدولي الشهر الماضي باللجوء إلى البنك المركزي، الذي اقترض المبلغ من المصارف المحلية، وهو قرض قصير المدى لا يتجاوز استحقاق تسديده ثلاثة أشهر وبسعر فائدة أعلى من 6 في المئة.

ويشير خبراء اقتصاديون إلى أن قرضا آخر سيحل ميقات تسديده الخميس المقبل، لكن سيتعذر على الحكومة الجديدة، إن تشكلت، أن تجد احتياطيا يُمكن من تسديده. كما أنها لن تكون قادرة على السيطرة على هذا الملف الشائك، بسبب الاضطرار إلى طلب قروض جديدة لتسديد أخرى قديمة. ولعل هذا ما حمل سعيد على البحث عن رئيس حكومة من عالم المال والأعمال.

460 رجل أعمال مورطون في قضايا فساد؟

أما الواجهة الثالثة التي سيتعين على الحكومة الاشتغال عليها، فهي ذات طابع قضائي، وتتعلق بملفات عالقة منذ 2011 تخص 463 رجل أعمال ومسؤولا سابقا، مورطون في قضايا فساد مالي، سيُحالون على القضاء، ومن بينهم الرئيسة السابقة لـ«هيئة الحقيقة والكرامة» سهام بن سدرين، التي يتردد في الأوساط القضائية أن القيادي في «النهضة» نور الدين البحيري هو من كان وراء اختيارها لهذا المنصب، لما كان وزيرا للعدل في حكومة قادتها «النهضة» بين 2011 و2013.

وحض الرئيس سعيد المُشتبه بهم في قضايا فساد، على إبرام صلح مع القضاء والتعهد باستثمار الأموال المُستعادة في إقامة مشاريع تنموية في المحافظات المحرومة. وقدر سعيد في اجتماع مع رئيس منظمة أرباب العمل، القيمة الاجمالية للأموال المنهوبة بـ13.5 مليار دينار (4.5 مليارات دولار).

تعديل الدستور

أما على الصعيد التشريعي فالأرجح أن الرئيس سعيد سيباشر في الفترة المقبلة إجراءات تعديل على الدستور، من أجل الانتقال من النظام البرلماني إلى النظام الرئاسي، وهو ما وعد به خلال حملته الانتخابية، وكرره بعد ذلك في مناسبات عدة. ولم يُخف منذ ما قبل اعتلائه سدة الرئاسة، برمه بالأحزاب السياسية وقلة ثقته بها، ويتردد أنه سيستثمر تعديل الدستور المرتقب لتحجيم دور الأحزاب في الحياة السياسية عموما، وأثناء المحطات الانتخابية بشكل خاص.

ويعتقد سعيد أن الديمقراطية ينبغي أن تُبنى بالاعتماد على الحكم المحلي والمجالس الجهوية المنتخبة، ما رأى فيه خبراء قانونيون استنساخا لتجربة «البلديات» أو «اللجان الشعبية» في النظام الذي أرساه معمر القذافي (1969–2011) في ليبيا. والأرجح أن سعيد سيُدمج هذه الأفكار في مشروع تعديل الدستور قبل عرضه على الاستفتاء الشعبي.

بالمقابل هناك من الحقوقيين ونشطاء المجتمع المدني من اعتبر التعديلات المزمع إدخالها على دستور 2014 الذي نقل تونس إلى الجمهورية الثانية، تأسيسا لحكم رئاسي فردي تطغى فيه رئاسة الجمهورية على باقي السلطات. غير أن المجتمع المدني مُتحفز منذ الآن لمعارضة أية تعديلات يمكن أن تُعيد البلد إلى المربع الأول. ويكمن هنا الفرق بين السيناريو المصري في 2013 والسيناريو التونسي الحالي، إذ لم تُسجل اعتقالات بالجملة ولا صلاحيات واسعة للجيش الذي بقي في الصف الثاني، وظلت وسائل الإعلام تتطرق للقضايا السياسية من دون قيود، وتستضيف مؤيدين ومعارضين للانقلاب الناعم.

حذر من تكرار سيناريو مصر

والظاهر من خلال تعاليق العواصم الإقليمية والدولية على ما جرى في تونس، أن تلك العواصم نصحت بالحذر من تكرار السيناريو المصري، وتفادي العنف والقمع، كي تتم عملية تعليق العمل بالدستور بسلاسة. وكان تشابه المضامين، وحتى العبارات بين البيانات التي أصدرتها الخارجية الأمريكية والدول الأوروبية، أمرا لافتا، فقد اتفقت على استبعاد عبارة الانقلاب وأيدت حركة الرئيس سعيد، مع التشديد على ضرورة احترام الحريات والالتزام بالقوانين ومنح دور مركزي لمكونات المجتمع المدني في الخروج من الأزمة.

ويُستشف من خلال قراءة تلك البيانات أن هناك موقفا دوليا وإقليميا عاما قد يكون تبلور قبل الأحد 25 من الشهر الماضي، ويقوم على تأييد تجميد مجلس النواب وتحجيم حركة «النهضة» ورفع الحصانة عن النواب كي يُتاح للسلطات القضائية استجواب المشتبه بهم من أعضاء البرلمان ومن خارجه.

غير أن الخارجية الأمريكية رفضت، على لسان الوزير أنتوني بلينكن، حل البرلمان ونزع الحصانة عن جميع النواب.

متابعة دقيقة من عواصم القرار

ولوحظ في هذا السياق أن الانقلاب الأبيض في تونس لاقى متابعة دقيقة من عواصم القرار سواء الأميركي أو الأوروبي أو التركي، وأكدت الغالبية أنهم يأملون المحافظة على التجربة الانتقالية التونسية بوصفها أنموذجا فريدا في المنطقة. وكان الإيطاليون أعلى الأصوات تأييدا لإجراءات الرئيس سعيد انطلاقا من أن وجود نظام قوي في تونس يساعدهم على النجاح في الحرب على تدفق المهاجرين غير النظاميين من الضفة الجنوبية للمتوسط إلى سواحل إيطاليا.

تركيا: موقف متغير

واتخذ الأتراك، الذين تربطهم بتونس مصالح اقتصادية كبيرة، موقفا أوليا برفض تزكية الانقلاب الأبيض، لكنهم سرعان ما غيروا موقفهم، على الرغم من العلاقة الخاصة بين راشد الغنوشي والرئيس اردوغان. أما الفرنسيون فبدوا كمن يُعطي التوجيهات إلى الرئيس التونسي، مُستعجلين تسمية رئيس للحكومة، مع حضه سلفا على السرعة في تشكيلها.

وذكرت تعليقات وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان على أحداث تونس، بالدروس التي اعتاد الرئيس إيمانويل ماكرون ووزراؤه على إعطائها، علنا، للسياسيين اللبنانيين، أو لرؤساء بعض البلدان الأفريقية المرتبطة بفرنسا.

قصارى القول أن الخطوات المقبلة التي سيتخذها الرئيس سعيد ستضعه بشكل مستمر تحت مجهر الدول الأجنبية التي تُصنف في خانة «شركاء تونس» ما يجعل هامش حركته ضيقا إلى أبعد الحدود.

انقلاب قيس سعيّد: مَن يشبع تعطش الاستبداد؟

صبحي حديدي

شرائح غير قليلة ممّن هاجموا المرشح الرئاسي قيس سعيّد بذريعة أنه واجهة «حركة النهضة» ودمية يحرّكها راشد الغنوشي، هم اليوم أنفسهم الشرائح التي تصفّق لتفسيراته الانقلابية للفصل 80 من الدستور؛ وليس بعيداً ذلك الزمن الذي شهد تصفيقاً مماثلاً، متواصلاً حتى الساعة، للتهريج الديماغوجي الذي طبع سلوك عبير موسي داخل البرلمان وخارجه. هذه، باختصار شديد لعله ليس مجحفاً، هي حال نُخَب تونسية اعتادت أن تستجير من الرمضاء بالنار، متناسية أنّ الذي أتى به صندوق الاقتراع، يتوجب أن يقصيه ذاتِ الصندوق، وليس أيّ انقلاب صريح أو مقنّع لا يخفى فيه ظلّ دبابة العسكر الطويل.

وليس المرء بحاجة إلى التبحّر في فقه الدستور التونسي كي يدرك أنّ الفصل 80 لا يخوّل الرئيس اتخاذ غالبية الإجراءات التي لجأ إليها، بليل كوفيدي دامس كما قد يصحّ القول، بل يُقام نصّ الفصل ذاته دليلاً على المحتوى الانقلابي والتعسفي والتسلطي والفردي في الغايات السياسية خلف تأويلات تستغفل عقول الناس علانية وعلى النحو الأشدّ صفاقة. فكيف يستقيم تأويل سعيّد للاشتراط الذي يستوجب بقاء البرلمان في حال انعقاد دائم خلال مدّة الـ30 يوماً من سريان مفعول الإجراءات الاستثنائية، إذا كان الرئيس قد ابتدأ المشوار بتجميد عمل البرلمان؟ وكيف يستقيم تفقّه سعيّد في قراءة النصّ الخاص بالتشاور الدائم مع المحكمة الدستورية، إذا كانت المحكمة غير موجودة أصلاً. وكان سعيّد هو نفسه الذي عطّل تأسيسها؟ وماذا عن إلزام الرئيس بالتشاور مع رئيس البرلمان ورئيس الحكومة، إذا كان سعيّد قد أطاح بالكثاني وأغلق بوابة البرلمان بدبابة؟

وعلى جانب آخر من معادلات الانتهاك العديدة التي انزلق إليها سعيّد، منذ متى كان من صلاحيات الرئيس (دستورياً بالطبع، وليس انقلابياً) إقالة مدير التلفزيون الرسمي، أو إرسال أمن الرئاسة لاعتقال نائب في البرلمان بالنيابة عن أجهزة القضاء المختصة، أو الزعم بحماية الحقوق والحريات وفي الآن ذاته التزام الصمت المطبق إزاء اقتحام مكاتب «الجزيرة» ومنع صحافييها من العمل؟ وكيف، في صفوف نخب التطبيل لإجراءات سعيّد، يسكت زاعمو الدفاع عن الديمقراطية عن مسعى حاكم قرطاج الأوحد للاستئثار بالسلطات الثلاث، التنفيذية والتشريعية والقضائية؟ ثمّ، على نحو محدد يثير أسى من طراز خاصّ، كيف يواصل «الاتحاد العام التونسي للشغل» الصمت، أو حتى التواطؤ الضمني من بعض قياداته، مع سلسلة الإجراءات الانقلابية؛ وهو منظمة فرحات حشاد ومحمد الفاضل بن عاشور، العريقة نقابياً وسياسياً؟ وأين الفصحاء من كبار الكتّاب والمثقفين والمنظّرين، الذين اعتادوا انتقاد سعيّد و«حركة النهضة» وكامل المشهد الحزبي في تونس؛ وأين، بين هؤلاء، وجوه «اليسار» و«العلمانية» و«التنوير»، فضلاً عن حفيدات وأحفاد الطاهر الحداد بصفة خاصة، كيلا يتحدث المرء عن مدّعي وراثة البورقيبية، خارج دوائر «الدستوري الحرّ» وديماغوجيات عبير موسي؟

ولعلّ من الخير للصامتين اليوم، وليس للذين يصفقون لإجراءات سعيّد الانقلابية فهؤلاء على شاكلة كبيرهم الانقلابي، أن يتبصروا جيداً في الأكلاف الفادحة التي سوف يتوجب عليهم سدادها أمام الضمير الشعبي الجَمْعي في تونس اليوم، وفي تونس الغد، مثلما في الضمير العربي والكوني الذي تعاطف مع انتفاضة الشعب التونسي ويراقب المشهد ببصيرة ثاقبة لن توفّر الحساب والملامة والمسؤولية ذات ساعة آتية. والحقيقة التي تقول إنّ انتخاب سعيّد للرئاسة، ورغم ما حظي به من مساندة «النهضة»، كان نذيراً بأنساق شتى من إفلاس الأحزاب التقليدية، يسارية كانت أم يمينية وعلمانية أم إسلامية؛ تصلح أيضاً لصناعة حقيقة اليوم التالي، من أنّ هذا الرجل الـ Outsider لن يقتات في تصعيد ذاته الدكتاتورية على ما تبقى من أشلاء تلك الأحزاب، بل سيحتاج إلى الاستدارة نحو المصفقين أنفسهم لإشباع تعطشه إلى الاستبداد. ولهم في تجربة نُخب مصر مع السيسي عبرة وقدوة، لو كانوا يعلمون.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ

تونس والمأزق الدستوري

مبنى الحكومة في القصبة

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

ما يزال الجدل محتدما في تونس بشأن الإجراءات التي اتخذها الرئيس قيس سعيد والمتمثلة أساسا في تجميد نشاط البرلمان لمدة شهر، ورفع الحصانة عن النواب، وإعفاء رئيس الحكومة من مهامه، مع إشراف سعيد شخصياً على النيابة العمومية في عملية تتبعها للملفات الفساد. فهناك من دعم هذه القرارات واعتبرها تصحيحا لمسار ديمقراطي وليد حاد عن أهداف في السنوات الأخيرة، فيما اعتبرها البعض الآخر انقلابا من قبل ساكن قرطاج على الشرعية والتفافا منه على الدستور الجديد الذي أقسم هو نفسه على احترامه عند تسلمه لمهامه.

وانتقل هذا الجدل على ما يبدو إلى خارج الديار وتحديدا إلى أصدقاء تونس الإقليميين والدوليين، الذين لم يستوعب أغلبهم ما حصل، وبقي الغموض هو السائد بالنسبة إليهم فيما يتعلق بطبيعة هذه الإجراءات، وتجلى ذلك في مواقفهم ومواقف المنظمات الدولية والإقليمية. وتتميز ردود أفعالهم في أغلبها بالضبابية وعدم الوضوح نتيجة لحالة الشك والريبة حول طبيعة ما حصل، فلم يجزموا بأي من وجهتي النظر المتباينة من الفريقين، وتأجل الحسم على ما يبدو بالنسبة إليهم بحسب التطورات التي سيشهدها هذا الملف خلال هذا الشهر الحاسم والمصيري للتونسيين ولأصدقائهم.

خلل إجرائي

وينص الفصل 80 من الدستور التونسي الجديد والذي استند إليه سعيد في قراراته تلك، على أن رئيس الجمهورية بإمكانه أن يتخذ تدابير تحتمها الحالة الاستثنائية المتمثلة في وجود خطر داهم مهدد لكيان الوطن وأمن البلاد واستقلالها بما يتعذر معه السير العادي لدواليب الدولة. ويتم ذلك، حسب الفصل الدستوري المذكور، بعد استشارة رئيس الحكومة ورئيس مجلس نواب الشعب وإعلام رئيس المحكمة الدستورية، ويعلن عن تلك التدابير في بيان موجه إلى الشعب.

ويستند بالأساس من يعتبرون أن ما حصل هو انقلاب، على أن سعيد لم يستشر صاحب القصبة (رئيس الحكومة) والمؤتمن على قصر باردو (رئيس مجلس النواب) فيما يصر رئيس الجمهورية على أنه أعلم الغنوشي والمشيشي وبالتالي فالإجراءات صحيحة بالنسبة إليه. كما يستند أصحاب نظرية الانقلاب على أن اللجوء إلى الفصل 80 يقتضي وجود المحكمة الدستورية العليا التي يجب إعلامها بالأمر، في حين أن المحكمة لم يقع تركيزها بعد بالنظر إلى الخلافات التي نشأت حول ثلث الأعضاء الذي يختاره مجلس النواب.

والحقيقة أن سعيد كان قد رفض التوقيع على مشروع قانون التعديلات المتعلقة بالتحكمة الدستورية منذ أشهر قليلة، مثلما رفض أيضا أن يؤدي الوزراء الذين تمت تسميتهم مكان الوزراء الموالين له اليمين أمامه في قصر قرطاج. وبالتالي وجدت البلاد نفسها في مأزق حقيقي في غياب هذه المحكمة التي تعتبر حجر الأساس في هذا النظام السياسي، باعتبارها ليست فقط الجهة التي تستشار من الرئيس والبرلمان عند اتخاذ قرارات هامة، بل هي أيضا الجهة الوحيدة المخولة لتأويل نصوص الدستور عند حصول خلاف حولها شبيه بالخلاف الحاصل اليوم.

تأويلات متعددة

وبالتالي تبقى كل التأويلات في غياب المحكمة الدستورية العليا، بما في ذلك التأويل الذي استند عليه قيس سعيد في اتخاذ قراراته، مجرد اجتهادات لا غير وتحتمل الخطأ والصواب، ولا يمكن الجزم بصحتها أو بخطئها. وللإشارة فقد سبق وأن تم تجاوز مسألة غياب المحكمة الدستورية العليا إثر وفاة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي حيث تم تنصيب رئيس مجلس النواب محمد الناصر رئيسا للجمهورية خلفا للباجي بدون العودة إلى المحكمة الدستورية غير المُشكلة، وحظي هذا الإجراء بالقبول من الأطراف السياسية.

ويرى البعض أنه يجب على سعيد أن يصحح الإجراءات ويتجاوز الاخلالات التي قام بها عند اتخاذ قراراته، ومن ذلك العودة إلى استشارة رئيس البرلمان ورئيس الحكومة، وإبقاء مجلس نواب الشعب في حالة انعقاد دائم طيلة هذه الفترة عملا بالفقرة الثانية من الفصل 80 من الدستور، أي يقوم برفع التجميد عنه. مع الحرص على عدم إقدامه على حل مجلس نواب الشعب، وعدم تقديمه للائحة لوم ضد الحكومة طيلة هذه الفترة لأن ذلك يتعارض قطعيا مع الفصل 80 من الدستور المشار إليه، باعتبار أن الهدف من هذه التدابير بالأساس هو تأمين عودة السير العادي لدواليب الدولة في أقرب الآجال وليس الانتقام والصراع بين الفرقاء السياسيين.

ويقضي الفصل 80 من الدستور أيضا أنه وبعد «مضيّ ثلاثين يوما على سريان هذه التدابير، وفي كل وقت بعد ذلك، يعهد إلى المحكمة الدستورية بطلب من رئيس مجلس نواب الشعب أو ثلاثين من أعضائه البتُّ في استمرار الحالة الاستثنائية من عدمه. وتصرح المحكمة بقرارها ذاك علانية في أجل أقصاه خمسة عشر يوماً، ويُنهي العمل بتلك التدابير بزوال أسبابها، ويوجه رئيس الجمهورية بيانا في ذلك إلى الشعب».

حتمية التوافق

ولعل السؤال الذي يطرح مرة أخرى ما هو الحل للخروج من هذه الأزمة في ظل غياب المحكمة الدستورية العليا التي سيتوجه إليها رئيس البرلمان أو ثلاثون من أعضائه للبت في استمرار الحالة الاستثنائية من عدمها؟ هل سيعلن رئيس البرلمان من تلقاء نفسه عن نهاية التدابير بعد أن يقدر من تلقاء نفسه أيضا أن أسبابها قد زالت استنادا إلى سابقتي تجاوز المحكمة الدستورية العليا في عملية تنصيب محمد الناصر رئيسا مؤقتا للجمهورية خلفا للراحل الباجي قايد السبسي والقرارات الأخيرة التي اتخذها سعيد؟ وماذا لو تم ذلك ورفض رئيس الجمهورية التوجه إلى الشعب ببيان لإعلامه بذلك وهو شرط أساسي لصحة الإجراء؟

يبدو البلد في مأزق دستوري حقيقي بعد الذي حصل ولا يمكن الخروج منه على ما يبدو إلا بتوافقات بين الأطراف المشكلة للمشهد السياسي. لكن المتنفضين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصحية المزرية قد لا يقبلون بعودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل يوم 25 تموز/يوليو. فالأوضاع لم تعد تحتمل مسكنات وهناك غضب شعبي واحتقان كبيرين، حتى أن البعض اعتقد أن ما اتخذه سعيد من إجراءات كان هدفه احتواء الشارع وامتصاص غضبه حتى لا يحصل ما لا يحمد عقباه.

ولعل الحقيقة المرة التي يكابر أغلب السياسيين ولا يرغبون في الاعتراف بها أنهم لا يسيطرون على الشارع، وعلى الأغلبية الصامتة التي يبدو أنها تحركت من أجل لقمة عيشها بعد أن سدّت كل الأبواب أمامها. فجماهير الأحزاب السياسية مجتمعة لا يتعدى تعدادها الثلاثة ملايين بالإستناد إلى نتائج الانتخابات الأخيرة لسنة 2019 فيما باقي الشعب وقدره تسعة ملايين، فإن سواده الأعظم إما لم يسجل أو أنه لم يعد واثقا بالعملية السياسية برمتها وكره الانتخابات ولم يعد واثقا أنها قادرة على التغيير، وهو ما حذرت منه أطراف عديدة لكن الأحزاب لم تعر يومها اهتماما لهذا الأمر وانصرفت منتشية لاقتسام كعكة الحكم.

سيناريوهات

وتبدو تونس اليوم أمام مفترق طرق حيث ان هناك سيناريوهات عديدة متوقعة في المرحلة المقبلة. ويؤكد المحلل السياسي والصحافي نزار مقني لـ«القدس العربي» أن السيناريو الأول هو ان تتجاوز تونس فترة الاستثناءات الظرفية بأن تكون هناك إصلاحات سياسية واسعة تخرج منها البلاد إلى تغيير النظام السياسي والاستفتاء حوله، ثم الذهاب نحو مرحلة سياسية جديدة يمكن تسميتها بـ «الجمهورية الثالثة». أما السيناريو الثاني – حسب مقني– فهو الذهاب نحو ديكتاتورية جديدة متأصلة خاصة أن رئيس الجمهورية يمسك بيده بالسلطات الثلاث. ومن هذا المنطلق – يعتبر محدثنا– بأنه يجب على المجتمع المدني في تونس ان يمارس دوره في الرقابة على رئيس الجمهورية وعلى الغطل السياسي من جهة.

وتتطلب المرحلة المقبلة، بحسب محدثنا، دراسة الأهداف الضرورية لإعادة الأمل للشباب التونسي من خلال العودة إلى الإنتاج لتحريك العجلة الاقتصادية وتحسين المؤشرات الاقتصادية، مما يجعل الاقتصاد يشهد نموا على الأقل في الأشهر القليلة المقبلة وهذا يستدعي تضافر الجهود خاصة ان الوضع الاقتصادي يشهد تدهورا كبيرا لا سابق له كان له تأثيره على المؤشرات الاجتماعية.

Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

هل ستنجو حركة النهضة من صواريخ سعيد؟

الغنوشي

نزار بولحية

قبل أكثر من عقد وعندما انتقلت من وضع الحركة التي تناكف الدولة وتقف على الضد تماما منها، إلى وضع الحزب الذي يشارك وفي مختلف المراحل التي تلت سقوط نظام بن علي ان كليا أو جزئيا في قيادة البلاد، كان ذلك بمثابة المغامرة التي تعاملت معها معظم الأوساط التونسية بحذر شديد وربما حتى بكثير من الريبة والشك. ولعل ذلك ما جعل حركة النهضة تسعى دائما وعلى امتداد الفترات التي مارست فيها الحكم إلى تقديم ما يشبه التطمينات وإبداء قدر كبير من حسن النوايا وصل حد تعهدها الضمني وربما حتى العلني لخصومها بأنها لن تقدم أبدا على السيطرة أو الانفراد بالسلطة حتى ولو سمحت لها صناديق الاقتراع بالحصول على أغلبيات مريحة، وهو الأمر الذي كان يبدو غير ممكن في ظل قانون الانتخابات التونسي الحالي. والمفارقة هي ان حرصها الشديد على التقيد بتلك التطمينات أو التعهدات وعدم مسكها بدواليب الدولة رغم كل ما ظل يروج داخل جزء كبير من الإعلام المحلي عن حدوث العكس، هو ما جعلها تقف اليوم في شبه عزلة في مواجهة واحد من أكبر التحديات التي مرت بها منذ تأسيسها، ولا يتعلق الأمر فقط بوجودها مستقبلا في السلطة بل حتى ببقاءها كمكون من مكونات المشهد السياسي الحالي والمقبل في البلاد. والسؤال الذي بات مطروحا بالحاح في خضم ما جرى في تونس هو كيف سيتصرف أكبر حزب تونسي مع الواقع الذي أفرزته التطورات الدراماتيكية التي حصلت ليل الأحد الماضي؟ وهل انه سيتمكن من الصمود بوجه ما وصفها الرئيس قيس سعيد في وقت سابق بالصواريخ الجاهزة للإطلاق والتي كشف عن عينة أو دفعة منها قبل أسبوع؟ أم ان مصير ذلك الحزب سيكون وكما يتمنى أو ربما حتى يرتب البعض لذلك هو التفكك والانحلال وتفرق قياداته ورموزه وأنصاره مجددا بين السجون والمنافي؟

معضلة ليست بسيطة

لاشك ان حركة النهضة واجهت وعلى مدى أكثر من أربعة عقود من عمرها مآزق ومخاطر وتهديدات كبرى سواء عندما كانت في صف المعارضة أو بعدما صارت في الجانب المقابل، أي في سدة الحكم. لكن كثيرا من العوامل الذاتية والموضوعية كانت تجتمع كل مرة لتجعلها تتخطى كل الصعوبات التي واجهتها ولو بعد دفع أثمان باهضة مثلما حصل في عهدي بورقيبة وبن علي أو في أعقاب تقديم تنازلات ظرفية أو تكتيكية مثلما حصل بعدها. غير ان الاختلاف يبدو واضحا هذه المرة من حيث ان مصدر التهديد يأتي لا من خارج سلطة معادية لها بشكل مبدئي أو من معارضة حزبية أو سياسية لحكمها، بل من داخل جزء من نظام كانت إلى حدود أيام قليلة فقط جزءا منه. وتلك في حد ذاتها معضلة ليست بالبسيطة. أما كيف كبرت كرة الثلج وتطورت الأمور بسرعة حتى وصلت إلى ذلك الحد؟ فإن ذلك يبقى أشبه باللغز. فكل ما يعرف حتى الآن هو انه وفي ختام يوم مشحون وقعت فيه إلى جانب بعض المظاهرات والاحتجاجات المحدودة وفي ظروف مريبة أعمال حرق مشبوهة لبعض مقار الحركة، جاءت قرارات الرئيس التونسي في ساعة متأخرة من الليل لتمثل وبالنسبة لجانب كبير من الراي العام المحلي لا زلزالا سياسيا أو انقلابا واضحا على الشرعية والمؤسسات، بل متنفسا حقيقيا من حالة الانسداد السياسي التي عاشتها البلاد بعد ان اختصر كثيرون وبفعل مراكمة عدة عوامل كل المشاكل والأزمات التي ظلت تتخبط فيها تونس في وجود النهضويين في السلطة، رغم ان هؤلاء لم يكونوا ممثلين في حكومة هشام المشيشي ولم يكونوا أيضا هم الطرف الوحيد الداعم والمساند لها في البرلمان.

الاستقتاء الشعبي

لقد اعتبرت مظاهر الفرح الشعبي التي غمرت معظم المدن التونسية دقائق قليلة بعد الإعلان عن القرارات الرئاسية بمثابة الاستفتاء الشعبي لا على مواقف الرئيس وتوجهاته للمرحلة المقبلة فحسب مع انه لم يكشف حتى الساعة عنها بعد، بل وبالأساس على شعبية حركة النهضة ومدى ثقة التونسيين بها في الحاضر والمستقبل. ولم يجد عدد من رجال القانون ومن الإعلاميين أيضا حرجا في ان يقولوا ان ذلك وحده كان يكفي لتجاوز مأزق الشرعية الدستورية وان مشروعية الشارع قد جبت ما قبلها وأسقطت فعليا كل شيء ولو كان الدستور نفسه. ولم تختلف مواقف معظم الأحزاب والمنظمات الاجتماعية الفاعلة كالاتحاد العام التونسي للشغل أحد أكبر التنظيمات النقابية في البلاد كثيرا عن ذلك بل تماهت وإلى حد كبير مع حالة الارتياح وحتى المباركة والتأييد التي أظهرها قسم واسع من ذلك الشارع لتلك الإجراءات، بل ان بعضها مثل حزب التيار الديمقراطي لم يتردد في ان يصدر الخميس الماضي بيانا ثانيا يؤكد من خلاله «تفهمه للإجراءات الاستثنائية التي اتخذها رئيس الجمهورية» في تناقض واضح مع ما كان قاله الإثنين الماضي في بيان أعرب فيه عن رفضه كل ما ترتب عن تأويل الرئيس للفصل 80 من الدستور من قرارات كانت خارج الدستور على حد وصفه. وهذا ما جعل حركة النهضة تبدو عاجزة عمليا عن تجميع كتلة قوية من الأحزاب والهيئات والنخب والمنظمات الاجتماعية والإعلامية للوقوف معها صفا واحدا في مواجهة ما اعتبرته انقلابا فاضحا على الدستور بعد ان خاب أملها في ان تتحول مواجهتها ورفضها لقرارات الرئيس إلى معركة شعبية أو حتى نخبوية واسعة النطاق لاستعادة الديمقراطية أما عبر الشارع مثلما حصل في الحالة التركية أو من خلال تكتل لكل القوى المؤمنة والمدافعة عن المشروع الديمقراطي. لكن المشكل هو ان جزءا كبيرا من تلك الوجوه ومن التنظيمات التي كانت تنسب إلى تلك القوى الديمقراطية لم ترغب في الوقوف مع الإسلاميين في خندق واحد ولو كان ذلك لغاية محددة وهي الدفاع المشترك عن قضايا الحريات وعن مصير تجربة الانتقال الديمقراطي الذي بات على المحك. بل ان عددا كبيرا من المنتسبين لها رأوا ان الفرصة قد سنحت لتصفية حسابات قديمة مع من ظلوا يطلقون عليهم «إخوان تونس» وانه لم يعد هناك مناص من الانتقام منهم والإجهاز عليهم بغض النظر عن الوسيلة أو عن التداعيات المحتملة لتلك العملية على بقاء المسار الديمقراطي أو زواله.

غير ان أهم سؤال بات يطرح نفسه بعدها هو هل ان الوقت ما زال يخدم النهضة أم انه فات الأوان لإعادة ترتيب الأوراق وللعودة مجددا إلى الساحة؟ ان ما يلفت الانتباه هنا هو انه لم يتم خلال الأيام الثلاثة الأولى التي تلت الخامس والعشرين من تموز/يوليو تاريخ القرارات والإجراءات التي أعلنها الرئيس سعيد، أخذ أي إجراء أو قرار ومن أي نوع كان بحق أي إجراء أو قرار ومن أي نوع كان بحق الحركة عدا ما نقلته وسائل الإعلام المحلية حول إعلان مصادر قضائية عن فتح تحقيقات في الرابع عشر من الشهر الجاري حول تمويل الحملات الانتخابية الأخيرة لثلاثة أحزاب من بينها حركة النهضة. وربما رد الرئيس سعيد وبشكل غير مباشر على ذلك حين قال في مقابلة الأربعاء الماضي مع رئيس الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة انه «لا يخاف أحدا لكنه لا يريد ان يظلم أحدا» في إشارة ربما إلى انه لن يلجأ لأسلوب التصفية الجماعية ووضع كل خصومه بمن فيهم النهضويون في سلة واحدة والحكم عليهم بالجملة.

العودة للمؤسسات الدستورية

يبقى هل ان ذلك يمكن ان يفهم على انه مؤشر ولو محدود على ان هناك أملا أو رغبة في التوصل إلى صيغة تسمح في وقت ما بالتوصل لحل يكفل العودة السريعة للمؤسسات الدستورية مثلما بدأت تطالب بذلك عدة أصوات في الداخل والخارج؟ بالنسبة لزعيم الحركة ورئيس مجلس النواب فإنه يرى ويعد مضي يومين من إجراءات 25 تموز/يوليو ان الوقت لم يفت بعد كي يتدارك سعيد ويوقف ما وصفه بـ«مسار التدهور نحو الدكتاتورية الدستورية» قبل ان يضيف في اليوم التالي وفي حديث إلى وكالة الأنباء الفرنسية ان حزبه «مستعد لتقديم أي تنازلات من أجل إعادة الديمقراطية» معتبرا انه «من الضروري ان يكون هناك حوار وطني حول كيف تكون لتونس حكومة». غير انه لا يبدو ان تلك الدعوة التي لم تكن الأولى للحوار والتعبير الواضح عن رفض التصعيد وصب الزيت على النار كما قال أحد القياديين النهضويين، لاقت آذانا صاغية حتى الآن في قصر قرطاج. بل ان عددا من المتابعين يرى ان ذلك لن يكون وعلى المدى القصير على الأقل ممكنا. كما ان عودة تونس للوضع الذي كانت عليه قبل تاريخ الخامس والعشرين من تموز/يوليو تبدو بدورها صعبة. لكن هناك تيارا داخل حركة النهضة يعتبر انه بات على الحركة ان تبادر الآن وقبل فوات الأوان بأخذ خطوة في اتجاه حلحلة الأزمة وذلك بالإقدام على ما قد يعتبره مراجعات ضرورية لسياساتها ولكن أيضا لأجهزتها وتركيبتها القيادية بشكل قد يسمح لها لاحقا بالبقاء في المشهد السياسي. غير ان وجوها معروفة في قيادة النهضة مثل نور الدين البحيري تعتبر ان مثل تلك المراجعات لا يمكن ان تتم في ظل ما تصفه بالانقلاب. وفي كلا الحالتين فإنه سيتعين على حركة النهضة ان تعيد ترتيب بيتها الداخلي بشكل سريع وان تحسن التفاعل مع أي بادرة أو إشارة قد تصدر عن الطرف الآخر. ومن الواضح انها تعول في استراتيجيتها للتعامل مع الوضع الحالي على عنصر الوقت. لكن هل ستترك لها دفعة أخرى من صواريخ سعيد ان اطلقت بين لحظة وأخرى أي فرصة لرد الفعل؟ ما يأمله التونسيون هو ليس فقط ان يعود المسار الديمقراطي إلى سكته الأصلية، بل ان يرجع الكثير من الرشد والعقل والحكمة إلى الطبقة السياسية برمتها وان لا تقسم البلاد تحت أي ظرف كان بين استئصاليين رافضين لوجود حركة النهضة وبين مؤيدين ومناصرين لها، لان نجاة تونس من تبعات خلق المصير ستكون وبلاشك أهم بكثير من بقاء أو عدم بقاء الإسلاميين غدا في السلطة.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ

تونس بعد 25 يوليو 2021 هل تهزم الآمال المخاوف؟

البرلمان التونسي

هشام الحاجي

يبدو النظر للتحرك الذي قام به رئيس الجمهورية قيس سعيد يوم الأحد 25 تموز/يوليو الماضي محكوما إلى حد كبير بالزاوية التي يتم النظر منها لهذا الحدث. وغالبا ما يجد المرء نفسه «مخيرا» بين زاويتي نظر يتحددان بالموقف الذي سيتخذه من إقدام سعيد على تفعيل العمل بالفصل 80 من دستور «الجمهورية الثانية» يوم الاحتفال بذكرى الإعلان عن تأسيس الجمهورية الأولى سنة 1957. والزاويتان تؤديان إلى تبني ما أقدم عليه رئيس الجمهورية أو رفضه.

ولكن هذه المساهمة لن «تخضع» لهذا التحديد المسبق الذي يؤدي في النهاية إلى تبني موقف، بل ستحاول تبني مقاربة «تفهمية» تحاول أن تقف على السياق الذي تنزلت فيه الخطوة التي أقدم عليها سعيد وأن تقدم توقعا موضوعيا للخطوات التي قد تتلوها. والمقاربة التفهمية يمكن أن تبعدنا عن الصخب الذي تثيره حاليا القراءات القانونية التي تقوم على معرفة مدى دستورية تفعيل رئيس الجمهورية للفصل الثمانين من دستور الجمهورية الثانية خاصة وأن هذا الدستور يفتقد للتناسق الداخلي بين فصوله ويمثل «بدعة» في تاريخ الدساتير التي وضعت في العادة لتسهيل عمل المؤسسات وتوفير مناخ من السلم الأهلي، في حين يمثل الدستور التونسي أفضل عصا يمكن أن توضع في عجلة سير مؤسسات الدولة.

السياق المجتمعي

ولا يمكن تفهم الخطوة التي أقدم عليها الرئيس التونسي دون الإشارة إلى السياق المجتمعي الذي تنزلت فيه ثم إلى الركح السياسي الذي نفذت فوق خشبته. في مستوى السياق المجتمعي لم يسبق أن شهدت تونس منذ استقلالها تساوق أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية كالتي شهدته في الأشهر الأخيرة، وشكل التخبط في التعاطي مع وباء كورونا حبة «الكرز» فوق قطعة المرطبات كما يقول المثل الفرنسي ليلقي أغلب التونسيين والتونسيات في حالة من الخوف المعمم وانتظار خلاص أصبح ضروريا. ولكن في المقابل كانت الطبقة السياسية خاصة الحاكمة تزداد يوما بعد يوم غرقا في صراعات أغلبها ذاتي ويمثل استجابة لتضخم الشعور بالأنا وبساهم في تغذي تورمها وتحول مجلس نواب الشعب إلى عبء ثقيل على الجميع وأصبح رئيس الجمهورية في نظر عدد كبير من المتابعين بما في ذلك قطاعات واسعة من أنصاره أشبه ما يكون بشخص لا يملك في جرابه إلا الظهور من حين لآخر وتوجيه بعض الاتهامات والتحذيرات نحو بعض خصومه السياسيين وخاصة رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي. من هذه الزاوية فإن الخطوة التي أقدم عليها سعيد تمثل منعرجا سمح من الناحية النفسية باستعادة عدد كبير من التونسيين والتونسيات للشعور بالأمل وبالقطع – ولو إلى حين – مع الإحباط والشعور بانسداد الأفق وخلق من الناحية السياسية «منعرجا» هاما لأنه أصاب منظومة ما بعد 14 كانون الثاني/يناير بشرخ كبير يصعب رتقه بسهولة، ولا يمكن أن تكون مبادرة سعيد مجرد قوس يمكن إغلاقه في حيز زمني وجيز لا يتجاوز الشهر حسب ما ينص عليه الفصل 80 من الدستور، إذ يبدو أن صفحة مجلس نواب الشعب في وضعيته الحالية قد طويت إلى الأبد إذ يصعب أن نرى في صورة عودته للنشاط راشد الغنوشي رئيسا له أو أن يحتفظ بعض أعضائه الذين تلاحقهم قضايا عدلية بمكانهم فيه علاوة على ما أصاب عددا من الأحزاب السياسية القريبة من سعيد أو المعارضة له من خلافات في الأسبوع الماضي من خلافات حادة ستنعكس على كتلها البرلمانية.

مقاومة الفساد

حاليا يبدو سعيد في صدارة المشهد السياسي والقادر على «فرض» خياراته خاصة وأنه يحظى حاليا بدعم شعبي قد لا يكون نشيطا ولكنه مهم، خاصة وأن تركيزه على مقاومة الفساد والصورة «الطهورية» التي يحرص على الظهور بها تجعله أقرب بكثير للمواطنين من رموز طبقة سياسية لم تقدم على امتداد عشرية منجزا ذي بال للمواطن بل راكمت مشاكله وعمقتها. ولكن المقبولية الواسعة لدى قطاعات واسعة من الرأي العام يقابلها تحفظ أوساط ضخمة من النخب الوازنة والفاعلة من «نواياه» سعيد وأهدافه الحقيقية، وهو الذي يضع نفسه نموذجا مناهضا للنخب وخاصة للأحزاب السياسية والذي يبشر بديمقراطية مباشرة تقطع مع الديمقراطية التمثيلية وتحيي أمام الداعين لها والمحذرين منها شبح النظام الجماهيري الذي عرفته ليبيا زمن معمر القذافي. السؤال الذي يفرض نفسه هو هل أن قيس سعيد يملك امكانيات سياساته وتطلعاته من حيث القدرة على:

–إعطاء إشارات إيجابية في المستوى الاقتصادي والاجتماعي، إن يقدر ما يدرك الجميع أن إصلاح الوضع الحالي يحتاج إلى وقت كبير بقدر ما تمثل الإجراءات العاجلة رسالة حول توجهات قيس سعيد وخاصة قدرته على إدارة المرحلة الحالية.

– طمأنة النخب حول ما يمكن أن يصيبها من مخاوف من نزوع سعيد إلى الحكم الفردي أو «نسف النموذج الجمهوري» واستبداله بنظام جماهيري خاصة وأن النضال من أجل الحريات والديمقراطية يمثل مسارا انخرطت فيه أجيال متلاحقة ويمثل حجر الزاوية في رؤية أهم المنظمات الفاعلة وخاصة الاتحاد العام التونسي للشغل الذي لا يمكن أن يمنح قيس سعيد أو غيره صكا على بياض.

– إدارة أنجع للشأن العام تصلح ما أصاب الإدارة التونسية من ترهل ولكن عدم تعيين رئيس حكومة المرحلة أياما بعد تفعيل الفصل 80 لا يمثل رسالة طمأنة في هذا الإطار.

– الإعلان عن خريطة طريق للمرحلة المقبلة لأن الضبابية تفتح الباب أمام الارتجال والفوضى والإحباط وتسلل الانتهازيين.

– قراءة جيدة للعلاقات الدولية لأن بعض الحلفاء الحاليين قد تكون لهم حسابات وقراءات داخلية تؤثر على موقفهم من تونس، تكفي الإشارة هنا إلى تحفظ الجزائر منذ عقود من دور متقدم لمصر في ليبيا أو تونس إذ تعتبر ذلك تهديدا للأمن القومي الجزائري.

– ما هو دور المؤسسة العسكرية في ما يقوم به سعيد حاليا وكيف يمكن أن يكون هذا الدور حماية لمدنية الدولة أو تهديدا لها.

هذه في تقديري الإشكاليات التي ستحدد طريقة تفاعل سعيد من سيهزم الآخر المخاوف أم الآمال.

Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

تونس: اقتصاد منهار يؤذن بنهاية مرحلة

ماجد البرهومي

شحنة اوكسجين مساعدات من فرنسا لتونس

تسببت الحالة الاقتصادية والاجتماعية المزرية وغير المعتادة التي يعيشها الشعب التونسي منذ سنوات، في التحركات الاجتماعية الأخيرة التي شهدتها مختلف مدن البلاد، والتي اتخذ بعدها مباشرة الرئيس قيس سعيد القرارات المثيرة للجدل. فقد عجزت الطبقة السياسية الحاكمة في العشرية الأخيرة عن تسيير البلاد وإيجاد الحلول لمختلف المشاكل، وأصبحت تونس معها بلدا متسولا بامتياز ليس فقط من الدول الكبرى أو تلك الغنية بالنفط، بل أصبحت تثير شفقة البلدان الفقيرة التي تمن عليها بالتلاقيح والغذاء، وهي (أي تونس) الراقدة على ثروات منجمية وطاقية هامة وتحتل المراتب الأولى عالميا في إنتاج وتصدير عدد هام من المنتوجات الفلاحية ولديها نسيج صناعي وسياحة تدر مداخيل هامة من العملة الصعبة.

لم يعتد شعب قرطاج على مشهد الطائرات الأجنبية تحط تباعا بمطاراته وهي تجلب إليه التلاقيح والإعانات الطبية والغذائية، وهو الذي راهنت دولة استقلاله على التعليم والصحة حتى باتت تونس قطبا صحيا إقليميا تقصده شعوب المنطقة للتداوي والعلاج بفضل الكفاءات الطبية المتوفرة وجودة الخدمات المسداة في القطاع الخاص بعد أن بدأ الإهمال يطال القطاع العمومي منذ نهاية التسعينات أو قبل ذلك. فقد كان هناك شعور بالإهانة تبعته نقمة على الطبقة السياسية الحاكمة التي تسببت في هذه الكارثة الاقتصادية والصحية من جهة، وشعور بالإحباط سببه قناعة ترسخت بأن قطاع السياحة الطبية والاستشفائية قد استهدف من جهة أخرى.

وبالتالي سيحتاج محو صورة البلد العاجز صحيا عن تونس، وإعادة ترسيخ الصورة القديمة النمطية للخضراء كوجهة صحية مفضلة، ليس فقط لدى جيرانها المغاربيين، بل أيضا من الأوروبيين الذين كانت تونس توفرلهم الخدمات الصحية ذاتها المتوفرة في بلدانهم لكن بتكلفة أقل، إلى سنوات من الجهد والعمل الدؤوب. فقد عملت دولة الاستقلال لعقود حتى حققت هذا المكسب وذلك بعد أن أسست كليات طب وصيدلة ومعاهد صحية تلقى فيها الطلبة تعليما وتكوينا من أعلى طراز، وأنفقت على بناء المستشفيات وشجعت تشييد المصحات الخاصة، ورصدت سنويا ميزانيات هامة لقطاع الصحة.

الخسارة فادحة

وبلغة الأرقام، وخلال سنة 2019 التي سبقت ظهور جائحة كورونا، كان هذا القطاع، الذي استهدف نتيجة السياسات الخاطئة وسوء التصرف، يدر على تونس قرابة 400 مليون يورو ويستقطب قرابة 500 ألف سائح سنويا وهو ما جعل الخضراء الوجهة السياحية الثانية في العالم هذا المجال بعد فرنسا. وبالتالي فالخسارة فادحة ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن لا يشعر أهل القطاع ومعهم عموم التونسيين بالحسرة والأسى على ضياع المكتسبات تباعا لنصل في نهاية المطاف إلى الفراغ التام وإلى اللاحولة.

ولعل من المضحكات المبكيات أن تضطر دولة مثل تونس، والتي هي من المنتجين الكبار لمادة الفوسفات في العالم وكانت تحتل في وقت ما المرتبة الثانية عالميا في إنتاجه وتصديره، إلى الإقتراض المالي من الخارج لشراء هذا الخام بالعملة الصعبة، بسبب توقف استخراجه من مناجم البلاد بفعل الفساد المستشري وضعف الدولة في العشرية الأخيرة واختراقها من قبل المنافسين لها في هذا القطاع ومن بينهم أقرب الأقربين. فقد استوردت تونس مؤخرا قرابة 500 ألف طن من هذا الخام وهو ما يعادل مخزون استهلاك شهر وذلك لتشغيل المجمع الصناعي الكيميائي الذي لديه التزامات مع متعاملين في الداخل والخارج.

ومن المضحكات المبكيات أيضا أن ينعم الله على تونس خلال السنة الماضية بصابة قياسية في الحبوب، ونتيجة للفساد ولمافيات التوريد لا يتم تخزين هذه الصابة في ظروف جيدة، فيطال التلف جزءا هاما منها، ويتم استيراد قمح مسرطن من الخارج بالعملة الصعبة. وما طال القمح، طال أيضا زيت الزيتون وأهم المنتوجات الفلاحية الأخرى بعد أن اخترقت مافيات التوريد كما المنافسون الخارجيون أجهزة الدولة الضعيفة وبات لديهم في الداخل من يخدمون مصالحهم.

أما عن إغراق السوق التونسية بالبضائع التركية والصينية التي تسببت في إفلاس مصانع تونسية مشغلة لليد العاملة وتنتج المنتوج ذاته بجودة عالية فحدث ولا حرج، وهو ملف من الملفات الحارقة التي وجب فتحها لمعرفة المتسببين في هذا الإضرار بالنسيج الصناعي التونسي. فإغلاق مصنع ما، لا يتسبب فقط في الإضرار بالحركة الاقتصادية في البلاد، بل تنجر عنه أيضا إحالة عمال وموظفين على البطالة، وهو ما يسبب في البؤس والشقاء لعائلات تونسية كثيرة.

ولعل السؤال الذي يطرح اليوم بشدة، أين ذهبت الأموال الطائلة التي تلقاها التونسيون من الخارج طيلة العشرية الماضية في شكل هبات وقروض من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وصندوق النقد الدولي والبنك الأفريقي للتنمية ومن بعض الأطراف الخليجية؟ لم يشهد البلد أي إنجاز يذكر على مستوى التنمية والبنى التحتية، لا مطارات جديدة ولا موانئ ولا طرقات سيارة ولا مركبات جامعية أو رياضية أو فندقية، ولا مستشفيات ولا مدارس ولا غيره. فحتى القديم المورث عن الماضي لم تقع صيانته والمحافظة عليه وكثير منه مهدد اليوم بالإنهيار.

أين ذهبت الهبات الهامة التي تلقتها تونس السنة الماضية من مانحين تقليديين لإعداد العدة لمقاومة جائحة كورونا؟ كيف لبلد تلقى هبات بآلاف الملايين من الدينارات التونسية لمقاومة الجائحة أن يعجز ويضطر العالم إلى التعامل معه كبلد منكوب متسول يستحق الإعانات والتبرعات بالتلاقيح والمعدات الطبية وحتى بالأسماك؟ كيف تتمكن بلدان العالم بكبيرها وصغيرها بدون استثناء من توفير اللقاحات لشعوبها وتعجز تونس عن ذلك؟

انتشار النهب والسرقة

من المؤكد أن هناك هوة في سدة الحكم والسبب في ذلك التعيينات في المناصب الكبرى التي تتم على أساس الولاء مع غياب معيار الكفاءة واستشراء سوء الحوكمة في مختلف القطاعات، بالإضافة إلى انتشار النهب والسرقة بدرجة لافتة فاقت حتى ما كان سائدا قبل عشر سنوات، والدليل ارتفاع أعداد الأثرياء في البلاد بنسبة 16.2 في المئة بعد سنتين فقط من الإطاحة بنظام بن علي، لتحل تونس في المرتبة الأولى مغاربيا في أعداد الأثرياء. ورافق ذلك ارتفاع كبير في نسبة الفقراء لتبلغ 20 في المئة من إجمالي السكان، مقابل تراجع الطبقة الوسطى التي كانت إلى وقت قريب عماد الاقتصاد التونسي.

ولعل كل هذه الأسباب إلى جانب أسباب أخرى من بينها كثرة الاضرابات في القطاعين العام والخاص وتراجع ثقافة العمل بسبب فهم خاطئ لمفهوم الثورة ولدور الدولة من قبل عدد هام من التونسيين، أدت إلى هذا الوضع الاقتصادي المتردي. كما أدت إليه الأزمة السياسية التي تسبب فيها النظام السياسي الهجين الذي أقره دستور سنة 2014 والذي لا يحقق الاستقرار السياسي الذي يحتاجه الاقتصاد، ناهيك عن وجود نظام انتخابي يقتضي القيام بمراجعات كثيرة جعل التونسيين يفقدون الثقة في صندوق الإقتراع ووصلت نسبة عزوفهم إلى 70 في المئة في الانتخابات الأخيرة خاصة وهم يدركون سلفا أن البعض يتلقون أموالا خارجية يشترون بها ذمم الناخبين وهو ما يؤثر سلبا على مصداقية الصندوق.

فهناك ترابط وثيق بين السياسي والاقتصادي خاصة وأن الاقتصاد التونسي وإن كان متنوع المصادر والمداخيل إلا أنه بحاجة إلى الاستقرار السياسي وإلى حكومات تضم كفاءات عالية خلافا لما هو سائد حيث تتم التعيينات على أساس الولاءات ولا يعمر المسؤول طويلا في منصبه ولا ينفذ برامجه. فتحولت الحكومات جميعا طيلة العشرية الماضية إلى حكومات تصريف أعمال لا غير دون خطط ولا رؤى مستقبلية همها الوحيد المحافظة على بقائها أطول فترة ممكنة.

وأدى تراجع الصادرات وارتفاع الواردات إلى استنفاد رصيد البلاد من العملة الصعبة وهو من بين الأسباب التي أدت إلى تراجع سعر صرف الدينار التونسي الأمر الذي ساهم في ارتفاع كل ما هو آت من الخارج من سيارات وإلكترونيات وغيرها، وهو ما أثر سلبا على الميزان التجاري الذي حقق عجزا فادحا في السنوات الأخيرة، وأيضا على القدرة الشرائية للمواطن التونسي. كما أثر عليها ضعف أجهزة الدولة وعدم قدرتها على التصدي للوسطاء والمحتكرين للمواد الغذائية والذين يتسببون في ارتفاع الأسعار، ناهيك عن ترفيع الدولة نفسها في أسعار الخدمات من ماء وكهرباء واتصالات وغيرها، وزيادتها في الجباية وفي أسعار النفط والنقل وغيرها للتغطية على النهب الحاصل للمال العام.

وتحقق تونس منذ سنوات نسبة نمو سلبية ساهمت فيها أيضا الجائحة وصلت إلى 8.8 – في المئة خلال السنة الماضية فيما تم تسجيل 3– في المئة خلال الثلاثي الأول من هذا العام. وبالتالي فإن كل شيء كان يوحي بالإنفجار وبانفلات الأوضاع بعد أن بلغ السيل الزبى وبات فوق احتمال التونسيين مع مشاهد الوفيات واستهتار من هم في الحكم بالأرواح وانصرافهم إلى صراعات جانبية وإلى مطالب لم يستسغها عدد هام من التونسيين.

ويبدو أن الأوضاع مرشحة لمزيد التأزم ما لم يقع حل الأزمة السياسية القائمة وفق خريطة طريق محددة بدون العودة إلى ما كان عليه الحال قبل اندلاع الأزمة. فالذهاب إلى انتخابات مبكرة دون تعديلات في النظامين السياسي والانتخابي وبدون مراقبة تدفق المال السياسي الخارجي على الأحزاب، ومن دون إصلاحات أخرى تطال الجانب الاقتصادي سيعيد إنتاج الأزمة ذاتها وسيبقي البلد يدور في حلقة مفرغة إلى أن يياد عن بكرة أبيه بهذا الوباء أو بغيره.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ

الديمقراطية الفتية في تونس: الجيش أمام تحدي دور وطني جديد

قيس سعيد والغنوشي

لطفي العبيدي

مثلت النزاعات الدستورية المرتبطة بتأويل فصول دستور 2014 وتحديد الصلاحيات بين رأسي السلطة التنفيذية، أبرز ملامح الأزمة السياسية الخانقة في تونس، والدور الكبير للجيش في حماية المكتلسات العامة والخاصة والحفاظ على السلم والأمن الاجتماعيين، ومساعدة السلطات المدنية على أداء دورها، واستلامه مؤخرا مهمة محاربة كورونا ومجابهة الأزمة الصحية، مسألة لا يمكن إغفالها. فهو لم يتخل عن دوره في كل المنعرجات السياسية والأحداث الاجتماعية المفصلية التي شهدتها البلاد.

جيش جمهوري يعمل في إطار القانون

الأحداث التي مرت بها تونس في العقد الأخير سجلت موقفا مشرفا للمؤسسة العسكرية. ثلاثة مجالات أساسية تتعلق بدور الجيش التونسي في تنمية البلاد؛ مكافحة الإرهاب، وحماية الحدود، ورفع مستوى الاحترافية والاستعداد العسكري. وسيكون للجيش التونسي دور مهم يلعبه في حماية التطور الديمقراطي في تونس، بالرغم من أنّ الاستقطاب السياسي والتناحر الأيديولوجي أدّيا إلى توقف صياغة سياسة الدفاع، وأبرزها الحاجة إلى تحديد مهمة الجيش بوضوح، وضرورة وضع عقيدة مهنية، وتعزيز المصالح الوطنية الأشمل. القوات المسلحة العسكرية قوات جمهورية ترتكز مهامها على الدفاع عن الوطن، وحماية وحدته الترابية. كما أنها ملتزمة بالحياد، ومن واجبها معاضدة السلطات المدنية. ويعتقد البعض أنّه لابد للمؤسسة العسكرية أن تعلن عن موقفها من المستجدات الراهنة، رغم أنّ جنرالات متقاعدين وعددا من المراقبين أكدوا أنّ الجيش التونسي حاليا ملتزم بتطبيق الفصل 18 من الدستور. والمؤسسة العسكرية تقوم في الوقت الراهن بالدور الموكول إليها دستوريا، وفي الإطار المتاح لها على غرار ما حصل في ثورة كانون الثاني/يناير 2011. فهي ملزمة بالانضباط، وبمساعدة السلطات المدنية دون الخروج عن دائرة الدستور، أي أن تنأى بنفسها عن التجاذبات السياسية. والجيش التونسي يعمل في إطار القانون وضمن ترتيبات الدولة المعمول بها، ولاءه للوطن وليس للأشخاص، ولا يمكن أن يتورط في الانحياز السياسي، بل هو يلتزم باحترام تطبيق القرارات الجمهورية وفق ما يمليه دستور وقانون البلاد.

بين الإرادة السياسية والتوازنات

لعب الجيش التونسي في سنوات الاستقرار دورا في التنمية، فضلا عن حماية البلاد وحدودها. وشارك في إنجاز مشاريع تنموية بالمناطق الصحراوية والجبلية الوعرة. وكان الجيش جزءا من البعثات الأممية في عمليات حفظ السلام دوليا، سواء تحت راية الأمم المتحدة أو الاتحاد الأفريقي. وهو في مستوى الرهانات الوطنية على الدوام. «نحن أقسمنا على حماية الوطن» بهذه الكلمات أجاب العسكري الذي يقوم بتأمين مدخل البرلمان التونسي رئيس حركة النهضة ورئيس البرلمان راشد الغنوشي ونائبته سميرة الشواشي فجر الـ26 من تموز/يوليو عندما حاولا دخول البرلمان إثر القرارات التي أعلن عنها رئيس الجمهورية قيس سعيد بتفعيله الفصل 80 من الدستور وتجميد عمل البرلمان وإقالة رئيس الحكومة ورفع الحصانة عن النواب. ففي غياب المحكمة الدستورية يمتلك الرئيس الحق الحصري في التأويل الدستوري. ومنذ إقرار دستور 2014 لم يتم انتخاب أعضاء المحكمة الدستورية إلى اليوم وذلك بسبب تجاذبات سياسية حادة بين الأحزاب. ويرى البعض أن الجيش اليوم في موقف محرج، إذ يقف بين سلطتين منتخبتين: البرلمان ورئيس الجمهورية. غير أن العميد المتقاعد في الجيش التونسي، محمد صالح الحيدري، يرفض هذا الرأي، ويقول إن الجيش يقوم بنفس الدور الذي قام به عام 2011 وهو الانتصار للثورة وحمايتها من الذين اغتصبوها، وكرسوا الفساد وتسببوا في الأزمة الاقتصادية في البلاد، والاعتماد على المؤسسة العسكرية لإنقاذ القرارات، وتجميد عمل البرلمان ورفع الحصانة عن نوابه، وتركيز وحدات لحماية المنشآت، هو ما لم يتوقعه الكثيرون في رأي الكاتب الصحافي كمال بن يونس. وقد فسروه بالانقلاب حيث لا تتوفر صلاحيات قوية للرئيس لاتخاذ مثل هذه القرارات، لولا اعتماد هذا الفصل من الدستور في مناخ سياسي عام اختلطت فيه الأوراق وانقسم فيه المتابعون، وأوجد التفاعل مع هذه الإجراءات. ولكن بغض النظر عن الفصل 80 هناك فصول أخرى تدعو لحماية الدولة وضمان السلم الأهلي. والدستور وحدة متكاملة، والرئيس اتخذ قرارا مصيريًا يكتسي طابع المشروعية الشعبية، بعد أن تحوّلت تونس إلى دولة منهارة.

موقف محرج للجيش لكنه غير معلن

صحيح أنه من السابق لأوانه قراءة مجال تدخل المؤسسة العسكرية في المستجدات الراهنة خصوصا أنهالم تعلن حتى الساعة عن موقفها طالما أنها محكومة بمبادئ الجمهورية. لكن المؤكد أنّ الجيش التونسي يعتبر محل ثقة مطلقة في ذهن جل التونسيين. وقف في صف الشعب، وحمى المواطنين والممتلكات الخاصة والعامة. ومنذ ثورة يناير 2011 تعمل المؤسسة العسكرية في تونس على إرساء التوازنات في البلاد. ومن المبرر أن يتخوف البعض في تونس من المس بحيادية المؤسسة العسكرية، أو إقحامها في قلب المعارك السياسية، بعد أن نجحت لعقود في المحافظة على حيادها. والتقدير الأقرب إلى الواقع أنّ الجيش التونسي لن يتورط في مستنقع السياسة وصراعات الحكم، وسيظل محافظا على عقيدته الجمهورية، وليس له علاقة بتوصيف ما يحدث سواء كان «انقلابا أو تصحيحا لمسار الثورة». وقد أكد العميد المتقاعد من الجيش التونسي مختار بن نصر أن الجيش التونسي لا يأتمر إلا بأوامر القائد الأعلى للقوات المسلحة، مبينا أن رئيس الجمهورية قام بدوره وهو دور شجاع. وليس هناك مجال للشك بأنّ الجيش سيطبق المبادئ العليا التي تضبط مهام القوات المسلحة، ألا وهي الدفاع عن الوطن وحرمة وحدته الترابية. وإن قدّر البعض بأنّ الوضع لا يقتضي الحديث عن مجال قانوني، أو أطر دستورية لصلاحيات الجيش، وإنما عن حالة تأهب للدفاع عن البلاد وحماية المنشآت العامة والممتلكات الخاصة. وطالما أن البلاد في حالة طوارئ، فإن الجيش لن يتخلى عن دوره الذي تأسس لأجله في ايار/مايو 1956.

الشعب مصدر السلطة والمشروعية

التغيّرات الحاصلة في بنيان المجتمع تقتضي تجاوب المنظومة السياسية مع مطالب الأفراد. فالثورة تعني القطع مع طرق التعامل القديمة لا مواصلة حشد الناس وتسييرهم وفق وعي قطيعي، في نوع من مكابدة العزلة السياسية. ومن فشل في تجربة الحكم، وأوصل الأمور إلى ماهي عليه من تدهور اقتصادي ومالي، وساهم في استفحال الفساد واندمج فيه، وكرّس البؤس الاجتماعي لدى فئات واسعة، لا يمكن أن يُرجى منه إصلاح ما أفسده. والتمسّك بالسلطة رغم حصيلة الخيبات، وسوء التدبير هي إضاعة للوقت، ومراكمة للأزمات، ونشر للإحباط. ولا مقايسة على الدولة الحديثة، ولا أخلاقية سياسية للحكم خارج إطار المشروعية التي يمنحها الشعب وبإمكانه سحبها. والدولة الوطنية الحديثة، دولة مكلّفة بحماية الوطن والدفاع عن مصالحه. والشعب فيها هو مصدر السلطة عمليا لا نظريا. وما قام به قيس سعيد هو خارج سياسة المحاور، وتموقع الأحزاب وأجنداتها المختلفة والمتصادمة. وقراراته هي استجابة لمطالب الشعب منذ فترة، وصدى للاحتجاجات الميدانية ضد منظومة حزبية دمرت البلد وأوصلته إلى حافة الهاوية على جميع المستويات. وهناك اتفاق مبدئي بين خبراء القانون الدستوري حول أحقية الرئيس في استخدام السلطة التقديرية التي يمنحها له الفصل 80 من الدستور لتقييم الظروف التي تستوجب اتخاذ التدابير الاستثنائية لتأمين عودة السير العادي لدواليب الدولة.

المعركة الكبرى ستكون في ضرب مافيا الفساد وتغلغلها في الدولة والأحزاب. الرئيس قيس سعيد تحدث عن اللصوص، مشددا على أنه لا أحد فوق القانون، وأنه لا مجال لأية معاملة تقوم على التمييز بناء على الثروة أو التحالفات السياسية. ومن المرجح أن يعيّن سعيد رئيساً جديداً للوزراء ليتعامل مع الارتفاع الحاد في حالات الإصابة بكوفيد–19 والأزمة المالية القائمة. ويعيد على إثر ذلك صلاحيات البرلمان بعد انتهاء التعليق لثلاثين يوماً، ويسمح بممارسته أعماله الطبيعية. وهناك احتمال أن يتم تحويل النظام في البلاد إلى رئاسي بناء على استفتاء شعبي، وهو ما سيفضي إلى تضاؤل دور البرلمان. وقد يلي تلك التغييرات تعديل في الدستور وانتخابات جديدة.

المحافظة على الديمقراطية ومحاربة الفساد

جاءت قرارات سعيّد إثر احتجاجات في محافظات عديدة، طالبت بإسقاط المنظومة الحاكمة كلها، واتهمت المعارضة بالفشل، في ظل أزمات سياسية واقتصادية وصحية، وفشل المنظومات المتعاقبة على الحكم في تحقيق المقاصد والمطالب الاقتصادية والاجتماعية كالتّشغيل وتقليص البطالة وفتح الآفاق للشباب هي السبب في خروج عديد التونسيين للاحتفال بقرارات الرّئيس. فمنذ سنوات ينتظر معظم التونسيين فرصة للإطاحة بكامل المنظومة القديمة التي حكمت لخمسين عامًا أو أكثر، قبل ثورة 14 يناير 2011. والاشتغال على خطاب الأزمة بشكل مستمرّ كآداة لإدارة الحكم أوصل التّونسيين إلى الإحباط. وشعورهم بتبخّر آمالهم التي تقاسموها أثناء هبّتهم الشعبيّة التي أسقطت نظام الحزب الواحد، وانسداد الأفق وتفاقم الفقر والبطالة وضعف المقدرة الشرائيّة واستفحال الفساد، ينهض دليلا على خيبات الاقتصاد والسياسة وفشل الأحزاب، وعجزها عن تقديم بدائل حقيقية تزرع الأمل بالتغيير. ليست هناك اعتقالات، أو تعسّف واقصاء، والجميع محميّ بسلطة القانون، والمحاسبة لا يخشاها إلا من يدرك أن له قضايا فساد، وبالتالي الضجيج لا معنى له، فليست هناك انتهاك للحريات الشخصية والعامة. والجميع يمارس حياته بكل حرية، ويعبر عن آرائه في وسائل الإعلام، والقانون يكفل لكل فرد حرياته المدنية. لا مساس بالديمقراطية وحقوق الإنسان، ورجل القانون يسهر على حماية الدولة التونسية، ولن ينتهك الحريات، أو يمس بمسار الحياة الديمقراطية الناشئة. وعلى الجميع الالتفاف حول المصلحة الوطنية وخدمة البلد وانقاذه من شوائب الفساد وانهيار المؤسسات، وإعادة الثقة للشعب الذي تملّكه الإحباط طيلة عقد من الزمن، لم يرَ فيه بادرة أمل أو استجابة لتطلعاته ومطالبه واستحقاقات ثورة أطاحت بنظام فاسد ودكتاتوري. ومن الجيد أن تكون هناك خريطة طريق ملموسة تتعلق بالقضايا المستعجلة، كمحاربة جائحة فيروس كورونا، ومراجعة القانون الانتخابي والنظام السياسي، ومكافحة الفساد.

Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

انقلاب قيس سعيد استغلال أزمات وطنية لتمزيق الدستور وإشباع شهوة الديكتاتور في داخله

إبراهيم درويش

هل وصلت الثورة المضادة أخيرا إلى تونس، بالنظر إلى إعلام مصر والسعودية والإمارات، فالجواب نعم. وكان اقتحام الأمن التونسي مقر قناة «الجزيرة» بعد يوم من إعلانات الرئيس التونسي قيس سعيد التي عزل فيها رئيس الوزراء هشام المشيشي وتعليق البرلمان، صورة عن محاولة نظام سعيد منع الحقيقة للخروج. وكان رئيس البرلمان وزعيم حركة النهضة راشد الغنوشي، واضحا في اتهامه إعلام الإمارات بتصريحات لقناة «تي أر تي العربية» ودوره في التحريض على انقلاب سعيد. وأشارت صحيفة «واشنطن بوست»(2021/7/27) إلى أن الأصوات المؤثرة في السعودية والإمارات اعتبرت تحركات سعيد ثورة ضد الإسلام السياسي. ورأت في أحداث تونس الممار الأخير في نعش الإسلام السياسي ومشاركته بالديمقراطية. ونقلت صحيفة «الغارديان» (2021/7/27) عن دبلوماسي أوروبي قوله إن بعض الدول بالمنطقة لم تمانع ما حدث. وفي أمريكا دعا السناتور الديمقراطي عن كونيكتيكت كريس مرفي إدارة جوزيف بايدن بالتحقيق في احتمال تدخل سعودي وإماراتي في الأزمة السياسية التونسية. وقالت إلهام فخرو من مجموعة الأزمات الدولية إن التشابه بين التغطية السعودية والإماراتية لانقلاب مصر 2013 والأحداث الأخيرة في تونس «لافتة للنظر».

موقف أمريكي فاتر

وكالعادة بدت المواقف في واشنطن فاترة، فرغم رفع إدارة جوزيف بايدن شعار الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، إلا أن نصف عام على حكمها أعطى حسا من خيبة الأمل. ويرى جوش روغين في «واشنطن بوست» (2021/7/26) أن الوقت ينفد من يد واشنطن في تونس، فهي التي بشرت بأن المعركة في عصرنا هي بين الاستبداد والديمقراطية تبدو عاجزة عن وقف الانقلاب باستثناء المواقبة وإصدار بيانات «حيادية». وذكر الكاتب بما قاله بايدن للرئيس التونسي الباجي قايد السبسي عندما استقبله في مقر إقامته كنائب للرئيس أوباما عام 2015 وهو أن الأمريكيين «يؤكدون على الأهمية التي تضعها الولايات المتحدة كي تنجح الديمقراطية في تونس». وأتفق المعلقون الأمريكيون على أن تحركات سعيد في امتحان لبايدن. وورد في تقرير بمجلة «فورين بوليسي» (2021/7/28) أعده مايكل هيرش أن الديمقراطية التونسية بحاجة للمساعدة، فهل يتحرك بايدن؟ وأشار في تقريره إلى أن تونس الفقيرة وغير المهمة استراتيجيا تظل مع ذلك الوريث الحي للربيع العربي. وصدر عن العواصم الأوروبية واشنطن في الأيام الأخيرة توبيخا لطيفا، واختفت تونس من عناوين الأخبار. ونقل الكاتب عن تشارلس دان، الدبلوماسي الأمريكي السابق وبخبرة واسعة في الشرق الأوسط قوله إن رد إدارة بايدن على الأزمة في تونس هو بمثابة «الجلوس متفرجا». وأضاف دان أن بيانات صدرت تدعم الديمقراطية لكن لم يتم اتخاذ تحركات حقيقية. وبالمقارنة «رحب المستبدون في المنطقة مثل مصر والسعودية بسيطرة الرئيس التونسي على السلطة». ويرى نقاد مثل دان أن إدارة بايدن فشلت في تحقيق ما تعهد به بلينكن في خطاب مهم له في 3 آذار/مارس وقال فيه إن السياسة الأمريكية «ستحفز السلوك الديمقراطي وتشجع الآخرين على القيام بإصلاحات مهمة ومحاربة الفساد». ويرى محللون أن نجاة الديمقراطية التونسية هي الحل طويل الأمد لمسألة التطرف الإسلامي، مشيرين إلى إن إدارة بايدن لديها خيارات للضغط على تونس إن أحسنت استخدامها. ولاحظ ديفيد غاردنر في صحيفة «فاينشنال تايمز» (2021/7/27) أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تبنتا موقفا مراوغا عندما قام السيسي بتحركاته ويمارسان نفس الموقف مع تونس ويحاولان فهم اتجاه الريح. وهذا موقف يعبر عن ضيق نظر. فعدم قدرة التيار الإسلامي الرئيسي الحصول على مكان في التيارات الديمقراطية سيكون كارثة على مستقبل العالم العربي. وهو ما يعطي الجهاديين ورقة رابحة تجعلهم يجادلون أن الديمقراطية ليست ميتة بل ومحرمة. ويعتقد الكاتب أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لا يزال لديهما نفوذا يمكن استخدامه في تونس، وسيكون كارثة لو لم تستخدمه وتركتها تنزلق تحت ركام الاستبداد العربي.

عالم فقير

والعالم العربي في النهاية لا يحتاج إلى ديكتاتوريات «خيرية» أو «ريعية» يتم فيها مقايضة الأمن والاستقرار بنوع من المساعدات الحكومية أو المشاريع «العملاقة» الوهمية التي ترضي ذات الديكتاتور أكثر من حلها للمشاكل العميقة والمزمنة. فكما قالت «الغارديان» (2021/7/29) إن العالم العربي بات مفككا بين دول غنية بالنفط تحاول استخدام ثروتها النفطية وقوتها العسكرية لتوسيع تأثيرها وبنتائج كارثية دائما، ودول متوسطة الدخل لا تكفي مصادرها لدعم سكانها وبلدان مزقتها الحروب الأهلية. وفي العالم العربي فقر أكثر من أي دول أخرى، 88 في المئة من سكان سوريا فقراء و83 في المئة من سكان اليمن أيضا، وفيه مدن صفيح أكثر من دول أمريكا اللاتينية، ويستضيف أكثر من 6 ملايين لاجئ و11 مليون مهجر في بلادهم. ويوهم سعيد نفسه أنه يستطيع حل مشاكل عضوية ومزمنة ظلت قائمة حتى بعد الثورة. ذلك أن نماذج ما قبل الثورة، الاقتصادية ظلت هي نفسها. ولم يتغير النظام الاقتصادي القائم على مستويات عالية من الاستيراد مقارنة مع الدولارات من النفط والسياحة. وأنتج هذا دينا خارجيا وعدم مساواة أدت لتمرد السكان. وهناك حاجة للتغيير، لكن الديكتاتوريات هي التي أوصلت الدول العربية لهذا الوضع القاسي. فالوعد التونسي لم يثمر حسب صحيفة «نيويورك تايمز» (2021/7/28) لأن أولويات الغرب ظلت تدور حول محاربة التطرف الإسلامي بدلا من عملية الانتقال الديمقراطي، فقد اكتفى بمنح جائزة نوبل عام 2015 لمن ساهموا في عملية حماية الديمقراطية من الانهيار، ولكنه لم يسرع عمليات المساعدة في مجال التنمية البشرية والاقتصادية. بل وواصلت مؤسساته النقدية مثل صندوق النقد الدولي سياساتها التي أنتجت الثورات في عام 2011 والقائمة على التقشف وإصلاحات مقابل تقديم القروض وهكذا دواليك. وأشارت الصحيفة إلى أن التعاون الأمني والعسكري بين الولايات المتحدة وتونس هو الأكبر في القارة، وزادت المساعدات العسكرية والأمنية من 12 مليون في 2012 إلى 119 مليون دولار في 2017 إضافة إلى 150 عسكريا أمريكيا يقدمون التدريب والمشورة لنظرائهم التونسيين. وظلت تونس البلد الصغير على هامش الاهتمام العالمي، وكان يجب أن تكون موضوعات بنيوية مثل إصلاح القطاع الأمني والقضائي والإعلامي ومعالجة البطالة بين الشباب الموضوعات الرئيسية للانتقال بعد الثورة السعيدة التي أطاحت بديكتاتورية زين العابدين بن علي. إلا أن المسؤولين الغربيين أبدوا هوسا بموضوع الإسلاميين– وبخاصة حزب النهضة الذي فاز بالانتخابات، وأين سيذهبون ومن يمثلون. وظلت تونس عالقة في حفرة خدمة الدين والحصول على العملة الصعبة لتأمين الاستيراد، ولم تسارع الحكومات المتعاقبة بعد الثورة لإلغاء الديون البغيضة التي ورثتها عن النظام السابق. وفي المحصلة حصل التونسيون على حرية أكثر وخبز أقل.

الحنين للماضي

وفتح المجال لظهور نزعات الحنين إلى الماضي المظلم الذي عبرت عنه عبير موسي «الحزب الدستوري الحر» التي أحدثت الفوضى بالبرلمان ولعبت دورا في عرقلة عمله باسم الهجوم على النهضة في ترديد للازمة الثورات المضادة في العالم العربي ودول المال الخليجية التي تلقفت صوتها وأعطتها مساحة واسعة. ويوم الجمعة، 2021/7/30 نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» مقابلة طويلة مع سيف الإسلام القذافي وقالت فيها إنه حي يرزق في الزنتان، ويخطط للعودة إلى الحكم. وأشارت إلى حظوظه السياسية واستطلاعات رأي تعطيه التفوق على منافسيه، وهي نفس الاستطلاعات التي جعلت من موسي أهم سياسية في تونس. واستغلت مشاعر الغضب على الأوضاع المأساوية ودغدغة عواطف المحرومين بأن الماضي كان أجمل، أو نوستالجيا الظلم، وهو ما بدا في كلام سيف الإسلام «حان الوقت للعودة إلى الماضي» وأن «العرب حمقى فقد دمروا بلادهم» في ثورات لا طائل منها. وهذا الكلام كان وراء إنتاج ظاهرة سعيد، الخارج عن المؤسسة الذي رفع شعار مكافحة الفساد وفاز على منافسيه في 2019 لكنه كان يحمل نفسه نزعة ديكتاتورية وتسلطية، وحالم بتغيير النظام السياسي وبناء «تونس جديد» لو استخدمنا شعارات الرئيس عبد الفتاح السياسي الذي يريد تغيير شكل مصر وهو عاجز عن حل مشاكلها الاقتصادية ومشكلتها الوجودية مع إثيوبيا.

حكم الفرد ليس حلا

ومن هنا دعا الكاتب عز الدين فشير في مقال في صحيفة «واشنطن بوست» (2021/7/27) تونس للتعلم من جيرانها وأن الرجل القوي ليس هو الحل. وكما كشفت حالات في مصر والسعودية، فالرجل القوي قد يعطي نوعا من الاستقرار وتقدما على المدى القصير لكنه ليس الحل الأنجع لمشاكل البلد المزمنة والمتجذرة. وأضاف أن الطغاة العرب يحلمون بإعادة إنتاج تجربة رئيس كوريا الجنوبية بارك تشانغ، وعادة ما يبدأون حكمهم بقصص نجاح، ولكنهم ينتهون بطريقة أو بأخرى مثل كيم إل سونغ في كوريا الشمالية. ورغم ما يقومون به من إصلاحات ومشاريع إلا أنها ليست خطوة لبناء الدولة الحديثة، بسبب العنف المرتبط بالإصلاحات الذي يطال المعارضين والسكان جميعا. وكذا رأسمالية المحسوبية وليس السوق الحر القادر على النمو المستمر. وبدلا من تقوية المؤسسات تعمل ديكتاتورية الرعاية على إضعاف المؤسسات. ونظرا لخوف الديكتاتوريين من فقدان سلطتهم فهم يرفضون التشارك فيها. وعلى العموم تظل حالة سعيد «ضعيفة» مقارنة مع مصر والسعودية، ففي الأولى جيش يتحكم بكل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية وفي السعودية ملكية مطلقة. وتظل تجربة الجيش التونسي مختلفة، فقد حجم دوره منذ الستينات وبعد المحاولة الانقلابية في 1962 التي اعتبرها نظام بورقيبة. وتجاهله زين العابدين بن علي بعد انقلابه في 1987 ومن هنا فزج سعيد بالجيش والمؤسسة الأمنية في الحكم. وأشارت إلى حظوظه السياسية واستطلاعات رأي تعطيه التفوق على منافسيه، وهي نفس الاستطلاعات التي جعلت من موسي أهم سياسية في تونس. واستغلت مشاعر الغضب على الأوضاع المأساوية ودغدغة عواطف المحرومين بأن الماضي كان أجمل، أو نوستالجيا الظلم، وهو ما بدا في كلام سيف الإسلام «حان الوقت للعودة إلى الماضي» وأن «العرب حمقى فقد دمروا بلادهم» في ثورات لا طائل منها. وهذا الكلام كان وراء إنتاج ظاهرة سعيد، الخارج عن المؤسسة الذي رفع شعار مكافحة الفساد وفاز على منافسيه في 2019 لكنه كان يحمل نفسه نزعة ديكتاتورية وتسلطية، وحالم بتغيير النظام السياسي وبناء «تونس جديد» لو استخدمنا شعارات الرئيس عبد الفتاح السياسي الذي يريد تغيير شكل مصر وهو عاجز عن حل مشاكلها الاقتصادية ومشكلتها الوجودية مع إثيوبيا.

حكم الفرد ليس حلا

ومن هنا دعا الكاتب عز الدين فشير في مقال في صحيفة «واشنطن بوست» (2021/7/27) تونس للتعلم من جيرانها وأن الرجل القوي ليس هو الحل. وكما كشفت حالات في مصر والسعودية، فالرجل القوي قد يعطي نوعا من الاستقرار وتقدما على المدى القصير لكنه ليس الحل الأنجع لمشاكل البلد المزمنة والمتجذرة. وأضاف أن الطغاة العرب يحلمون بإعادة إنتاج تجربة رئيس كوريا الجنوبية بارك تشانغ، وعادة ما يبدأون حكمهم بقصص نجاح، ولكنهم ينتهون بطريقة أو بأخرى مثل كيم إل سونغ في كوريا الشمالية. ورغم ما يقومون به من إصلاحات ومشاريع إلا أنها ليست خطوة لبناء الدولة الحديثة، بسبب العنف المرتبط بالإصلاحات الذي يطال المعارضين والسكان جميعا. وكذا رأسمالية المحسوبية وليس السوق الحر القادر على النمو المستمر. وبدلا من تقوية المؤسسات تعمل ديكتاتورية الرعاية على إضعاف المؤسسات. ونظرا لخوف الديكتاتوريين من فقدان سلطتهم فهم يرفضون التشارك فيها. وعلى العموم تظل حالة سعيد «ضعيفة» مقارنة مع مصر والسعودية، ففي الأولى جيش يتحكم بكل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية وفي السعودية ملكية مطلقة. وتظل تجربة الجيش التونسي مختلفة، فقد حجم دوره منذ الستينات وبعد المحاولة الانقلابية في 1962 التي اعتبرها نظام بورقيبة. وتجاهله زين العابدين بن علي بعد انقلابه في 1987 ومن هنا فزج سعيد بالجيش والمؤسسة الأمنية في الحكم. وأشارت إلى حظوظه السياسية واستطلاعات رأي تعطيه التفوق على منافسيه، وهي نفس الاستطلاعات التي جعلت من موسي أهم سياسية في تونس. واستغلت مشاعر الغضب على الأوضاع المأساوية ودغدغة عواطف المحرومين بأن الماضي كان أجمل، أو نوستالجيا الظلم، وهو ما بدا في كلام سيف الإسلام «حان الوقت للعودة إلى الماضي» وأن «العرب حمقى فقد دمروا بلادهم» في ثورات لا طائل منها. وهذا الكلام كان وراء إنتاج ظاهرة سعيد، الخارج عن المؤسسة الذي رفع شعار مكافحة الفساد وفاز على منافسيه في 2019 لكنه كان يحمل نفسه نزعة ديكتاتورية وتسلطية، وحالم بتغيير النظام السياسي وبناء «تونس جديد» لو استخدمنا شعارات الرئيس عبد الفتاح السياسي الذي يريد تغيير شكل مصر وهو عاجز عن حل مشاكلها الاقتصادية ومشكلتها الوجودية مع إثيوبيا.

إلى أين؟

في الوقت الحالي يواصل سعيد عمليات التطهير داخل المؤسسة الحاكمة في ظل غياب البرلمان والمحكمة الدستورية التي منع من تشكيلها، رغم أن حصته فيها أربعة قضاة والبقية من تعيين الحكومة والبرلمان ضمن لعبة التشارك في السلطة ووسط أجواء شعبية غير مبالية أو راضية عن قراراته. ويبدو أن الولايات المتحدة والدول الغربية عازمة على لعب دور المتفرج، كما فعلت في مصر وليبيا ودول الربيع الأخرى. وسيواجه سعيد على المدى البعيد معضلة في حل المشاكل المستعصية التي تواجه البلاد. وسنرى في الأيام المقبلة تحركات إقليمية تحاول الاستفادة من الوضع وتحويل تونس إلى ساحة حرب بالوكالة كما فعلت في دول الربيع الأخرى. وعلى العموم فالثورات المضادة التي دعمها المال الخليجي في مصر وليبيا ومخططات الشرذمة في سوريا واليمن ومحاولة القضاء على القضية الفلسطينية، لن تخدم الربيع العربي، فهو قابل للانفجار كما في 2019 في الجزائر والسودان، صحيح أن القوى العسكرية وأصحاب المصالح تحركت للسيطرة على الأوضاع لكن المعركة على مصير العالم العربي، على هل الحل لمشاكل بلدنا الاقتصادية، فالديكتاتورية تقود دائما إلى زيادة الفساد والمحسوبية وخرق حقوق الأفراد وعدم المساواة». و«آمل وبصدق أن يتراجع سعيد عن قراراته، ويمكنه اتخاذ عدة خطوات إيجابية الآن وعلى حلفاء تونس الغربيين والإقليميين دعمه في اتخاذها» و«استطاعت تونس في الماضي التغلب على المشاكل عبر الحوار الوطني، ونحن قادرون على عمل هذا مرة أخرى».

حوار

سلامة الغويل وزير الدولة الليبية للشؤون الاقتصادية:

معظم المؤسسات الاقتصادية والمالية تحتاج إلى إعادة تنظيم

حاورته: نسرين سليمان

في إطار المداولات المتكررة عن مشروع الميزانية العامة للدولة وربطها بسعر الصرف وبالوضع الحالي للاقتصاد الليبي الريعي الهش، تصدر الاقتصاد قائمة الاهتمام في الأوساط الإعلامية المحلية والدولية، وتوالت التساؤلات حول جموده وامكانية القيام بحركة إصلاحية تلغي هذا الجمود.

فمنذ عام 2017 لم توضع أي إجراءات إصلاحية على الصعيد الاقتصادي، عقب خطة الإصلاح الاقتصادي التي قادتها حكومة الوفاق الوطني السابقة، ولم تتخذ أي إجراءات فعلية في ما عدا تعديل سعر الصرف الذي جمع المركزين على طاولة واحدة، ثم افترقا من دون إجراءات للتوحيد، وبدون خطط تكميلية لهذا الإجراء الذي من المفترض أن تصحبه حزمة من القرارات الداعمة والمصلحة.

صحيفة «القدس العربي» كان لها ذات التساؤلات حول الوضع الاقتصادي الليبي والخطط المستقبلية، فاختارت لقاء شخصية على رأس الهرم في حكومة الدبيبة والمختصة بإدارة الشؤون الاقتصادية للدولة، وهو سلامة الغويل وزير الدولة للشؤون الاقتصادية بحكومة الوحدة الوطنية الليبية.

سلامة الغويل المتحصل على الإجازة العليا، الماجستير في العلوم الاقتصادية، تقلد مناصب عدة من بينها كونه مراقبا ماليا بالسفارة الليبية في الأردن وسفارات كل من سلوفاكيا وتشيكيا وبلولندا، فضلا عن عمله في إدارة الميزانية بوزارة المالية، وخبرته في صندوق الضمان الاجتماعي كمراقب مالي ورئيس للجان فنية، فضلا عن خبرته الأكاديمية وتجربته العلمية، وفي ما يأتي نص الحوار.

○ بدايـة وقبـل الخـوض في أي تفاصيل على ماذا ترتكز مهامك حاليا؟

● حـددت مـهام وزيـر الـدولـة وفقا لقرارات رئيس الـوزراء ومن أهمها قرار فريق العمل الاقتصادي الذي يترأسه وزير الدولة للشؤون الاقتصادية.

حيـث نـركـز فـي الـمـرحـلـة الـراهـنـة على متابعة ورصـد قـرارات الحكومة الاقتصادية وخلق مناخ يساعد على الاستقرار الاقتصادي، فضلا عن المساهمة فى تجهيز وتطوير خطط التنمية المستدامة ومتابعة كل ما يتعلق بالشأن الاقتصادي الوطني من مختلف الـوزارات والهيئات والمؤسسات التابعة للدولة الليبية.

○ الصفـة الوزارية لوزيـر الدولة للشـؤون الاقتصاديـة تعتبـر حديثة المنشأ هل شكل ذلك صعوبة وتحديا لكم في إنجاز عملكـم أو تخصيصه في إطار معين؟

● بالطبع وزيـر الـدولـة للشؤون الاقتصادية صفة حديثة النشأة على الدولة الليبية ولكنها موجودة في العديد من الدول على مستوى العالم سواء أكانت في الـدول العربية أو حتى الأوروبـيـة، ولذلك تتمثل الصعوبة في خلق التواصل بين الوزراء المعنيين بالشأن الاقتصادي ووزير الدولة للشؤون الاقتصادية.

بمعنى آخـر فـوزيـر الـدولـة للشؤون الاقتصادية يعتبر الوزير المتفرغ لغرض متابعة ومراقبة تنفيذ قـرارات الـوزارات المعنية وتقديم الدعم والمشورة لهم.

○ دعنـا نخـوض فـي تفاصيـل الملفات الاقتصادية للدولة، تأخر اعتماد الميزانية لأكثر من ثلاثة أشـهـر وكنت قد تحدثت عن حلـول بديلة فهل من الممكن أن تقدم لنا شرحا عنها؟

● الميزانية العامة هي الخطة التنفيذية للدولة وعادة ما يكون للميزانية أهداف اقتصادية واجتماعية وغيرها.

فالتأخر في الاعتماد سوف يؤثر بشكل واضح على تحقيق أهداف حكومة الوحدة الوطنية، وبالتالي فإن إيـجـاد وخلق الحلول الممكنة أفضل من انتظار التأخير في تحقيق أهداف اقتصادية إيجابية.

والبديل المطروح هو بديل قانوني. فـالـحـكـومـة تـصـرف مـخـصـصـات من اعتمادات شهرية 1/12 من وزارة المالية.

○ لـو تعمقنـا فـي الميزانيـة وتقديراتهـا، ألا يعتبر الرقـم المطروح ضخما نسـبيا خاصة عقب تعديل سعر الصـرف وانتظـار المواطنـين لنتائج ملموسة من هذا التعديل؟

● مـشـروع الـمـيـزانـيـة هـو مـشـروع الحكومة بغرض إعـادة الاستقرار على اعتبارها حكومة وحدة وطنية جاءت عقب خلافات ونزاعات، والرقم قد يكون محل جدل ولكن لا يصبح محل خلاف وإيقافا لمسيرة الحكومة.

كل شيء يمكن ان يعدل بشرط التنسيق بين السياسات النقدية والمالية والتجارية، أما عن النتائج الملموسة فتأتي في إطار التعاون والتنسيق.

○ مجموعة العمل الاقتصادية كيف ستسـاهم في تسهيل تسـييل الميزانية وعلى ماذا تركزت أعمالها الأخرى؟

● عملت مجموعة العمل الاقتصادي منذ البداية على إيجاد حلول متكاملة لكل أزمة. وبالتأكيد ان فهم لجنة البرلمان المالية لواقع الظروف الحالية يكفي ان يجعل هناك اتفاقا على ضرورة التسييل والبدء في تنفيذ أعمالها.

○ حذرت في حديث سابق من أزمة اقتصادية ستمس البلد في حال لم تعتمد الميزانية، فهل بالامكان أن تقدم لنا شرحا عن أبعاد هذه الأزمة؟

● الأزمـات الـتـي تـواجـه الـبـلاد هي أزمة معالجة الاقتصاد الوطني وتنفيذ السياسات الاقتصادية التي من شأنها تعزيز الاستقرار الاقتصادي مثل معالجة التضخم والبطالة وتحقيق الأمن الغذائي، وهذا جميعه سيتعطل مع تعطيل الميزانية.

○ إلى أين توصلت اللجنة الوزارية في النقاشات الخاصة ببند الميزانية؟

● اللجنة الوزارية نقاشت بنود الميزانية العامة بشكل عام وكافة ما جاء في هذه البنود وما خصص لكافة الجهات بشكل تفصيلي ومـطـول، وناقشت المشاكل والمعوقات التي تحول دون اعتماد الميزانية حتى هذه اللحظة.

أما عن التوافقات فتخفيض الميزانية أمر مطروح للوصول إلى الاعتماد بعون الله.

○ بالرجوع إلى مسألة تعديل سعر الصرف هل قدمتم أي مقترح لتخفيضه، وهل كان لكم تواصل مـع مصرف ليبيا الـمـركـزي لدراسـة النتائـج السـلبية والإيجابية منه؟

● تعديل سعر الصرف أمر ضروري جدا. وهـذا الأمـر من اختصاص مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي. وقد قدمنا العديد من التوصيات المتعلقة بتعديل سعر الصرف وننتظر التنسيق والتواصل مع السياسات النقدية.

○ مـا موقفـك كوزيـر للشـؤون الاقتصاديـة من تضاعف حجـم الدين العام للدولة، ألا يجب أن تقدم الحكومة آلية واضحة للبدء في تسديده؟

● الدين العام هو تراكم للسياسات سابقة ويحتاج إلى إدارة كاملة تهتم بمراجعة الديون ومعالجتها.

○ وعدت سـابقا بقرب حل مشكلة السيولة، ما أبعاد هذه المشكلة وأسباب اسـتمرارها حتـى الآن ومـا السـبل والمقترحات الموضوعة لحلها؟

● مشكلة السيولة النقدية سببت أزمة في المجتمع وحلها يتوقف على المراجعة الدولية للبدء بتنفيذ الإصـلاحـات من أهمها فتح المقاصة وتعديل سعر الصرف. والبدء في مشاريع استثمارية تعزز من الاستقرار الاقتصادي والتنمية المستدامة وليبيا تحتاج إلى استثمار أكثر حتى نعالج الركود الاقتصادي.

○ رأينـا تصريحـات مـن مختلف الدول في رغبتها في المساهمة في إعادة إعمـار ليبيا، هل هناك خطـط تنظيمية يجب أن توضـع لاختيار المسـتثمرين والراغبين في تنفيذ مشـاريع في ليبيا، وهل ترى ان الوضع الحالي سيسـاعد على جذب الشركات والمستثمرين؟

● الوضع في ليبيا بعد تشكيل حكومة الـوحـدة الوطنية أصبح أفضل سواء سياسيا أو اقتصاديا وهـا نحن اليوم نشهد فتح الطريق بشكل رسمي الرابط بـيـن الـشـرق والـغـرب وهـذا مـن ضمن المؤشرات الإيجابية التي تساعد الحكومة على اتخاذ قـرارات استراتيجية كإعادة الإعمار وجذب الاستثمارات الأجنبية.

○ من وجهة نظـرك ما أهم وأصعب المشاكل الاقتصادية التي تواجه ليبيا؟

● هناك العديد من التحديات والعقبات التي تلف مصير اقتصاد ليبيا، سواء تلك المرتبطة أساساً بتداعيات الصراع وانعكاساته السلبية على جميع القطاعات وخاصة الاقتصادية، أو تلك المرتبطة بنموذج الاقتصاد الليبي القائم على العائدات النفطية.

كما أن من أبرز المشاكل التي تواجه الاقتصاد الليبي حاليا الارتـفـاع العام في معدلات البطالة فضلا عن الارتفاع العام في أسعار معظم السلع الأساسية والثانوية، وأيضا توحيد المؤسسات السيادية والانقسام المؤسسي الحاصل بين السياستين المالية والنقدية، فضلا عن المشاكل المتعلقة بالسيولة النقدية ومشاكل أخرى لن يتم حلها إلا بعد توحيد السياسات النقدية والمالية للاقتصاد الليبي.

○ هـل وضعتـم خططـا للإصلاح الاقتصادي أو على الأقل لتكملة مسـيرة حزمة الإصلاحات الاقتصادية السابقة؟

● هناك حزمة إصلاحات اقتصادية لدى الحكومة السابقة وقد أقر جزء بسيط منها وكان من المفترض أن تكون في سلة واحـدة. ونحن من خـلال فريق العمل الاقتصادي نقوم برصد أثر القـرارات الصادرة عن الحكومة والمتعلقة بالشأن الاقتصادي وتقديم المقترحات المتعلقة بمعالجة الأزمات الاقتصادية التي تجابه المرحلة.

كما أن حزمة الاقتصاد الوطني الخاصة بحكومة الوحدة الوطنية بدأت بالفعل منذ ظهور حكومة واحدة على الساحة وذلك بتوحيد المؤسسات المالية والاقتصادية بشكل عام وشامل في كافة ربوع الوطن، وهناك مشاريع إصلاحية من الحكومة، وهي عبارة عن خطط اقتصادية تستهدف معـالجـة المـشـاكـل المتعلقة بالتنمية المكانية كتوفير الكهرباء والماء والمعيشة الكريمة للمواطن، وكل هذه الإصلاحات الاقتصادية لا تنفصل عن الإصلاحات المالية التي سوف تكون عندما يبدأ مصرف ليبيا المركزي في تنفيذ مشاريع اقتصادية تخص السياسة النقدية بالتنسيق مع السياسة المالية والاقتصادية.

○ في وقت سابق أثار تشكيل لجنة لدراسـة رفع الدعم علـى الوقود جدلا واسـعـا، هل تؤيد الدولة هـذا الإجراء، وهل لها القـدرة على توفير حلول بديلة لأصحاب الدخل المحدود، وما الضمانات للمواطن؟

● بخصوص رفع الدعم لا تزال اللجان تعمل لوضع ضـوابـط وقـوانـين تحمي المواطن الليبي، وتساعده على التكيف مع رفع الدعم في حالة تم اتخاذ قرار من الحكومة بهذا الخصوص.

ويعتبر ملف استبدال الدعم وليس رفعه من أهم الملفات في ليبيا، فليبيا محتاجة إلى حوالي 70 في المئة من الإنتاج المحلي من الوقود والمحروقات. ونحن نستهدف إنشاء خمس مصافي في ليبيا، فضلا عن إتمام بعض المشاريع الخاصة بالمصافي حاليا وزيادة الطاقة الإنتاجية لها.

الجانب الآخر وفي ما يتعلق برفع أو استبدال الدعم بالقيمة التوازنية للاقتصاد بحيث يكون أثرها ضعيفا على مستويات الأسعار في الاقتصاد، وسوف يكون هناك مقترح شامل وهو الآن موجود فعلا وقيد التنفيذ والإجراء، ولكن ننتظر بدء مصرف ليبيا المركزي في تحديد سعر الصرف المستهدف حتى يتحدد سعر البنزين في الاقتصاد الليبي، كما أن سعر الصرف سيخفض بنسبة 35 في المئة وفقا للمقترح المقدم، ومن ضمن المعالجات أيضا زيادة النفقات الاجتماعية للمواطن والاستمرار في صرف علاوات الأسرة والأبناء، وبذلك لن تكون هناك صدمة لها آثار على الأسعار إلا من خلال السياسة المتبعة، من خلال تخفيض سعر الصرف والتحكم في أسعار السوق.

○ توحيد السياسة النقدية والمالية للدولـة الليبية يأتي علـى رأس قائمة الأولويات ما مدى استعدادكم وسيركم في هذا الاتجاه؟

● مشروع توحيد السياسة المالية والنقدية للدولة موجود بالفعل، فنحن الآن نتحدث عن سياسة مالية واحدة متمثلة في وزارة المالية، وسياسة تجارية واحدة متمثلة في وزارة الاقتصاد والصناعة، وأيضا سياسة نقدية واحدة تتمثل في توحيد مصرف ليبيا المركزي، ولكن القائمة الخاصة بالأولويات تتجه نحو توحيد هذه السياسات والبدء في الإجراءات المعتادة والـتـي تجعل الـسـيـاسـات ومـن خلال أدواتـهـا تفرض وضع تـوازن جديد في الاقتصاد الليبي.

○ رغـم توحيد معظم مؤسسـات الدولة ظلـت المؤسسـات الاقتصادية والمالية فـي منأى عـن هـذا التوحيد كمصرف ليبيا المركـزي، ما خطورة ذلك والحلول المطروحة؟

● معظم المـؤسـسـات الاقـتـصـادية والمالية تحتاج إلى إعـادة تنظيم، نحن نحتاج إلى توحيد السلطة النقدية في إطار الرقمنة الجديدة حتى يختفي الفساد المالي والإداري ويضعف جسم الفساد في الاقتصاد الليبي بسبب عدم المتابعة والمراقبة.

إذا فخطورة الموقف متمثلة في مدى استعداد هذه الأجسام الموجودة حاليا على تنفيذ الخطط الاقتصادية للدولة والتي تستهدف الاستقرار العام للأسعار وتستهدف أيضا تخفيض البطالة.

وتوحيد المؤسسات في ليبيا بشكل عام يرتبط أيضا بالجهود المبذولة لدى مختلف الأطـراف الدولية والمحلية أو التنفيذية الموجودة على الأرض بالعمل بكفاءة وفعالية في إطار الرقمنة المالية وعدم التوقف عن العمل حتى نصل إلى هدف الاقتصاد الليبي وهدف السياسات الليبية بشكل عام والمتمثلة في السياسة العامة للدولة.

○ هل اطلعت علـى تقرير المراجعة الدولية لحسـابات المصرفين المتوازين وان كانـت الإجابة بنعم، فمـا تقييمك لنتائجه؟

● إن النتيجة الرئيسية للتقرير هي أن توحيد المصرف لم يعد أمراً موصى به فحسب، بل بات مطلوباً، حيث تسبب الانقسام في تعقيد إمكانية الحصول على النقد الأجنبي، وعرقلة الإصلاح النقدي.

○ في ليبيا هناك تغول كبير للسوق السوداء وسيطرة على أسعار الصرف، ما سبب ذلك وأين يكمن الحل؟

● السوق السوداء أو السوق الموازي في ليبيا لم ينتج إلا عن اختلاف الأسعار. ان أي اختلاف في سعر الدولة وسعر السوق الرسمي سيؤدي إلى وجود سوق سوداء وسيؤدي إلى حدوث مضاربات. وذلك لأن الطلب على النقود لغرض المضاربة موجود في كل أنحاء العالم وموجود في جميع الدول ولكن هناك سعرا مناسبا وأمثل ينتج عن القنوات الرسمية فقط.

ولـذا فإن الحلول المثلى لهذه المشكلة تتمثل في فتح ورفـع جميع القيود على المصارف والنقد الأجنبي بحيث تكون كافة المعاملات مصرفية وتنظيم السوق السوداء هي مهمة من مهام مصرف ليبيا المركزي، وبالتالي ينطلق الحل من إيجاد سعر صرف توازني.

○ ما الخطط المستقبلية قريبة المدى لعمل الوزارة؟

● ضمن خطط الـوزارة دعـم آليات تحـويـل النفقات الـعـامـة إلـى مشاريع تنموية، والعمل على دعم المشاريع التنموية الصغيرة والمتوسطة. وقرار لإيجاد بدائل عن النفط لدعم الاقتصاد الوطني من خلال تنويع مصادر الدخل كدعم قطاع الصناعة والقطاع السياحي.

كما تتمثل الخطط المستقبلية في إصلاح وتطوير الاقتصاد من خلال مجموعة العمل الاقتصادي، وذلك بتنفيذ مشاريع تتعلق بالمسار الاقتصادي، بداية من الإصلاحات المالية ودعم المحروقات وانتهاء بالإصلاح الهيكلي.

حريات

حملة لإنهاء «الإفلات من العقاب» في العراق وسط استمرار الانتهاكات

بغداد ـ «القدس العربي»:

يعد العراق أبرز نموذج بين دول العالم لظاهرة «الإفلات من العقاب» جراء الانتهاكات الفظيعة والجرائم المتنوعة التي ارتكبت بحق شعبه منذ 2003 من قبل الجماعات الإرهابية كالقاعدة وداعش والفصائل المرتبطة بالأجندات الخارجية، ولم يقدم للعدالة سوى عدد ضئيل من مرتكبيها، الذين ما زالوا طلقاء ويرتكبون المزيد من الاعتداءات.

ورغم المطالبات العديدة من منظمات حقوق الإنسان والقوى السياسية والأمم المتحدة، إلى الحكومة العراقية، بضرورة حماية حقوق الإنسان في التظاهر وممارسة حرية التعبير وحق الحياة الكريمة، ورغم دعوات ملاحقة قتلة الناشطين والمتظاهرين، إلا ان استجابة تلك الحكومة كانت محدودة جدا، بسبب وجود غطاء سياسي متنفذ لأغلب مرتكبي تلك الجرائم.

وفي الأيام الأخيرة برزت العديد من المؤشرات التي تعكس استمرار تدهور أوضاع حقوق الإنسان، وإفلات مرتكبي الانتهاكات من العقاب، بالتزامن مع توجيه المجتمع الدولي، انتقادات متتالية للعملية السياسية في العراق، التي تقودها أحزاب مارست أغلبها، كل أنواع الانتهاكات والجرائم بحق العراقيين، وسلبت الوطن حريته وثرواته وسيادته.

استهداف الناشطين والمتظاهرين

وفي سابقة لافتة شهد يوم 18 تموز/يوليو الماضي حملة محلية ودولية تحت شعار «معاً لإنهاء الإفلات من العقاب» لوضع حد لاستمرار استهداف الناشطين والمتظاهرين في العراق وعدم محاسبة مرتكبي تلك الجرائم. حيث عمت تظاهرات وتجمعات وندوات، ليس في مدن العراق فحسب، بل وفي العديد من عواصم ومدن العالم، في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا واستراليا وغيرها.

وأعلن الناشطون ومنظمو الحملة، انها تهدف إلى تحشيد الرأي العام المحلي والدولي من أجل الضغط على الحكومة العراقية والأحزاب الحاكمة، للكشف عن قتلة المتظاهرين السلميين والناشطين والصحافيين وتسليمهم إلى القضاء، وكذلك الكشف عن مصير المختطفين والمُغيبين قسريا والقبض على الجناة، وإطلاق سراح المعتقلين بتهم كيدية نتيجة مشاركتهم في الاحتجاجات أو نشاطهم المدني المعارض، وكشف السجون والمعتقلات السرية وإحالة مسؤوليها إلى القضاء، ومحاسبة كل المتورطين في قضايا الفساد وفق القانون، إضافة إلى إصلاح القضاء وتخليصه من عناصر وممارسات وتأثيرات السياسيين والفاسدين. وقد قامت الحملة بتوجيه رسائل إلى الأمم المتحدة وحكومات العديد من الدول ومنظمات حقوق الإنسان، حول واقع انهيار حقوق الإنسان في العراق ودعوتهم للضغط على حكومة بغداد بهذا الصدد.

وبالتزامن مع هذه الحملة، أعلنت السلطات العراقية القبض على بعض قتلة الناشطين، ومنهم قاتل الخبير الأمني الشهيد هاشم الهاشمي، كما قامت بعرض بعض اعترافاتهم عبر التلفزيون الحكومي. إلا ان هذا الإجراء رفع من ضغوط الناشطين ومنظمات حقوق الإنسان على حكومة بغداد، من أجل كشف الجهات التي تقف وراء قتل الناشطين والمتظاهرين وعدم الاكتفاء باعترافات بعض الأفراد الذين نفذوا الجرائم.

إنهاء مفوضية حقوق الإنسان

وفي فضيحة جديدة لأحزاب السلطة، أنهى البرلمان العراقي عمل مفوضية حقوق الإنسان المستقلة، بحجة انتهاء فترتها القانونية، دون اختيار أعضاء جدد قبل ذلك لمنع تعطيل عملها.

فقد انتقد مكتب حقوق الإنسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق «يونامي» الاثنين الماضي، عدم تمكن مجلس النواب العراقي من تشكيل لجنة الخبراء لاختيار أعضاء جدد لمفوضية حقوق الإنسان.

وقالت رئيسة وممثلة مكتب المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان دانييل بيل في بيان، إن «مجلس مفوضي المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق يؤدي دورا حاسما في عمل المؤسسة لتعزيز مبادئ عدم التمييز والإنصاف والمساواة والعدالة والشمولية في العراق».

وأضافت يونامي «نأسف لعدم تمكن مجلس النواب من تشكيل لجنة الخبراء لاختيار أعضاء جدد للمفوضية، وبالتالي تأخير تعيين مجلس جديد للمفوضين». وحثت المنظمة على «اتخاذ تدابير فورية لتعيين مجلس المفوضين للمفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق، والامتثال التام للمادة 7 من قانون المفوضية العليا لحقوق الإنسان لسنة 2008 وبما يتفق مع المبادئ الدولية المتعلقة بحالة المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان (مبادئ باريس)».

وكان النائب الأول لرئيس مجلس النواب العراقي حسن الكعبي (من التيار الصدري) أعلن إنهاء مهام مجلس المفوضين في مفوضية حقوق الإنسان. وجاء في وثيقة بتوقيع الكعبي، إنه «بالنظر لانتهاء مدة عضوية مجلس المفوضين الحالي البالغة 4 سنوات، نرجو عدم ممارسة أية مهام إدارية أو مالية واعتبارا من تاريخ 20 تموز/يوليو 2021» من دون ان يذكر سبب عدم اختيار بدلاء لأعضاء مجلس المفوضين رغم مرور فترة طويلة على نقاشات البرلمان حول تعيين أعضاء المفوضية الجدد.

وقبل انتهاء فترة عمل مفوضية حقوق الإنسان، حذر العديد من السياسيين والمنظمات الحقوقية، من مماطلة البرلمان في اختيار أعضاء جدد للمفوضية قبل انتهاء المدة القانونية، واصرار القوى السياسية المتنفذة في السلطة، على اخضاع المفوضية لنفوذها من خلال فرض أعضاء محسوبين على الأحزاب، لتعيينهم في مجلس المفوضية الجديد وفق المحاصصة الحزبية وتقاسم المناصب المعمول بها في كل دوائر الدولة.

وقد انتقدت مفوضية حقوق الإنسان، توقيت قرار البرلمان العراقي الخاص بانهاء عمل المفوضية. وقال عضو المفوضية، علي البياتي في تغريدة له على «تويتر» إن «حقوق الإنسان في أسوأ حالاته والبرلمان يطالب مجلس المفوضين المنتهية مهامه بترك المفوضية وهي بلا مجلس مفوضين جديد». وأضاف انه «حسب قانون المفوضية رقم 53 لسنة 2008 فإن واجب المفوضية تشكيل مجلس المفوضين الجديد قبل مغادرة المجلس القديم» متسائلا «حقوق الإنسان في العراق إلى أين؟».

وفي تصريح سابق أكد علي البياتي، إن «المفوضية خلال السنوات الأخيرة، عملت في ظروف صعبة جداً، مليئة بالانتهاكات في كافة المجالات، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع إمكانيات محدودة جداً. وقد استطاعت أن تحافظ على القدر الممكن من الاستقلالية، حيث لا يمكن أن تكون هناك استقلالية مثالية في بلد مثل العراق».

ويتفق المراقبون ان تعطيل عمل مفوضية حقوق الإنسان يخدم أهداف أحزاب السلطة من خلال فرضها عناصر جدد يخدمون المصالح المالية لتلك الأحزاب إضافة إلى تعطيل عمل المفوضية في فترة حساسة تسبق الانتخابات، حيث سبق للمفوضية ان وجهت انتقادات للحكومة والأحزاب حول انتهاكات حقوق الإنسان وخاصة في قمع التظاهرات المطالبة بالإصلاحات واستهداف الناشطين وانتهاكات السجون والمغيبين وغيرها من الملفات التي تدين أحزاب السلطة.

وفي السياق ذاته، قررت المحكمة الاتحادية العليا، الاثنين الماضي، عدم دستورية ارتباط مفوضية حقوق الإنسان بمجلس النواب، فيما أكدت بقاء المفوضية «هيئة دستورية مستقلة ماليا وإداريا وفنيا» مبينة ان ترشيح أعضاءها هو من اختصاص الحكومة وليس البرلمان. وقد حسم قرار المحكمة الاتحادية، جدلا طويلا حول جهة ارتباط مفوضية حقوق الإنسان بمجلس النواب أم مجلس الوزراء، فيما تتصارع الأحزاب المتنفذة في السلطة على استغلال مفوضية حقوق الإنسان وتعطيل عملها.

قانون محكمة المجرمين

ونتيجة لاستمرار جرائم قمع واستهداف المتظاهرين والناشطين وبقية الانتهاكات، فإن العديد من القوى الشعبية والسياسية وتنسيقية التظاهرات ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمات دولية، تقود حملة واسعة للضغط على الحكومة ورئيس الجمهورية والبرلمان، من أجل إعداد مشروع «قانون لتشكيل محكمة خاصة بمحاسبة المتورطين في جرائم ضد حقوق الإنسان في العراق».

وشددت مفوضية حقوق الإنسان على ضرورة قيام الحكومة بإعداد مشروع القانون وإرساله إلى مجلس النواب للتصويت عليه، موضحة في بيان أن «الحكومة ورئاسة الجمهورية مطالبتان بإعداد مسودة قانون وإرسالها إلى البرلمان بشكل سريع، إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة المتورطين في جرائم قتل المتظاهرين لإرسال رسائل إيجابية للمتظاهرين، ولوضع حد للإفلات من العقوبة، والاستجابة لمطالب المتظاهرين بشكل سريع». وجاء هذا التحرك بسبب اصرار القوى الظلامية على مواصلة عمليات اغتيالات واستهداف الناشطين.

الضغوط الدولية

ولم يكن المجتمع الدولي بعيدا عن متابعة انتهاكات حقوق الإنسان في العراق، ومنها ملف آلاف المفقودين والمغيبين، حيث قامت بعثة العراق للجنة الدولية لشؤون المفقودين، بمناقشة ملفات حقوق الإنسان المتعلقة بالمفقودين والمقابر الجماعية، مع الحكومة والبرلمان العراقي.

فقد بحث مدير البعثة الدولية مع رئيس لجنة حقوق الإنسان النيابية أرشد الصالحي، آلية العمل المتبعة من قبل الحكومة وتعاون البعثة مع دائرة الطب العدلي في وزارة الصحة ومؤسسة الشهداء ما أجل متابعة قضايا المفقودين ومن ضمنها آلية العمل المتمثل بوضع نظام البيانات المستحصل عليها من ذوي المفقودين وفق نظام سجل مركزي يحتوي على معلومات وافية للمفقودين في العراق، إضافة إلى تعاونهم مع منظمات المجتمع المدني للتواصل مع عوائل المفقودين لضمان حقوقهم ودعمهم.

وأقر النائب الصالحي ان الإجراءات الحكومية المتبعة من قبل «لجنة 46» لم تكن بالمستوى المطلوب، مطالبا الجهات الحكومية ذات العلاقة بالعمل بجدية في ملف المفقودين للوصول إلى نتيجة إيجابية بهذا الجانب، ولا سيما ان العراق وقع على الاتفاقية الدولية لحماية الأشخاص من الاختفاء القسري ولابد من احترام تطبيقها. علما بأن الحكومة العراقية لم تقم بإعداد سجلات للمغيبين والمفقودين في العراق منذ 2003 رغم انه يشمل عشرات الآلاف من العراقيين.

وفي شأن ذو صلة، وفي أعقاب وقوع تفجير مدينة الصدر في بغداد مؤخرا الذي أسفر عن سقوط نحو 80 شهيدا وجريحا، أصدر مجلس الأمن الدولي، قرارا حول معاقبة مرتكبي العنف في العراق. وهذا القرار يتيح ملاحقة كافة مرتكبي أعمال العنف والإرهاب في العراق بمختلف أشكالها، حسب الخبراء.

وكان مكتب حقوق الإنسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق «يونامي» دعا مرارا إلى ملاحقة قتلة الناشطين والمتظاهرين عبر إصدار تقارير عن المظاهرات المطالبة بالإصلاحات التي بدأت في العراق منذ تشرين الأول/ اكتوبر2019 حيث أشارت إلى أن «انتهاكات وتجاوزات خطيرة لحقوق الإنسان ارتُكبت خلال الاحتجاجات الأخيرة» حاثة السلطات العراقية على اتخاذ «خطوات ملموسة لضمان المساءلة ومنع انتهاكات حقوق الإنسان وتمكين المظاهرات السلمية في المستقبل».

وقالت الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق جينين هينيس بلاسخارت: «إن مناخ الترويع والخوف لا يليق بإمكانات العراق كمجتمع منفتح».

مؤكدة ان صدور تقرير لجنة التحقيق، هو خطوةٌ مهمةٌ نحو المساءلة، و«أنا أحث على اتخاذ المزيد من الخطوات لمقاضاة أولئك المسؤولين عن الخروقات وإنزال العقوبة بحقهم». فيما قالت مديرة مكتب حقوق الإنسان في يونامي دانييل بيل إن «الخسائر في الأرواح والإصابات الخطيرة والأضرار الناجمة عن العنف أثناء المظاهرات كانت مأساويةً وكان بالإمكان منعها، ويتعين أن تكون الأولويةُ لاتخاذ خطوات ملموسة لتمكين التجمعات السلمية وحماية المشاركين فيها».

ويأمل العراقيون، ان تصاعد الضغوط المحلية والدولية على الحكومة العراقية، لمعاقبة مرتكبي الجرائم ضد العراقيين، لا بد ان تجبرها على التحرك الجدي لمعاقبة اولئك المجرمين حتى وان كانوا يتمتعون بغطاء أحزاب سياسية متنفذة، مع قناعة الجميع بأن الحكومة تتوفر لديها الكثير من المعلومات عن منفذي الجرائم والجهات التي تقف وراءهم.

وتبقى الحقيقة المؤسفة في العراق انه رغم وجود العديد من المنظمات والهيئات المعنية بحقوق الإنسان منها مفوضية حقوق الإنسان المستقلة، ولجنة حقوق الإنسان في البرلمان، إضافة إلى عشرات منظمات حقوق الإنسان المحلية، كما توجد تشريعات وقوانين عديدة، تعالج مرتكبي الجرائم، إلا ان الخلل هو في التطبيق وليس في وجود المؤسسات والتشريعات. ولذا فما دامت هناك أحزاب متنفذة تستقوي بميليشيات مسلحة تعجز الحكومة عن ردع تجاوزاتها أو الحد من نفوذها، فلن يكون هناك شيء اسمه حقوق الإنسان وسيواصل مرتكبو الانتهاكات بحق العراقيين وحرياتهم وكرامتهم، الإفلات من العقاب.

كتب

رفائيل كورماك و«منتصف الليل في القاهرة»: دراسات متعمقة لفنون مصر ومجتمعها مطلع القرن المنصرم

نزار صالح

يفتتح رفائيل كورماك كتابه «منتصف الليل في القاهرة: مطربات مصر في العشرينيات العارمة» باقتباس من الكاتب والناقد المصري الكبير لويس عوض، حول سنوات شبابه الأولى وحياة الليل في حيّ الأزبكية القاهري بين الحربين: «لم يكن عسيراً اكتشاف هذه البيوت السرية، فما كان عليك إلا أن تجلس في شارع الفي بك في قهوة أو بار كالباريزيانا أو التافيرنا يطل على الشارع حتى يتردد عليك عشرات من الباعة، هذا يبيع اليانصيب وهذا يبيع الجرائد وهذا يبيع السميط والبيض وهذا يبيع أمواس الحلاقة والأمشاط وهذا يمسح الجزم وهذا يبيع الفستق ويلعب (جوز ولا فرد) وهذا قرداتي أو بهلوان يلعب على البيانولا مع زوجته أو ياكل النار ويمشي مشية شارلي شابلن. وبين هؤلاء جميعاً يندس دائماً القواد الذي يحاول أن يقنعك ببلاغته أنه سيقودك إلى أجمل بنت في الدنيا وأنها على بعد خطوتين منك ولن تكلفك إلا نصف جنيه أو ربع جنيه بحسب الحالة».

والمؤلف تخرج من جامعة إدنبرة حيث تناولت أطروحته للدكتوراه موضوع المسرح المصري، وله اهتمام خاص بفنون الغناء والاستعراض والتسلية العربية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ويعمل حالياً أستاذاً في جامعة كولومبيا، نيويورك. وفي كتابه هذا يستأنف، ولكن من زاوية البحث التاريخي والثقافي في ميادين الغناء تحديداً، تلك الجاذبية الطاغية التي تمتعت بها مصر عموماً، والقاهرة والإسكندرية خصوصاً، لدى العديد من الأوروبيين، وتجلت على سبيل أبرز الأمثلة في قصائد الشاعر اليوناني قسنطين كفافيس وفي نثر لورنس داريل وروباعيته الشهيرة. وهو يشير إلى أنّ مجرد تسطير لائحة بأسماء نجوم مصر ومطرباتها خلال العقود الأولى من القرن العشرين سوف يكشف الخلفيات بالغة التنوّع من حيث الدين والجنسية والثقافة. وبعض هؤلاء صاروا نجمات ونجوماً من المشاهير مصرياً وعربياً، وبعضهن ممن أتوا من مختلف أقطار العالم العربي استقروا في المشهد المصري بصفة نهائية حتى يندر أن يتذكر الناس جنسياتهم الأصلية.

ولا تفوته الإشارة إلى الخلفيات السياسية والاجتماعية التي تصدرت تلك الحقبة من تاريخ مصر وكانت وراء جملةً من المتغيرات الفارقة. خاصة تطورات سنة 1919 التي بلورت حساسيات جيل بأكمله. فبعد أن ثارت مصر على الحكم الإستعماري البريطاني وأحرزت استقلالاً وإن مشروطاً، بدأت الأسئلة تتكاثر حول الهوية والمستقبل والعقائد والإيديولوجيات المستجدة وبينها الليبرالية والشيوعية والإلحاد والتيارات الإسلامية، وكان بطل فيلم «انتصار الشباب» لسنة 1941 خير معبّر عن تلك التحولات حين طالب باعتبار الماضي ثياباً بالية يتوجب خلعها والتخلص منها. إلى هذا تُضاف حركات تحرير المرأة والمجموعات النسوية، التي أسفرت عن ولادة كاتبات شهيرات مثل هدى شعراوي ونبوية موسى ومي زيادة وسيزا نبراوي، ولم يغب الرجال عن ميدان دعم النساء فنشطت روابط سياسية وأدبية وفكرية توفّر الدعم وتشترك في خوض معارك التنوير.

وفي أروقة الأندية الليلية والكباريهات والمسارح كانت المرأة تمخر عباب بحور عاتية لتمكين وجودها، فصارت مطربة مثل منيرة المهدية مالكة جمهور واسع النطاق فـادارت فرقتها المسرحية الخاصة بها منذ العام 1915. واقتدت بها مجموعة مميزة من المطربات والممثلات والراقصات ممّن تركن بصمات لا تُنسى في التاريخ الثقافي والفني لمصر خلال العقود الأولى من القرن العشرين. لهذا فإنّ فصول كتاب كورماك تتناول أسماء لامعة مثل روز اليوسف، التي كانت في سنة 1925 ممثلة بارزة نقلت ليالي الكباريهات وصالات الموسيقى إلى مرحلة أعلى مسرحية وأدائية، بمعونة مباشرة من زوجها الثاني زكي طليمات، بلغت أوجها مع تأسيس مسرح رمسيس، ثم إطلاق المجلة الشهيرة. فصل آخر يناقش دور الممثلة الفرنسية الأشهر سارة برنار، من خلال مرورها الأول في مصر وأدائها عدداً من تمثيلياتها على مسرح الأوبرا شتاء 1888 ـ 1889 ومرورها الثاني في خريف 1908 حيث عرضت بعض مسرحياتها رغم إصابة في قدمها وأشادت بمدى تطور ذائقة المصريين بالقياس إلى 20 سنة خلت.

لكن فاطمة رشدي سوف تستحق لقب «سارة برنار الشرق»، منذ أن اكتشفها يوسف وهبي في سنة 1925 وصادفها سيد درويش وأختها إنصاف في إحدى مقاهي الإسكندرية وضمهما إلى فرقته المستحدثة في القاهرة. وفي العاصمة سطع نجم فاطمة، حتى من خلال سيرك نجيب الريحاني، فتخصصت في فنون المونولوغ «الطقطوقة»، وأنشأت قاعة رقص مونتي كارلو في حي روض الفرج، الذي على صغره أخذ ينافس ليالي الأزبكية. ولم يطل الوقت حتى شرعت رشدي في تجسيد طموحاتها نحو الانتقال من الأداء في العلب الليلية إلى التمثيل على المسرح واقتراح الموضوعات للسينما، خاصة بعد لقائها مع عزيز عيد. ويعقد كورماك فصلاً خاصاً للمطربة فاطمة سري، التي لم تنل حظها من الشهرة والانتشار رغم إنجازاتها المميزة، وما قدمته من أعمال بالتعاون مع الملحن داود حسني، وكيف تحولت قصة الحب التي جمعتها مع محمد الشعراوي إلى موضوع فيلم «فاطمة» الشهير، 1947 الذي مثلت فيه أم كلثوم.

الفصل الثامن من كتابه يخصصه كورماك لكوكب الشرق أم كلثوم، ويبدأه باستعراض التنافس الفريد الذي شهدته عشرينيات القرن الماضي بين منيرة المهدية نجمة صالات الموسيقى خلال العقد الأول ومبتكرة فنون الأوبرا العربية وأول امرأة تقود فرقة مسرحية في العالم العربي من جهة أولى، وتلميذتها الموهوبة والمجتهدة والقادمة من الريف المصري ونجمة السينما والمطربة البارعة أم كلثوم من جهة ثانية. ولكن فوارق جوهرية كانت تفصل بين النجمتين، تتجاوز الأداء والموهبة والخيارات الغنائية والموسيقية، فقد كانت منيرة المهدية متطرفة في التعبير وبعيدة عن التقاليد وخطيرة من الناحية الجنسية، وعلى النقيض كانت أم كلثوم منضبطة ومتحفظة ومحترمة. وإذا كانت اليوم الـ«ديفا» الأشهر والأبرع في مصر والعالم العربي، فإنّ ارتقاءها سلالم المجد لم يكن بالأمر اليسير في أزبكية عشرينيات القرن المنصرم، وتوجب أن تشتغل كثيراً على نفسها، وأن تنتقي بعناية الملحّن والشاعر والعازف والتخت بأكمله، وكورماك لا يبخل على قارئه (الغربي في نهاية المطاف) سرد التفاصيل المحورية في حياة هذه الصبية القادمة من الريف المصري لتصنع قصة نجاح غير مألوفة وغير مسبوقة.

وفي فصول لاحقة يناقش كورماك إشكاليات صناعة السينما في مصر لجهة الرقابة على الموضوعات ذات الطابع الديني، وكذلك صعود موجة «الصالة» التي حجبت الكثير من الأدوار التي كانت مناطة بالكباريه والمسرح والمرابع الليلية، وكانت بديعة مصابني القادمة من سوريا هي الرائدة خلف هذا التحول. وبدأت بديعة حياتها الفنية كممثلة كوميدية، لكنها في سنة 1926 افتتحت أوّل صالة لها في شارع عماد الدين، وحرصت أن يجمع تصميمها وديكوراتها بين الكباريه الأوروبي وقاعة الموسيقى العربية، وأن تحتضن راقصات ومطربات أمثال تحية كاريوكا وسامية جمال وليلى مراد، لن يطول الوقت حتى أصبحن من المشاهير في مصر والعالم العربي بأسره. ولا يفوت كورماك التوقف عند مقالة إدوارد سعيد اللامعة حول تحية كاريوكا والتي سينشرها في سنة 1990 ويروي فيها حضوره حفلة للراقصة الشهيرة تؤدي على أنغام «منديل الحلو»، كما يحرص كورماك على أن يكرّس فصلاً كاملاً لحضور هذه الرقصة في خمسينيات مصر والعالم العربي، وكيف كان الرقص الشرقي قد دخل طوراً مختلفاً مع تجديدات عدد من الراقصات المتميزات.

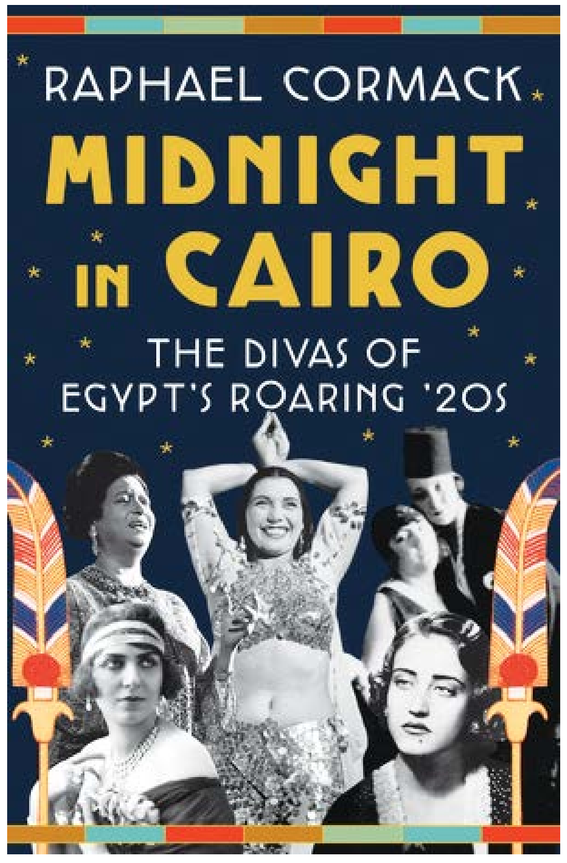

كتاب كورماك أقرب إلى استعراض مسرحي في ثلاثة فصول: تاريخ حياة الليل في مصر أواخر القرن التاسع عشر وحتى نهايات 1920، واستعراض حياة وأعمال حفنة من أبرز النجوم النساء خلال الحقبة إياها، وسرد حكاية حيّ الأزبكية القاهري وما شهده من تحولات فنية وثقافية، كانت أيضاً سياسية واجتماعية. والكتاب ثري في التفاصيل، وموضوعي في استخلاص الأحكام، وكبير الفائدة لجهة المراجع العربية والأجنبية والوثائق التي اعتمد عليها المؤلف.

Raphael Cormack: "Midnight in Cairo - The Divas of Egypt's Roaring '20s"
Norton, New York 2021
384 pages.

غابرييل بوغرند وباتريك ماكغواير في «تُرك جانباً»:

هل أُزيح جيريمي كوربن عن الساحة السياسية البريطانية بسبب تأييده لحقوق الفلسطينيين أم لعدائه للسامية؟

سمير ناصيف

عندما خسر حزب العمال البريطاني، بقيادة زعيمه السابق جيريمي كوربن، الانتخابات الاشتراعية البريطانية في منتصف كانون الأول (ديسمبر) 2019 وفاز عليه حزب المحافظين بقيادة رئيس الحكومة الحالي بوريس جونسون بفارق واسع، طرحت الأسئلة حول مصير كوربن والجناح الذي يمثله في حزب العمال وأسباب خسارته الفادحة وعما إذا كان هذا الجناح سيختفي كلياً عن الساحة السياسية البريطانية، وإذا كان كوربن سيستمر في ممارسة العمل السياسي بعدما قررت قيادة حزبه الجديدة، تحت زعامة كير ستارمر طَرده من الحزب تحت حجج أبرزها ما أُطلق عليه تعبير «عداء كوربن للسامية» ورفضه الاعتذار العلني عن مساهمته في انتشار العداء للسامية في حزب العمال وإصراره أنّ انتقاد سياسات إسرائيل القمعية في فلسطين يختلف عن العنصرية ضد اليهود كشعب وكمجموعة إنسانية ودينية.

كتاب «تُـرك جانباً، القصة الداخلية لحزب العمال تحت قيادة كوربن» للصحافيين البريطانيين غابرييل بوغرند وباتريك ماكغواير اللذين يعملان في صحيفتي «الصندي تايمز» و«التايمز» البريطانيتين بعد عملهما في صحف غربية مرموقة أخرى، يحاول التطرق إلى هذا الموضوع عن طريق اعتماد تحليل موضوعي يركز بشكل أساسي على الخلافات الداخلية في قيادة حزب العمال التي يعتبرانها العامل الأهم في فشل كوربن في الوصول إلى رئاسة الحكومة بعد نجاحه المفاجئ والبارز في الفوز في قيادة حزبه وتحقيقه نتائج باهرة في الانتخابات الاشتراعية لعام 2017 مما ساهم في إسقاط رئيسة الوزراء المحافظة تيريزا ماي وحلول بوريس جونسون مكانها في رئاسة حزب المحافظين ومن ثمّ رئاسة الحكومة.

أهمية هذا الكتاب هو انه يحاول تفسير الانخفاض في شعبية حزب العمال تحت قيادة ستارمر منذ انتخابه إلى الآن وتدخلات زعماء الحزب السابقين كرئيس الوزراء العمالي السابق توني بلير وأحد كبار معاونيه الوزير السابق بيتر مندلسون في تحريك عمليات الرفض لسياسات كوربن في داخل المجموعة البرلمانية العمالية لمواجهة شعبيته الكبيرة لدى النقابات العمالية والفئات الشبابية في الحزب المؤيدة لسياسات كوربن الداخلية والخارجية حيث وضعَ الخيارات المرتكزة على المبادئ والقيم الأخلاقية على رأس سلم أولوياته، بينما مارسوا هم سياسات داخلية وخارجية في كثير من الأحيان مناقضة لهذه المبادئ. وكان توني بلير وأعوانه تشاركوا مع الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الابن في حربه على العراق عام 2003 وفي الخضوع لمتطلبات وإمـلاءات شركات الأسلحة البريطانية الكبرى وشركات النفط البريطانية والمتعددة الجنسيات على حساب مواجهة خروقات وتجاوزات حقوق الإنسان في بعض الدول المستوردة للأسلحة والمصدّرة للطاقة وفي دول أخرى من العالم.

الفصل الأهم الذي يتطرق فيه الكاتبان لقضية العداء للسامية هو السادس. وقبل البدء في تناول هذا الفصل تجدر الإشارة إلى ما قالته مقدمة البرامج التلفزيونية البارزة ايميلي مايتليس في كتابها الصادر منذ عامين، حيث أشارت إلى أنها كاحدى المسؤولين الكبار في برنامج «نيوزنايت» في تلفزيون «هيئة الإذاعة البريطانية» دعت توني بلير للادلاء برأيه حول موقفه كزعيم سابق من أي انتخابات كانت ستجري في عام 2019 فأبلغها بانه قبل الموافقة على القدوم والمشاركة فإنه يريد أن يركز البرنامج على «العداء للسامية» في حزب العمال الحالي. وفوجئت مايتليس إزاء إصراره على التدخل في أجندة البرنامج، وبالتالي إثارة التساؤلات حول قضايا انقسامية قد تضر بشعبية الحزب. كما من المفيد التأكيد ان الزعيم الحالي للحزب كير ستارمر كان يدعي قربه من مواقف كوربن عموماً ولكنه كان يلتقي سراً بقادة من خصومه داخل وخارج الحزب تحضيراً لتسلم منصبه في حال فشله، ولم يتوقع كثيرون ان يقبل ستارمر المصادقة على قرار طرد كوربن بعدما قررت لجنة متعاطفة مع إسرائيل في الحزب بان كوربن لم يعتذر على انتقاده لسياسات إسرائيل العدوانية ضد الفلسطينيين سابقاً وحالياً أو لمواقف اتخذها الجناح اليساري في الحزب في هذا المجال، فبالتالي هو يـروّج لكره اليهود كشعب. وطبعا كل هذه الأمور كانت تجري خلال قيادة محور ترامب ـ بومبيو ـ كوشنر للولايات المتحدة وتعاونهما مع رئيس الحكومة الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو في عمليات «صفقة القرن» وبدعم من قطاعي تصدير الأسلحة واستيراد الطاقة العالميين. وعلى أثر إقصاء ستارمر لـكوربن ترشح جـورج غـالاواي مقدم البرامج الذائع الصيت والمؤيد للقضية الفلسطينية في انتخابات فرعية جرت منذ أسابيع في منطقة بريطانية ضد ممثلة حزب العمال وممثـل حـزب المحـافظين ونـال منفرداً ثمانية آلاف صوت. وكادت المرشحة العمالية أن تخسر تلك الانتخابات وفـازت بفارق ضئيل بلغ ما يناهز الثلاثمئة صوت فقط، واعتبر غـالاواي ان قـراره الترشح كان لتلقين الزعيم ستارمر درساً عما فعله ضد كوربن ومجموعته.

يقول مؤلفا الكتاب إن خصوم كوربن نبشوا تصريحات له عندما كان نائباً في المقاعد الخلفية في الحـزب ينتقد فيها شخصيات يهودية مؤيدة لإسرائيل ومتبرعة لعملياتها العسكرية ولكنه، وبعدما أصبح زعيماً للحزب كلّف زميلته شامي شاكراباتي بإجراء تحقيق حول انتشار العداء للسامية في الحزب بعد ما انتقد نواب عماليون يهود ومؤيـدون لإسرائيل نواباً آخـرين مـن حـزبـهـم فـي مـجـال التعرض لليهود وكمجموعة دينية اجتماعية، مما كان يرفضه كوربن. واتى تقرير شامي شاكراباتي في مصلحة كوربن.

ولـكـن، وفـي حـزيـران (يونيو) 2016 اعترف كوربن بوجود مشكلة من هذا النوع والتزم الاستمرار في معالجتها. بيد ان بعض النواب في حـزب العمال وخصوصاً من مؤيدي توني بلير وبيتر مندلسون اسـتـمـروا فـي شـن الـهـجـوم على كوربن معتبرين مواقفه المؤيدة لفلسطين دفعته إلى عدم الحزم بما يكفي مع كارهي اليهود في حزبه. كما حصلت خلافات بين مؤيدي إسرائيل من قيادات حزب العمال ومؤيـدي كـوربـن عندما احتفلت بريطانيا بقيادة تيريزا ماي بمرور مئة عام على إصدار «وعد بلفور». وقد وُجهت انتقادات إزاء مواقف مسؤولة حـزب العمال للشؤون الخارجية آنـذاك (عـام 2017) من قبل شخصيات في الشلة المحيطة بكوربن لقولها بانه متعاطف مع حـقـوق اليهود بإنشاء دولتهم، وبعد ذلك أُقيلت من منصبها. كما فجّرت قضية نقل دونالد ترامب السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس خلافاً داخل حزب العمال البريطاني. وتصاعدت مثل هذه الخلافات حول سياسات ترامب في إسرائيل وقضية انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وأرهقت كاهل كـوربـن كزعيم حـزب كـان يسعى لتوجيهه نحو الديمقراطية والمثالية، عـلـمـاً ان كـوربـن نفسه (حسب المؤلفين) لم يكن يرغب بأن يصبح زعيماً لحزبه ولا رئيساً للوزراء في حال فوز حزبه في الانتخابات الاشتراعية، بل كان هدفه منذ أن كان في المقاعد الخلفية في حزبه الدفاع عن القيم التي يؤمن بها إزاء القضية الفلسطينية وقضية تحرير إيرلندا الشمالية من هيمنة إنكلترا، وقضايا إنسانية ـ سياسية أخرى في العالم. وجـلّ ما تمناه كان أن يصبح وزيراً للخارجية في حكومة عمالية بقيادة زعيم عمالي نظيف سياسياً وأخلاقياً ولا يركز فقط على شنّ الحروب ضد العالم الثالث للاستيلاء على موارده الطبيعية وعلى أراضيه ولا يخضع لسلطة المال على حساب الفقراء.

وصار خصوم كوربن في الحزب يمررون للإعلام أخباراً عن انتماءاته السابقة وتعاطفه مع مجموعات بريطانية اجتماعية مؤيدة لحقوق الفلسطينيين معتبرين التعاطف معاديا للسامية! ورفض كوربن التراجع عن مواقفه في هذا المجال، كما رفض مشروع تفاهم توصلت إليه اللجنة التي عيّنها داخل الحزب يتراجع فيه عن أمور مبدأية حول فلسطين. وصـار نـواب عماليون ينظّمون تظاهرات ضده ويحاولون الانـفـصـال عـن الـحـزب بـدعـم من مؤيدين لتوني بلير وأعوانه. وكان بلير مصمماً ليس فقط على إسقاط كوربن من الـزعـامـة بل إخراجه كلياً مما له علاقة بحزب العمال. وقد ساهم ستارمر في تنفيذ خطة العزل بينما كان كوربن يجتمع فاعلين في بريطانيا، ولكنهم كانوا دائماً يطلبون ويصرون عليه ان يعتذر عن ذنب لم يقترفه! وقد اجتمع كوربن بقادة جبهة النواب اليهود في البرلمان في 25 نيسان (ابريل) 2018 وطالبهم بتوضيح تفسيرهم وتعريفهم لمفهوم «العداء للسامية» فـأصـروا على تعريف منبثق من لجنة الهولوكوست الدولية، التي تضم نواباً يهوداً من دول مختلفة (31 دولة بينها بريطانيا) منذ عام 2016. والتركيز كان في البدء على كره اليهود لكونهم ينتمون إلى هذا الدين، وليس لأمر سياسي فعلوه. إلا أن اللجنة أضافت بنوداً جديدة بعد ذلك التاريخ ومنها ما يُفسر بانه ممنوع مقاومة اليهودي المعتدي مباشرة على غيره، وكان التفسير السابق عدم إلقاء اللوم على المجموعة اليهودية برمتها بسبب أخطاء يرتكبها يهود آخرون، كما حدث في محرقة الهولوكوست. وجرى نقاش حول هذا الأمر بإشراف شاكراباتي المقربة من كوربن إذ ان التعديلات قد تعني شرعنة تصرف إسرائيل ضد الفلسطينيين ومنع انتقادها وانتـقـاد قادتها إذا فعلوا ذلك. وكوربن كان وما زال رافضاً لمثل هذا المنطق ولادراجه في منظومة «العداء للسامية» بل اعتبره وما زال يعتبره مقاومة (ص 106).

ويُذكر ان كوربن شارك مؤخراً في دعم التظاهرات الضخمة التي جرت في شـوارع لندن ومـدن بريطانية أخـرى دعماً للشعب الفلسطيني بعد الوحشية الإسرائيلية في غزة. والخـلاف حالياً بين جهات حتى داخل حزب العمال، هو حول ما إذا كان اعتبار إسرائيل دولة عنصرية يشكل عداء للسامية أو لا.

هـذا يعني ان مؤيـدي كوربن من منتقدي سياسات إسرائيل العسكرية المباشرة أو التمييزية عنصرياً ضد الفلسطينيين يفضلون هذا الموقف عن العداء للسامية، فيما يريد آخرون تنزيه إسرائيل عن كل ما تفعله وتركّبه وإلا يُرفع سيف العداء للسامية في وجه من يفعل ذلك ويدفع الثمن سياسياً أو في مجال آخر.

المشكلة الأخـرى لـدى كوربن، عندما كـان زعيماً لحـزب العمال، كـانـت ان بـعـض كـبـار مـعاونيه والمقربين جداً منه (حسب المؤلفين) كمعاونه المباشر جون ماكدونيل كان يعتبر ان بإمكان صديقه جيريمي ان يقوم ببعض المبادرات الدبلوماسية المرطبة للأجواء في مجال قضية الاتهامات بالعداء للسامية، كما كان بامكانه أن يتخذ موقفاً أكثر وضوحاً في مجال قضية بريكست، ولكن تردد كوربن برأي ماكدونيل، وتمسكه بمبادئه وطبيعة شخصيته كلها أفقدته هالته كزعيم سياسي وكقائد حزب واسع الانتماء كحزب العمال البريطاني. أي ان ماكدونيل، وزير المالية في حكومة الظل التي قادها كوربن، كان يفضل ان يقوم كوربن ببعض التنازلات لمجموعة «حزب العمال الجديد» وللمجموعة اليهودية ولمطالبها في حزبه لكي يحتفظ الحزب بالشعبية التي حظي بها عام 2017.

يبقى السؤال: هل كانت قضية اشـغـال كـوربـن بتفاعلات مسألة الـعـداء للسامية وسيلة لإبعاده أطلقتها ونفذتها شخصيات منحازة مرتبطة بمؤسسات صناعة الأسلحة وشركات الطاقة المتواجدة بداخل حزب العمال كما في غيره؟ أو هل كان سقوط كوربن مرتبطاً بعناده وتمسكه المبالغ فيه بمبادئه، أو هل كان لنظام دونالد ترامب وأعوانه وحلفائه في إسرائيل خصوصاً نتنياهو، الدور الرئيسي في إزاحته عن الساحة السياسية البريطانية؟

والسـؤال الآخـر المهم هـو: بعد وصـول جـو بـايـدن إلـى الرئاسة في أميركا بدعم من بـارك أوباما ومـن مجموعات تُـشـارك كوربن موقفه إزاء القضية الفلسطينية، ماذا سيكون مصير كوربن وأمثاله على الساحة السياسية البريطانية والعالمية؟

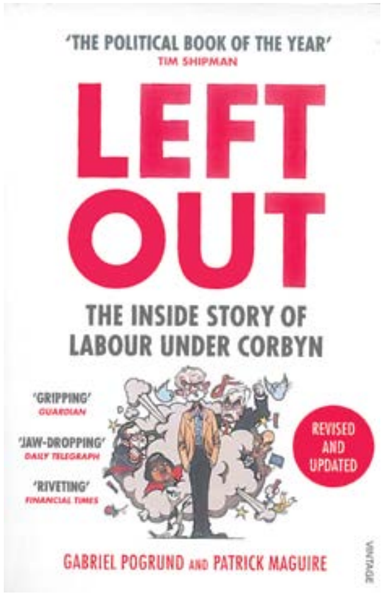

Gabriel Pogrund & Patrick Maguire: "Left Out: The Inside Story of Labour Under Corbyn"
Random House, London 2021
387 pages.

المقال

فواز طرابلسي

هبّة فلسطين المستقبل ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي

من العدوان الإسرائيلي على غزة

1

عند كتابة هذه السطور لم يكن وقف إطلاق النار قد تحوّل إلى هدنة مستدامة في فلسطين بناءً على الوساطة المصرية. يشترط الطرف الإسرائيلي تسليم جثتي جنديين إسرائيليين لدى «حماس» منذ مواجهات العام 2014 والإفراج عن إسرائيليين اثنين محتجزين في القطاع للسماح بإعادة إعمار غزّة. وتصرّ «حماس» على المبادلة بإطلاق سراح أسرى فلسطينيين. في الانتظار، يتواصل التوتّر المحدود من خلال التراشق بالبالونات حارقة وقصف موضعي.

أعلن بنيامين نتنياهو ثلاثة أهداف لحربه: السحق أو الردع واغتيال قادة «حماس»، قائد الجناح العسكري للحركة محمد الضيف ورئيس مكتبها السياسي في غزة يحيى السنوار، و«الجهاد الإسلامي». لم يحقق أيّا من تلك الأهداف. لم ينجح القصف في إسكات الصواريخ واضطرّ نتنياهو إلى القبول بوقف إطلاق نار، مكتفيًا بالتباهي بتدمير 150 كيلومترًا من «مترو» الأنفاق تحت غزة. في ظل تناسُب قوى شديد الاختلال بين رابع دولة عسكرية في العالم وحركة مقاومة مسلّحة في قطاع محاصر، يرقى عجز إسرائيل عن فرض إرادتها وأهدافها على المقاومة والشعب إلى مستوى الهزيمة العسكرية.

وفي تناسب القوى إيّاه، يجوز الحديث عن انتصار شعب غزة ومقاومته، إذا عنينا بالانتصار قدرة المقاومة على البقاء ومنع تنفيذ أهداف العدوّ من القتال. فاجأت غزة العدوان بصمودها وبما تملكه من طاقة عسكرية ومن قدرة على مواصلة عملياتها العسكرية إلى حين الاتفاق على وقف إطلاق النار.

2

في إضراب 18 أيار/مايو، توحّدت فلسطين من البحر إلى النهر وطرحت مهمّات تجديد وحدتها. ومن تحت قصف صواريخ غزة، تصاعدت المقاومة الشعبية ضد إجراءات تهويد القدس، وتواصلت مع نضالات أبناء مدن الساحل والداخل حيث الجيلُ الرابع من أبناء فلسطين آخذ يستعيد مدنه من عصابات المستوطنين ويقاوم اقتحاماتهم بما يناسب من عنف، وسقط من بينهم شهيدان في أمّ الفحم والله. كانت البسمة هي التحدّي الذي أطلقه شباب فلسطين، بسمةُ الذين تخطّوا حاجز الخوف بالأمل.

في المقابل، يتبدّى سؤال المستقبل في فلسطين في ما كشفته الهبّة الأخيرة من ديناميات متشابكة ومتعاكسة أبرز مظاهرها:

– وضع مجمل قضية فلسطين بمكوّناتها الأربعة – غزة، الضفة، فلسطين 48 والشتات – أمام تحدي صياغة جديدة لمشروع التحرر الفلسطيني تحت عنوان الحق في تقرير المصير.

– ولادة حكومة إسرائيلية جديدة بناءً على تحالف رجراج من ثمانية أحزاب تلاقت على إزاحة نتنياهو، ليست توحي السياسات التي يعلن عنها رئيسها نفتالي بينت بأي تعديل قياساً إلى الحكومة السابقة ولا بإمكان بقائها الذي سوف يطرأ على التحالف، تصورًا وممارسة، في ظل الإدارة الديموقراطية؟

ينعقد هذا التحالف على صلة وثيقة بتطوّرين بارزين: انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان وقرب إعلان العودة إلى الاتفاق النووي بين إيران والدول الست الذي يستدعي استبعاد أو تعليق خيار الحل العسكري للنزاع الذي كان لإسرائيل دور أساسي فيه. ومع أن الحكومة الإسرائيلية لا تزال تعارض الاتفاق، إلا أن كبار المسؤولين الإسرائيليين باتوا يدركون عجزهم عن التأثير فيه.

الهدف الأول من الاتفاقات توفيرُ إسرائيل «الحماية المقرّبة» الأمنية والعسكرية للدول المتعاقدة معها (بما فيها حماية شركات أمن إسرائيلية لآبار النفط). ونسمّيها «حماية مقرّبة» على اعتبار أن الولايات المتحدة يفترض فيها توفير حماية عسكرية استراتيجية شاملة للمنطقة. لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل أن إدخال إسرائيل إلى الخليج تمهيد لانسحابات عسكرية تدريجية من المنطقة؟

لكن دولة الإمارات العربية المتحدة، القليلة السكان والهشّة أمنيًا، هي أغنى بلد عربي وثاني أغنى بلدان العالم بعد الصين وصاحبة أكبر شبكة من الموانئ وشركات الحاويات في العالم. وهي لا تفتقر إلى طموحات لعب أدوار إقليمية ودولية كبرى اعتماداً على قوّتها الاقتصادية والمالية متكلةً على الحليف الجديد. فهي حاليًا طرف فاعل في حرب اليمن، تسيطر المليشيات الموالية لها على مرفأ عدن وعدد من محافظات اليمن الجنوبية، وقد أنشأت قواعد عسكرية لها في جزر يمنية. وبالإضافة إلى التدخل في النزاع الليبي وتزويد جيش خليفة حفتر بالمال والسلاح، فالإمارات، إلى جانب السعودية، هي الداعم الأول لانقلابيّي المجلس العسكري في السودان ضد الانتفاضة الشعبية، والوسيط الرئيس في اتفاقات «التطبيع» بين الحكومة السودانية وإسرائيل.

3

ليس أبعد عن إمكانية فهم التحوّلات والانقلابات الكبرى التي تحملها عقود التعاون أو التحالف بين عدد من الدول النفطية ودولة الاحتلال الإسرائيلي من موقفين شائعين. الأول يدينها بما هي «تطبيع»، أي انتهاك لتحريم هو القطيعة مع إسرائيل. وأغرب الغريب في استخدام مفردة «التطبيع» أن التطبيع عودة إلى «وضع طبيعي»، على اعتبار أنّ الشواذ هو رفض الأمم الواقع القهري للاحتلال والعدوان والهيمنة والإجلاء الإسرائيلي. التي تمارس منذ قرن على الأقل. وهو ما يؤكد الاستبطان العميق لمصطلحات «حلّ النزاعات» و«العدالة الانتقالية» بلا تفحّص أو نقد! أما المنظار الثاني فهو الوجه الآخر لـ«أول: يختصر التعاون بوجهه الاقتصادي ليوحي أنه لا يمسّ «قدسية القضية»، و«القضية»، كما هو معروف، تتعالى عن المادّيات والمصالح.

تعلن اتفاقيات السلام والتعاون بين الدول العربية المعنية ودولة إسرائيل التكريسَ العلني للتحالف بين قاعدتي النفوذ والسيطرة الأمريكيتين في المنطقة: إسرائيل والنفط. تأسس هذا التحالف في ظل انتقال محور العلاقة الأمريكية– الإسرائيلية من الشراكة بين الحزب الديموقراطي الأمريكي وحزب العمل الإسرائيلي إلى الشراكة بين أقصى اليمين الإسرائيلي وأقصى اليمين في الحزب الجمهوري الأمريكي، مع ما حمل ذلك من تحوّل نوعي في تصوّر النزاع الفلسطيني– الإسرائيلي خصوصاً. والسؤال المطروح الآن يتعلق بحجم التعديل، إن كان هناك تعديل، الذي سوف يطرأ على التحالف، تصورًا وممارسة، في ظل الإدارة الديموقراطية؟

4

ليس يتطلب الأمر الكثير من التنقيب لاكتشاف حقيقة أن إسرائيل تقتحم المنطقة العربية بما هي قوة إقليمية تقيم معها سبع دول عربية اتفاقات اعتراف وتعاون. افتتح نتنياهو هذه المرحلة الجديدة من الصراع العربي الإسرائيلي بقوله: «لن يتحقق السلام الحقيقي إلا من موقع قوة. وإسرائيل أصبحت قوة عظمى».

لم تنتظر مبادرة السلام العربية للعام 2000 هذا الإعلان لتتلقّى رصاصات الرحمة المختلفة. قامت على بلاهة أصلية تفترض أن العرب يمتلكون السلام، وأن إسرائيل تحتاج إلى السلام، فيكتمهم مبادلة الانسحاب الشامل (من الأراضي المحتلة العام 1967) بالسلام والاعتراف الشاملين. ردّ أرييل شارون على المبادرة في حينها بمعادلة «السلام مقابل السلام»، من قبيل التذكير ببداهة أن مانح السلام هو من يستطيع شن الحرب. أما النوعي والجديد الآن فهو أن إسرائيل عقدت اتفاقيات سلام وتعاون مع سبع دول عربية من خارج النزاع الفلسطيني– الإسرائيلي أصلاً.

5

ذكّرت الهبّة الفلسطينية الأخيرة بالأخطر من مفاعيل اتفاقية أوسلو: الفصل بين النزاع الإسرائيلي الفلسطيني والنزاع العربي الإسرائيلي، والفصل بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وقوى المعارضة والتغيير في سائر الأقطار العربية. وأبرز أسئلة المستقبل تتعلّق بكيفية تجاوز النظرة العسكرية الاختزالية إلى قضية فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، وقد أسهمت في إبعاد طاقات شعبية وشبابية من مسؤولياتها في الصراع والنضال، فتحوّلت إلى قوى احتجاج وتضامن ودعم تعبّا وتسرّح على وقع المجابهات التي تخاض بالنيابة عنها في فلسطين أو غزّة أو لبنان؟

كيف يعاد الاعتبار للسياسة في النزاع الفلسطيني الإسرائيلي وفي النزاع العربي الإسرائيلي؟ كيف تترافق السياسة وتتكامل مع الفعل المسلّح، السياسة التي تمارَس من منظار وطني شعبي، وتبني شبكة من الاستراتيجيات والمسارات متعدّدة الأوجه ترمي إلى بناء ومراكمة القدرات من أجل التعديل المطّرد لموازين القوى مع العدو؟

دون الطموح إلى توفير أجوبة، في ما يلي بعض نقاط الاستدلال:

– استعادة النضال باسم السيادة الوطنية والدفاع عن الموارد والثروات الوطنية والمصالح الأهلية، ضد التدخّل الإسرائيلي في الأوضاع الداخلية للبلدان العربية، خصوصاً تلك التي باتت في حال سلام وتعاون مع العدو.

– مقاومة التدخّل العسكري الخارجي والدعوة إلى جلاء القواعد العسكرية والقوات الأجنبية عن الأراضي العربية كائناً ما كان مصدرها.

– إعادة الاعتبار للجيوش بما هي مؤسّسات دفاع وطني. والنضال من أجل إخضاعها للسلطات المدنية وللشرعية الشعبية؛ وإخراجها من الخوض في دماء شعوبها في الحروب الأهلية؛ وحلول الجيوش النظامية محَل الجيوش الموازية والمليشيات الاقتتال الأهلي.

– تفعيل القوى الذاتية العربية بإعادة الاعتبار لجامعة الدول العربية ولاتفاقيات الدفاع العربي المشترك وإحياء النضال من أجل سيطرة المنطقة على مواردها وثرواتها وتنمية التعاون الاقتصادي بين بلدانها.

– تجديد الحملات الشعبية والسياسة الإقليمية والدولية ضدّ النووي الإسرائيلي تحت شعار «من أجل شرق أوسط خالٍ من السلاح النووي».

– توسيع نطاق الحملات الدولية لمقاطعة إسرائيل BDS لكي تشمل المقاطعة الاقتصادية والعسكرية والأمنية وتفعيل الحملة ضدّ الضبّاط الإسرائيليين المتّهمين بجرائم حرب. وفي السياق ذاتـه، فضح وتجريم حركات المستوطنين المسلحين بصفتها حركات عنصرية إرهابية والدعوة إلى مقاطعتها وملاحقة أعضائها قضائيًا عبر العالم.

– القيام بعملية تصحيح متبادل بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وقوى التحرر والتغيير العربية. وهذا يعني إعادة إدراج قضية الدفاع الوطني والأمن القومي وتحرير الأراضي المحتلة (في الجولان وجنوب لبنان) ودعم نضال الشعب الفلسطيني من أجل تقرير المصير من ضمن مهمّات القوى المناضلة من أجل العمل والحرّية والعدالة الاجتماعية. وهو يعني في المقابل، أن تستعيد حركة التحرر الوطني الفلسطينية موقعها ودورها كطرف فاعل بين قوى التحرر والتغيير العربية، داعم لنضالات الشعوب العربية وحركاتها الشعبيةً من أجل تلك الأهداف في وجه أنظمة الاستبداد والاستغلال من دكتاتوريات وأوليغارشيات نفطية وغير نفطية.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

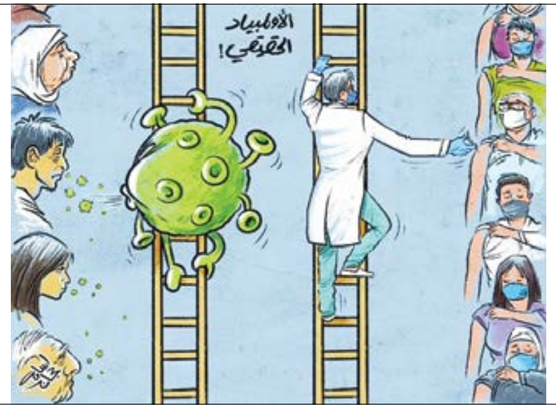

كاريكاتير: اسامة حجاج

منصف الوهايبي

التاريخ: حلم أطول من الليل

كانت أمّي رحمها الله تسأل أحيانا في آخر أيّامها وقد أصيبت بالزهايمر «أنحن في أمس أم في غد؟» [وقد وظّفت هذا في قصيدة لي منشورة]؛ ولم يكن لها، وهي الأمّيّة الحريصة على تعليم أبنائها، شغف بالماضي ولا بالتاريخ؛ ولم تكن معنيّة بهذه المسألة، ولكن ما كان يلفت انتباهي في صيغة سؤالها هو غياب الحاضر أو تكثّف الماضي (أمس) والمستقبل (غد) فيه. بل إنّ ما كان يقضّ مضجعها من حسّ الزمن، أجده وإن بصيغ مختلفة عند آخرين من كتّاب وفلاسفة. يقول ستيفن في رواية جويس «عوليس» وكأنّ التاريخ شبهات مرهقة تثقل كتفيه، أو بداية الصرع كما كان يقول العرب عن الجاثوم أو الباروك أو «النِّيدلان» أو ما يقع على النائم بالليل: «التاريخ كابوس لا أزال أبذل ضائعا، لكي أستيقظ منه (ترجمتي)». ويقول شوبنهاور في «العالم إرادة وتمثّل»: «إنّ ما يقصّه التاريخ، ليس في الواقع سوى حلم البشريّة الطويل، ووهمها الثقيل المشوّش». ويقول بنيدتو كروتشه قولته الشهيرة، وكأنّنا نرى كرة تردّد: «كلّ تاريخ إنْ هو إلاّ تاريخ معاصر [مزامن].» ويقول دو جيل روناردـ: «ليس التاريخ سوى أكذوبة[أباطيل]» أو بترجمة قد تكون أبلغ «ليس التاريخ سوى مواعيد عرقوب». ويقول دو أمريكو كاسترو في «واقع اسبانيا»، وكأنّه يذكّرنا بالامبراطوريّات القديمة التي لا تزال حيّة: «على التاريخ أن يحتفظ بالحياة على قيد الحياة». ويقول أناتول فرانس في «بستان أبيقور»: «ليس التاريخ علما، إنّما هو فنّ». ونحن لا نتقنه إلاّ تخيّلا». كلّ هذه الشواهد وغيرها ممّا لا يتّسع له هذا الحيّز، يصلح أن نفتتح به مقالا في التاريخ وتعريف الوقت «التأريخ»، بل «التوريخ» والواو فيه لغة كما يقول صاحب اللسان وهو يقودنا بتؤدة إلى أصل الكلمة، «الأرْخ» (بفتح الهمزة وكسرها) وهو الفَتِيّ من البقر، أو الأنثى البكر منه التي لم ينزُ عليها الثيران؛ فـ«التأْريخ مأْخوذ منه كأنه شيء حَدَث كما يَحْدُثُ الولد؛ وقيل: التاريخ مأْخوذ منه لأنه حديث». وهذا المعنى إنّما يتعلّق بعلم التاريخ قديما؛ وهو كما يقول هاملتون جب عن حقّ، اصطلاح من اصطلاحات الأدب العربي الذي يشمل التاريخ الحولي والتراجم؛ ولكنّه لا يشمل التاريخ الأدبي بصفة مقرّرة. على الرغم من أن كلمة «علم» محفوفة في هذا التراث بغموض غير يسير، فقد تعني اليقين ومعرفة الدين، وعدم اتّباع الظن، والسيرَ على الهوى، وقد تعني المعرفة بإطلاق القول، أو استخراج المعاني من المحسوسات وتجريدها في الذهن أمورا كلّية عامّة، أو البحث في خواصّ الأشياء وطبائعها، أي تلك التي يتقرّر اليقين بها من الحسّ والعقل والمشاهدة والتواتر، وقد تعني الخطاب التعليلي المرتهن بمقدّماته وحسن استدلاله، أو ما يسمّى «المعرفة البرهانيّة»، إذ ظلّت فكرة العلّة عند القدماء ـ على ما يبدو ـ صنوا ملازما لفكرة العلم، وظلّ العلم صنوا للعقل، من حيث هو حساب وضبط وقياس وتوازن وتناسب... فلم يكن المقصود بالعلم الاصطلاح الحديث المرتكز على وعي العلم بذاته، من حيث هو مجموع المعارف والدراسات القيميّة التي تتأسّس على القواعد، وتتبنّ الأحاديّة والإطلاقيّة، وتخرج «الحقيقة» من نسقيّتها، لتجعلها تابعة للنسق.

على أنّ قولة الكسيس كالير ال دو توكفيل في «نظام الثورة القديم»: «التاريخ معرض لوحات حيث يعرض قليلٌ جدّا من النسخ الأصليّة، وكثير من اللوحات المقلّدة» قد تضعني في السياق الذي أنا به، وهو والكتابة عن الماضي في تونس اليوم وهي تشقّ طريقها إلى الديمقراطيّة، وإن بصعوبات جمّة داخليّة وخارجيّة.

يقول حبيب القزدغلي أستاذ التاريخ المعاصر في الجامعة التونسيّة إنّ هذا النوع من الكتابة لا يشذّ عن القاعدة التي التزمها عديد البلدان غداة «ثوراتها»، إذ «كثيرا ما ترافق مثل تلك المنعرجات السياسيّة الكبرى، ظهور طفرات وعي تشمل مجالات عديدة في المجتمع؛ بما فيها الدعوات إلى (إعادة النظر) في الروايات السائدة ورفض للكتابات السابقة للتاريخ وحملات التبشير بسرديّات (بديلة)».

وهي كلّها على ضرورة تنسيب الحكم، تنشد حقيقة لم تنغمس في الشبهات. على أنّها «حقيقة» لا تنتمي إلى الماضي كما نتوهّم، وإنّما إلى «الحال» أي الحاضر؛ حتى عندما نسترسل مع المؤرّخ وهو يعيد بناء الماضي سواء في جوانبه العامّة أو في جوانب منه مخصوصة مكانا وزمانا؛ فثمّة دائما «منظور» أو وجهة نظر يتخيّرها، حتى وهو يلتزم الأمانة في سرديّاته. والمؤرّخ مطالب بالأمانة وليس بالموضوعيّة.

في تونس التي لا تزال تعيش ثورتها وارتداداتها، تكاد تتحوّل كتابة التاريخ وهي المحفوفة بمماحكات وسجالات قد تكون سياسيّة أو إيديولوجيّة أكثر منها علميّة، إلى فرع من علم الآثار الذي يُعنى من بين ما يُعنى به؛ بترميم الماضي وما فسد من آثاره وتفرّق؛ بعلاجها وصيانتها. وله فروع مثل الكيمياء والجيولوجيا وغيرهما؛ لأنه يتعلّق بموادّ عضويّة وغير عضويّة من منسوجات وأخشاب وبردي وفخّار وزجاج ونقوش ومعادن مثل الذهب والفضّة والبرونز والحديد وغيرها. والتاريخ ليس منها، وإن كان على رأسها، يحتاج إلى مثل هذا الترميم إذ هو بناء لا ينقطع أو هو أبدا هدم وبناء، عسى أن نعيد ترتيب علاقتنا به، ولا نأخذ بالمسلّمات والسمعيّات المقرّرة؛ كلما تعلّق الأمر بـ«حقائقه». والحق أنّ المؤرّخين أو صفوتهم قدماء ومعاصرين أتوا صنيعا كهذا، في تدوين الأحداث على أسس علميّة شهادات ووثائق وآثار؛ وإن أثبتوها في مواضع، وأغفلوها في أخرى، واحتكموا إلى قناعتهم «الوجدانيّة». فنقف من ذلك كله على طرق ومناهج في رواية التاريخ ما نكاد نطمئن إليها، حتى تساورنا من أمر اضطرابها واختلافها ريبة غير يسيرة. ولا يذهبنّ بنا الظنّ بعيدا فنتوهّم أنّ بميسورنا أن نجلوها غير منقوصة، فنراب صدعا في نص الأحداث التي حملتها الروايات المختلفة، أو نسترد الأصل في جزئياته وتفاصيله. فهذا مطلب لا ريب، بعيد المنال. قد نهمل في التاريخ رواية مجهولة ونسترسل إلى أخرى منسوبة موثّقة، وقد ننحّي الضعيفة ونبقي الأقوى فنفترض عليها شتى الافتراضات، ونثق بعض الثقة من أن أمورها تسير على أصول من المنطق والتعليل؛ ولكنّنا حتى في هذه الحال لن نظفر إلا بنصّ قلق. لكن ربما استطعنا بالنسبة إلى بعض الأحداث التي تُروى روايات عديدة أن نعيد الترتيب «الأصلي» وأن نفرز المنحولات، وأن نسترِدّ الصورة القديمة بوجه الرواية المنقولة. بل ربما وجدنا أنفسنا أمام نتاجرُ المعاصر بـ«خطاب مزدوج» مردّه إلى ما يسمّيه بعض الدارسين «الخبرة الاستعماريّة» التي أحدثت منذ منتصف القرن التاسع عشر تغييرا جذريّا وتحوّلا نوعيّا في ثقافتنا وتاريخنا. وهي خبرة أفضت إلى «شعور بالدونيّة» إزاء التفوّق الغربي القائم على القوّة عسكريّا وتقنيّا وسياسيّا، وإلى تصدّع في البنية الإيديولوجيّة التقليديّة؛ وإن لم تتشظّ تماما أو تنحلّ كما يقول هؤلاء. وهم يتمثّلون لهذا «الخطاب المزدوج» بموقف حزب الوفد المصري من كتاب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» في الثلث الأوّل من القرن العشرين، وموقف حزب الشباب الدستوري في تونس من كتاب رائد الإصلاح الطاهر الحدّاد «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» 1930. فقد كان هذا الخطاب «البراغماتي» ضرورة لا غنى عنها، ولم يكن بورقيبة مثلا وهو نصير المرأة، مساندا للحدّاد في تلك الفترة؛ إذ كان المرتكز هو المسألة الوطنيّة وتحرير تونس من الاستعمار الفرنسي، وليس تجديد الخطاب الديني أو الإصلاح الاجتماعي. وبالرغم من أنّ الحدّاد وهو المتخرّج في جامعة الزيتونة [نظير الأزهر]، كان مشاركا في تأسيس «الحزب الحر الدستوري» التونسي عام 1920 وفي «عموم العملة» عام 1924، مع محمّد علي الحامي وهي أول نقابة للعمّال في العالم العربي؛ فإنّ بورقيبة المتخرّج في «الصادقيّة» وفي الجامعات الفرنسيّة، لم يتردّد في الثلاثينات، في كتابة مقاله عن الحجاب من حيث هو من سمات هوية الشعب، مسوّغا موقفه بأنّ «الوعي المجتمعي لم يكن جاهزاً بعد لمسألة تحرير المرأة، وإنّما الأولوية لحشد الناس للمطالبة بالاستقلال». أختتم بما استفتحت، فالخطل التّزميزيّ الذي كانت تعاني منه أمّي بسبب الزهايمر، وهو من أعراض مرضها؛ هو عين ما يبدو لي في علاقة «التّقليد» السّلفيّ بالزّمن، وهو أحد أعراض كتابة التاريخ في تونس اليوم. ذلك أنّ ما يفعله بعض مؤرّخينا قد لا يكون أكثر من تحويل التاريخ إلى ذاكرة تستحضر يوطوبيا مفقودة، واليوطوبيا «اللامكان» مفقودة أبدا؛ إذ هي تتعلّق بمكان خياليّ. لكن ما يفوت التقليد التاريخي هو أنّ اليوطوبيا رؤية مستقبليّة، في حين أنّ الذين يتمسّكون منّا بالسّلف اعتقادا وتقليدا؛ أكانوا من«الإسلاميّين» أو من «البورقيبيّين» ماضويّون؛ أو هم يعيشون حلما أطول من الليل.

كاتب من تونس

بيتا الفلسطينية خلال ثلاثة شهور

قالت هيئة محلية إن 5 فلسطينيين استشهدوا برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي، وأصيب نحو 2850 جريحا، خلال 3 شهور من الفعاليات المناهضة للاستيطان اليهودي في بلدة بيتا، شمالي الضفة الغربية.

وقالت هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، إن الاعتداءات الإسرائيلية على المقاومة المستمرة في بلدة بيتا منذ 91 يوما، ومع دخول شهرها الرابع، أوقعت خمسة شهداء، وأكثر من 150 جريحا تكسرت أطرافهم بالرصاص الحي، و2700 جريح بالمطاط وإصابات مختلفة.

وأشارت إلى اعتقال 33 من سكان البلدة، «ودمار هائل في البنى التحتية والطرق والأراضي الزراعية وأشجار الزيتون».

وتشهد بيتا، احتجاجات شبه يومية، رفضا لإقامة بؤرة استيطانية على أراضي فلسطينية خاصة تقع على جبل صَبيح.

أداب وفنون

من الأعشى إلى الياس أبو شبكة ونزار قباني: ملامح الرمزية في تراثنا الشعري

عبد الواحد لؤلؤة

الرمزية مذهبٌ أدبي نشأ وتطوّر في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وترك آثاره في شعر لغات أوروبية مجاورة مثل الألمانية والإنكليزية وحتى الروسية، بدرجات مختلفة. وقد يتساءل المرء يا تُرى هل كان للمذهب الرمزي من أثر في أدبنا العربي، والشعر منه بخاصة؟

إذا تذكّرنا أن المذهب الرمزي، كما يُمثّله شعراء فرنسا ومن تبعهم، منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى حدود عشرينات القرن العشرين، إنما يقوم على التشبيه والتطوير في الصورة إلى حدود المبالغة أحياناً، أمكن القول إن الشعر العربي منذ بداياته، بما كان يحفل به من تشبيهات، بلغَت حدود الإفراط في بعض الشعر العباسي والأندلسي، إنما كان يحمل مياسم ما صار يدعى بالمذهب الرمزي. والرمزية بمعناها العام تفيد التعبير عن شيء بشكل غير مباشر. يقول رامبو أول الشعراء الرمزيين (1854–1891) ما مَفادُه: يُريد الشعر الرمزي أن يتلبَّسَ الفكرة بشكل محسوس. كما يقول ستيفان مالارميه (1842–1898) إن الرمزية فنّ استدعاء شيء قليلاً قليلا لكي يكشف عن مزاج، لأن تسمية الشيء مباشرةً هو إبعادٌ للقسم الأكبر من المتعة المُستقاة من القصيدة، لأن المتعة تكون في الكشف التدريجي والتعبير عن الأفكار والمشاعر بالإيحاء من خلال رموز غير مفسَّرَة. ونجد أمثلةً كثيرةً على هذه الأقوال في شعر بودلير (1821–1867) في مجموعته الشهيرة «أزهار الشر». ففي قصيدة «تناغُم المساء» نقرأ: «كلّ زهرةٍ تَعبَقُ مثل مَجمَرة بُخور/ ويرتعش الرّبابُ مثل قلب كسير». كما يقول رامبو في قصيدة «الزورق السَكران»: لقد رأيتُ السماوات تُمزّقها البروق ونوافيرُ المياه/ وكواسرُ الموج والتيارات/ لقد رأيتُ الغسَقَ/ والفجرَ يرتفع مثل سربِ حمام...».

لكن سعي الشاعر الرمزي للتعبير عن شيء أو فكرة بشكل غير مباشر يختلف عن سعي ت.س.إليوت للتعبير عن شعور أو فكرة بما دعاه «المُعادل الموضوعي» أو الترابط الموضوعي. فمجموعة الصُوَر والأحداث عند إليوت التي تعادل الفكرة أو الشعور لا تقتصر على ذاتها بل تشير إلى الفكرة أو الشعور وتؤكّد عليه. فهو يتحدث عن «الضباب الأصفر الذي يحكّ ظهره على ألواح زجاج النوافذ؛ كما يتحدث عن النهايات المحترقة لنهارات مُدخّنة...» ففي هذه الصور الغريبة غرابةُ الصور الرمزية يكون التوكيد على الفكرة وتجسيدها أكثر منه على الصوَر وحسب. الضباب الأصفر خارج النوافذ يحمل فكرة النهار الكئيب في الخارج الذي يلِجّ على الدخول إلى داخل الدار؛ كما أن النهايات المحترقة لنَهارات مدخّنة هي صورة سيكارة انتهى تدخينها ولم يبقَ لها سوى أن تُقذَف جانباً. هذه الصور وأمثالها هي المعادل الموضوعي لحياة عقيم هي حياة الشاعر الجاهلي في تفاخره بكثرة أعداد رجال قبيلته في استعدادهم للحروب. ومثل ذلك مُعلّقة الأعشى في وصف الحبيبة هُرَيرَة: كأن مشيتها من بيت جارتها/ مرُّ الغمامة لا ريثٌ ولا عَجَلُ. السؤال الغرير هنا: كيف استطاع الشاعر أن يرى، وهو أعشى، ضعيف البصر، ويتبيّن مرّ سحابة في السماء ويُشبّهها بمشية هُرَيرَة إذا لم يكن ذلك من فعل البصيرة دون الباصرة؟ أمّا وصفه جلسةَ شراب مع جماعة من الأصحاب: نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُثّكِئاً / وقهوةً مُزّةً راووقُها خَضِلُ، تذكرنا بأن القهوة في الجاهلية كانت تعني الخمرة المصنوعة من تمرٍ ونَحوه وتوضع في كيس من القماش الخفيف، وهو الراووق، لتنزل منه قطرات الخمرة رائقةً ويبقى الراووق خضلا قبل أن يجفّ. وقُضُب الريحان كانوا يستعينون بها على رائحة الخمرة، قبل أن يعرفوا حَبّ الهال، الذي يستعين به أصحاب الكاس والطاس في الأيام اللاحقة. هل أبرع من هذا وصفاً وتشبيهاً فيه من الواقعية ما ليس في أمثلة شعراء الرمزية الفرنسيين؟ هذه هي واقعيةٌ أشبه بالخيال، وخيالٌ أشبه بالواقعية، وهذه أمارَةُ الشعر النفيس.

والتشبيه الذي هو أساس المذهب الرمزي نجده في أسمى أمثلة البلاغة العربية في لغة القرآن الكريم. وقد نكتفي بمثالٍ واحد من بين أمثلة كثيرة وهي تشبيه صورة نور الله بتفصيل عجيب الجوانب، نقرأه في «سورة النور»: «مَثَلُ نورِه كمِشكاة فيها مِصباحٌ، المِصباحُ في زُجاجة، الزُّجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّيّ، يوقَدُ من شجرة مباركة زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتُها يُضيء ولو لم تمسَسهُ نارٌ، نورٌ على نور...» هذا الرمز المتوسّع المتطوّر صورةٌ عن كلمة واحدة: نور الله.

فهل في لغات الأرض وآدابها من رمزية تقترب من هذه الرمزية؟ وفي شعرنا المعاصر أمثلةٌ كثيرةٌ من الصور الرمزية التي تشير إلى فكرة وبعضها قد يتضاءل أمام تفصيلات الصورة، مما يبدو أشبه بمحاكاة غريرة للرمزية الفرنسية، التي تُعنى بالصورة على حساب الفكرة في الغالب. من ذلك ما نقرأ عند إلياس أبو شبكة في مجموعته «أفاعي الفردوس»: وللحَمأ الغالي نشيشٌ ورَغوةٌ/ كأن الورى مُستنقعٌ يتنهّدُ. أيّة بشاعة هذه عند مُتَفَرنِسة بعض الشعراء! فقد يجد بعضنا أن هذه الصورة الرمزية على بَراعتها تفتقر إلى الجمال الذي نطلبه في الشعر. لكن هذا الجمال نجده عند نزار قباني في صُوَره الرمزية العديدة التي تُغني بالتشبيه والفكرة في آنٍ معاً: كمَيس الهوادج شرقيّةٌ/ تَسوق إلى الشمس خُلوَ الحدا. هذه صورة تجمع الارتباط بالتراث إلى شعور المتكلم فلا نجدها غريبةً علينا غرابةَ الصُوَر في قصيدتي رامبو أو بيتس، لأن نزار يقول لنا «تَخيّلتُ حتى جَعلتُ العطورَ تُرى ويُشَمّ اهتزازُ الصدى». ويقول في قصيدة «سامبا»: «للمآزر/حينما تنشالُ بَحّة/ إن للمُخمَل صَيحة/ في الحناجر». كلّ هذا بعد أن «غَطّ قوسَه/في شرايين الشَفَق/خشبُ القوس احترَق/ حينَ مَسّه. وعلى ضلع الكمنجا/وَتَرٌ يسفحُ وَهجا/ وشرارا...».

لا أعرف شاعراً جسّد مفهوم «تمازُج الحواس» كما فعل نزار.

نزار قباني

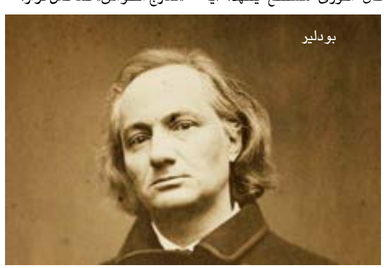
بودلير

الياس أبو شبكة

المصور العراقي إحسان الجيزاني ومعادلة الأثر الدلالي في الصورة

خليل الطيار

«الصور الفوتوغرافية الفاعلة في أثرها الجمالي لا تحققها قيمة شيئياتها الكبيرة، بل تنشأ من معادلة دلالاتها البصرية».

يكفي أن يحفر المصور في سطحيات الواقع ليعثر على التقاطات كنوزية مليئة بالسرديات المسكوت عنها بصريا، شريطة أن تواجهها عدسة واعية قادرة على اقتفاء الأثر الدلالي فيه وتتمكن من تشكيله جماليا لإنتاج قيمة بصرية تحقق محتوى فاعل بجودة عالية.

هذا ما عثرنا عليه في قراءتنا لأحد أعمال المصور المغترب إحسان الجيزاني الذي يتاصّل غرسها من جذور وهواجس عراقية. كما في هذا العمل الذي تمكن فيه من القبض على لقية مكانية زخرت شيئيتها بعدة دلالات معرفية كبيرة، ولم يشأ أن يترك عدسته تفكك جزئياتها وتتيح له إنتاج أكثر من عمل، ولم يرغب في إجراء أي معالجة فنية فيها، بل قرر أن يتفاعل معها بأسلوب صريح وبواقعية مباشرة فذهب يستعرض بلقطة عامة سرديته البصرية كلوحة مفتوحة أمامه تعامل مع كل علاماتها في قراءة واحدة. وهي مجازفة غير محسوبة العواقب لإحكام عنصر التكوين في صورته قد تتسبب بإضاعات وخلل في توازناتها بسبب ضيق المساحة المتاحة لعدسته.

فأخذ لقطة عامة بالقدر المتاح لعدسته ليزيح الستارة عن مشهد مسرحي انكشف عن ديكور واقعي تربعت فيه بحضور مهيمن منحوتة مكانية قديمة تشكلت من خشب الصاج بلون برونزي وظهرت آثار التعب واضحة في جسدها رغم زهو قوامها وكبرياء شموخها الذي حافظ مناخها الزخرفي على إبرازه.

هذه الهيمنة لمساحة هذه اللقية المكانية التي احتلت إنشائية الصورة لم يرغب الجيزاني في تسويقها لنا بعنوان دالتها الصريحة رغم واقعيتها بل أراد أن يتخذها كعلامة تنتج له بعدا تعبيريا أبعد من حدود عنوانها الظاهري وراح ينشئ علاقات موجعة لدلالتها مقارنة بعلامة وطنه المتعبة كدالة رمزية موجزة في صورته «الدار– الوطن».

ويبتدئ مشروع اشتغاله بالتركيز على دكانة صغيرة سميت باسم صاحبها وراح ينتج منها أول علاقة ارتباط لمقارنتها بهيمنة دالة الدار الكبيرة فوجد فيها علامة معرفية بارزة هي المكتبة أجلسها الجيزاني وسط مشهده وحملت عنوان صاحبها ابو سلام! ليذكرنا بارتباط مكاني آخر في وسط مشهد وطنه هي عاصمته التي كانت تكنى يوما بعاصمة دار السلام!

هذه «الدار– الوطن» العظيمة التاريخ تركت جزءا فاعلا في وسط جسدها يحمل كنزا للمعرفة والعلوم والحضارة بينت آثاره مصفوفة الكتب العربية والعراقية! لتعكس دالا معرفيا يتجاوز حدود المكان يوم كانت بغداد عاصمة الحضارة الإسلامية التي ازدهرت لثلاثة قرون متصلة وأراد الجيزاني تذكيرنا بها لتظهر دالته الوسطية كالجبل الشامخ لا يعرف الانحناء وما زال يعلن وجوده بقوة رغم حجم الجراح التي أصابت بعض سفوحه، إلا أنه بقي عصيا على الانهيار، بل ما زال يحتفظ بقوة بقائه كحاضنة راسخة تظلل بكبرياء كل حجم المعرفة المتمثلة بدكانة المكتبة ورمزيتها التي تذكرنا بدالة بيت الحكمة التي تشكلت في قلب بغداد كأكبر المراكز العلمية في العالم وذاع صيتها المعرفي في الآفاق يوم كانت بغداد أم الدنيا وعاصمة الخلافة الإسلامية.

الإرث المكاني

المكتبة رغم صغر حجمها في سيميائية الأثر الكبير في عمل إحسان الجيزاني برزت كعلامة أراد أن يخبرنا بها بأن هذا الإرث المكاني القديم ليس عالما هشا بل ما زال يحتفظ بسر قوته ليحتضن الأثر المعرفي رغم ما حمله من وجع ظاهر في جسده.

الجيزاني ذلك المصور المهوس بالتوازنات في أعماله التفت إلى لقية أخرى صادمة في محفورته البصرية أراد استثمارها كدالة معززة وموازنة لغرضية استكمال بناء مشروع مضمون عمله وكي لا يتسبب بإرباك متلقيه في الاستجابة لمحتوى علامات عمله التي حققت نجاحا في ربط دالة الدار بدالة المكتبة راح يترك مقارنة أخرى أرادنا أن نتقفى أثرها بحرية دون أن يقحمنا بها عنوة، فعمد على تقسيم مشهده بين عنوانين مؤثرين في سرديته الكبيرة حافظ في جانب منها أن يبني صورة لوطنه المتمثلة بالدار التاريخية بكل إرثها وقوتها واستمرارها بالعطاء المعرفي بينما راح يترك لنا في جانب آخر من عمله تأشيرا لدالة أخرى تمثلت بعلامة حديثة لا تحمل من إرث البناء سوى حواجز حديدية وضعت أمامه كتلة كونكريتية مانعة للعبور إلى ضفتها الأخرى لتنغلق على نفسها بلا أي ديمومة للحياة والعمل والعطاء وسجل لنا عليه اسم العراق!

عالم جديد انغلقت أبوابه على كل ما هو فاعل ليترك حضورا ضعيفا وكئيبا في الصورة عكسته صبغة الصدأ التي لن تسهم رمزيته اللونية سوى بتأخير موعد إعلان الموت النهائي! قبال هيمنة وحضور لماض عريق ظهر مشرقا بعطائه رغم وهنه وتآكله. ويبدو أن إحسان أراد في اشتغاله أن يترك لنا عنوانا صريحا نذهب لنستنتجه بمقارنة دلالية لحال وطنه بين الأمس واليوم.

العلامة الإنسانية

إحسان الجيزاني كما في أغلب أعماله خلت شيئية صورته من أي حضور إنساني أو ممارسة حياتية وبدت عوالمها وكأنها هجرت وهي علامة أخرى يتركها لنا بقوة في قصدية توقيت زمنية التقاطته. فظهر شارعه مقفرا وكل مساطب ومناضد العمل هجرها أصحابها وتركت فارغة من أي أثر للحياة فيها، حتى دكانة أسواق أبو عبد الله الصفراء، أغلقت هي الأخرى رغم ما سوقته لنا من نفعيات استهلاكية ليست ذات قيمة وأجهدتنا أقيامها المستوردة لشراء السكائر والمشروبات الغازية! مع تعدد هويات ارتباط كارتات اتصالاتنا الخارجية عراقيا وآسيويا!

العلامة الإنسانية والحياتية الوحيدة التي أراد إحسان الجيزاني أن يصطحبنا لدلالتها ويتركها حاضرة بقوة في سرديته المعبرة هي دكانة مكتبة أبو سلام المعرفية! وهي العلامة الوحيدة التي احتفظت للإنسان بحضور مؤثر فيها وهو يجلس بزهو ملبسه وانشغاله في المواظبة على القراءة! أي علامة أبلغ من هذا التدليل المعرفي فصلته دلالات عناوين الآباء؟ وكأن إحسان الجيزاني يقول لنا إن الآباء بعلاماتهم النفعية في هذا الوطن صاروا كثر لكن الفاعلين فيه هم القلة!

سردية فوتوغرافية حملت مقارنات لدالات ثرية المغزى تذكرنا برمزية همنغواي عن وطن قد يتحطم لكنه عصي على الموت ويبقى إرثه شامخا لأنه أسس بمجد إنسان بنى حضارة وخط أول حروف المعرفة وأنتج تاريخا زاهرا لا يشيخ ولا ينتهي قبال صورة لوطن اريد لحاضره أن يبنى بطابوق جديد من دون أن يستند على مقومات معرفية رصينة لبناء أسسه المستقبلة فتسببت بانهياره لأنه تشكّل من طين هش لم يفخر جيدا.

تحقيقات

العميد لؤي العلي مجرم حرب والذراع الأمني للحرس الثوري داخل النظام السوري

مخابرات الأسد تهدد أهالي درعا بتدمير المسجد العمري التاريخي وسرقة آثاره ما لم يخضعوا لإيران

حسام محمد

تحظى دور العبادة في سوريا بمكانة وقيمة خاصة لدى السوريين، إلا أن نسبة كبيرة منها كانت قد تعرضت لانتهاكات جسيمة منذ عام 2011 خاصة من قبل النظام الذي يتصدر المرتبة الأولى في قصفها وتدميرها كليًا أو جزئيًا وفق تقارير حقوقية. ولعل ما شهدته محافظة درعا في الجنوب السوري خلال الأيام القليلة الماضية من تهديد أطلقته استخبارات النظام بعزمها قصف مسجد العمري التاريخي وتدميره كليًا إذا لم يستجب الأهالي الذي يرفضون الرضوخ لرئيس النظام لمطالب السلطة، خير مثال.

في 24 حزيران/يونيو الماضي، أطبقت قوات النظام حصارها على 11 ألف عائلة – 50 ألف نسمة– في درعا البلد، وتسببت في حرمانها من دخول الأدوية والمستلزمات الأساسية، وذلك على خلفية رفضهم مطالب النظام وحليفه الروسي بتسليم السلاح الشعبي، وتفتيش المنازل فيها.

وبعد أقل من شهر في 17 من شهر تموز/يوليو، هدد رئيس جهاز الأمن العسكري التابع للنظام في محافظة درعا، العميد لؤي العلي، بقصف المسجد العمري التاريخي، والذي يحظى بمكانة خاصة لدى أبناء المحافظة، في حال رفضهم الخضوع لشروط النظام السوري المتعلقة بتسليم الأسلحة الخفيفة والمطلوبين، والسماح لقوات النظام بدخول بلدات وقرى درعا البلد، وإقامة حواجز عسكرية فيها.

تهديدات القيادي الأمني في استخبارات النظام، كانت خلال لقاء أجراه مع ممثلين عن عشائر درعا في مكتبه، فيما رأى المتحدث باسم «تجمع أحرار حوران» أبو محمود الحوراني، أن تهديدات العميد لؤي العلي، تأتي بعد فشله في خلط الأوراق وخلق حالة من الفتنة والفوضى في المحافظة، مشيرًا خلال تصريحات أدلى بها لـ«القدس العربي» إلى أن مسؤول الأسد الأمني، هدد الأهالي بهدم المسجد العمري بشكل كامل وسرقة جميع أحجاره حال رفضهم لشروطه.

مطالب النظام قوبلت بالرفض القاطع من قبل أبناء المحافظة، باعتبارها مجحفة بحق أبناء المنطقة، وتخفي مخططا خطيرا يرمي لزعزعة الاستقرار فيها. وجاء في قرار عشائر درعا، أن حجارة المسجد العمري الذي هدد العميد العلي بتدميره لها أهمية أكبر من النظام السوري وميليشياته جميعاً.

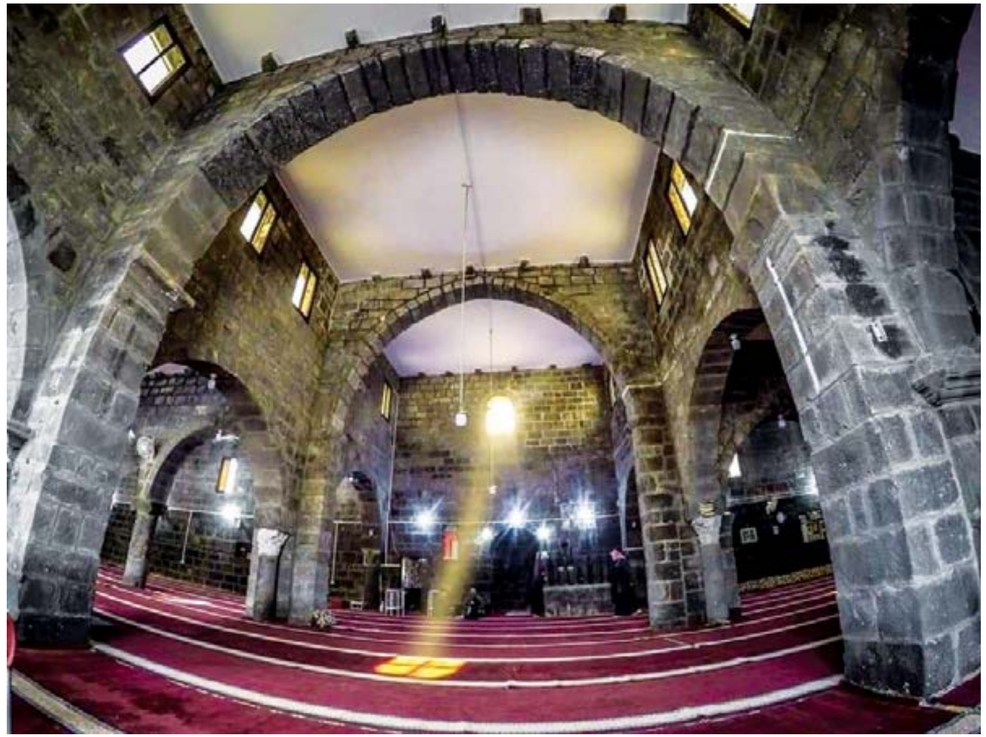

لغة المافيات

انتقد فضل عبد الغني، مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان وهي منظمة غير حكومية، تهديدات النظام بقصف وتدمير المسجد العمري التاريخي في درعا، معتبرًا خلال اتصال مع «القدس العربي»: أن مثل هذه التهديدات إشارة واضحة المعالم من قبل النظام السوري بعدم اكتراثه للقانون الدولي أو السائد على المستوى المحلي في سوريا.

كما صنف لغة التهديد التي توعد بها رئيس جهاز الأمن العسكري التابع للنظام في محافظة درعا، العميد لؤي العلي، بأنها لغة أقرب لسلوك المافيات، مشيرًا في ذات الوقت إلى أن وعيد المسؤول الأمني، يعد اعترافا منه باستعداد قواته على قصف موقع مدني، علاوة على أن دور العبادة من الأعيان المشمولة ضمن رعاية خاصة.

واستطرد عبد الغني قائلاً: مثل هذه الهجمات تصنف ضمن دائرة القصف المتعمد، وبالتالي هي جريمة حرب، كما تُصنف ضمن خانة الاعتداء الطائفي، إذ أن هذا المسجد يتبع للأكثرية السُنية في سوريا، وكذلك هو الحال بالنسبة لأي اعتداء على دور العبادة العائدة للطائفة المسيحية في البلاد.

انتهاك جسيم للقانون الدولي

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، صنف كذلك تهديدات مخابرات النظام السوري بقصف المسجد وتدميره، ضمن الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، واعتبره انتهاكا جسيما للقانون، ويشكل جريمة حرب، كما تصنف مثل هذه التهديدات في سياق عدم اكتراث النظام بأي عواقب لانتهاكاته التي تعتبر أقرب لسلوك عصابات المافيا.

فهذا النظام لم يتوان عن ممارسة أي انتهاكات في سوريا، من القتل والتعذيب والتهجير والحصار والقصف دون أي رادع، وهي ممارسات أدت إلى انهيارات خطيرة في القانون الدولي خلال السنوات الماضية من خلال عجزه عن حماية حقوق الإنسان، بسبب تكرار استخدام الفيتو من قبل روسيا.

هذه الرسائل، وفق المصدر الحقوقي، مهمة للتذكير بانهيار وتراجع في الالتزام بقواعد القانون الدولي، ومنها التهديد بقصف مسجد العمري في درعا، وما شهدته سوريا في عمومها هو انتكاس في القانون الدولي.

المسجد العمري

يصنف الجامع العمري في محافظة درعا، ضمن الجوامع الأثرية والتاريخية في سوريا، وهو يعود للفترة الإسلامية الأولى، حيث ارتبط اسمه بالخليفة عمر بن الخطاب، الذي أمر بتشييده في العام 14 للهجرة 635 ميلادية، وذلك خلال زيارته لسهول حوران.

حظي المسجد باهتمام كبير مع انطلاقة الثورة السورية في آذار/مارس عام 2011 حيث انطلقت منه أولى المظاهرات المطالبة بالحرية وإسقاط النظام، حتى صار إمام المسجد، الشيخ أحمد الصياصنة، يلقب بـ «شيخ الثورة السورية» بعد دعمه الكامل للثورة ومطالب التغيير في البلاد.

لم يتأخر النظام السوري كثيرًا في مهاجمة المسجد واستباحته، ففي 28 من شهر آذار/مارس من عام 2011 اقتحمت قوات ومخابرات الأسد المسجد، وهاجمت المعتصمين فيه، مرتكبة مجزرة في داخله، وتخريب أجزاء من ساحته وبناءه.

وبعد تحول الثورة في سوريا من السلمية إلى المسلحة، قصفت قوات النظام مئذنة المسجد العمري بالدبابات حتى تهاوت وانهارت، وعاودت قوات النظام قصف المسجد عدة مرات خلال الأعوام الماضية.

وفي شهر حزيران/يونيو من عام 2019 أطلق أهالي درعا البلد مبادرة تطوعية بهدف إعادة تأهيل المسجد العمري بعد أن دمّره نظام الأسد، لتنتهي أعمال الترميم الداخلية للمسجد في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2020 وبدأت بعدها أعمال الترميم الخارجية للمسجد وإعادة إعمار المئذنة التي قصفتها قوات النظام سابقاً.

تكسير المعنويات

يُشكّل المسجد العمري، وفق الباحث في مركز جسور للدراسات عبد عاصي رمزا لسكان درعا والجنوب السوري عموماً، فكل الوقفات الصامتة ومراكز انطلاق المظاهرات في درعا كانت منه.

لذلك، فإن تهديد النظام بقصفه يستهدف كسر الروح المعنوية للأهالي ومحاولة تقويض عوامل التضامن فيما بينهم، كما اعتبر الباحث خلال تصريحات خاصة بـ «القدس العربي» أن استهداف المواقع الدينية في سوريا كان وما زال ينطلق من كون المساجد مراكز تجمع للمظاهرات، وأداة للتأثير على رجال وعلماء الدين لمنع الخروج ضد النظام السوري والتسويق لمبدأ سدّ الذرائع.

وأن ذلك ينطبق أيضاً على استهداف الكنائس، أي النظام يحاول إعادة التأكيد على كونه حامي الأقليات فإما أن يبقوا موالين له وعلى الحياد أو أنه لن يكون مسؤولاً عن توفير الحماية لها بما في ذلك الاستهداف الذي قد يطالها كنتيجة للعمليات القتالية.

عاصي لم يستبعد وجود بعد طائفي وراء استهداف المساجد في سوريا من قبل النظام، إذ قال المصدر: «رغم صعوبة الإقرار بوجود بعد طائفي من استهداف المساجد إلا أنه لا يبدو مستبعداً اتباع مثل هذه السياسة للدفع نحو ظهور أفكار متطرفة التي تساعد النظام السوري في التسويق لخطاب طائفي، من قبيل أن المواجهة هي مع مجموعات إرهابية، مثلما لجأ مطلع الثورة لإخراج معتقلي الرأي من السلفية الجهادية».

تهديد طائفي

الخبير في الشؤون الدولية محمد بلال، رأى أن حالة التضامن والانسجام التي أبدتها درعا خلال التحديات الأخيرة، منحتها فرض معادلة جديدة في الجنوب السوري، خاصة في مواجهة المساعي الإيرانية المتواصلة لإحداث خرق في النسيج المحلي ونشر عمليات التشيع في المنطقة.

مشيرًا إلى أن ما عاشته درعا خلال الأونة الأخيرة، من تصعيد وحملة عسكرية وحصار، لإيران دور هام فيه، وهي من تحرك جيش النظام والميليشيات الطائفية في المنطقة، طمعًا منها بالاقتراب من الحدود الأردنية.

كذلك أشار الخبير، إلى أن كافة القوى الأمنية والعسكرية التابعة للنظام السوري في محافظة درعا هي قوى موالية لإيران وحرسها الثوري على وجه التحديد، وأن العميد لؤي العلي الذي يشغل منصب رئيس جهاز الأمن العسكري فيها، هو من القيادات الأمنية صاحبة الولاء التام لطهران.

وأن التهديدات الطائفية التي أطلقها المسؤول الأمني حول المسجد العمري، هي رغبات وامنيات إيرانية، يعملون معًا على تحقيقها، كما أن تصريحات العلي تحمل في إحدى زواياها بعدًا طائفيًا متمثلًا بتعمد التجريح بأهل السنة في سوريا، وإظهار العداء لأحد أبرز الخلفاء الراشدين في الحقبة الإسلامية الأولى.

من هو العميد لؤي العلي؟

يعتبر العميد لؤي العلي، من القيادات الأمنية المقربة من بشار الأسد، وينحدر من مدينة طرطوس في الساحل السوري، شغل عدة مناصب قبل رئاسة شعبة الأمن العسكري في الجنوب السوري، بينها رئيس فرع الأمن العسكري في السويداء في عام 2018 ورئيس قسم الأمن العسكري بدرعا (245) في عام 2011 أي في أثناء انطلاقة الثورة السورية.

للعميد العلي سجل حافل بالإرهاب والجرائم وانتهاك حقوق الإنسان في سوريا، فهو من أوائل الضباط المتهمين بقمع الاحتجاجات في البلاد، واغتصاب النساء في المعتقلات، وإعطاء الأوامر للعناصر بإطلاق النار المباشر على المتظاهرين السلميين المطالبين بالحرية والعدالة والاجتماعية.

ورد اسم العميد لؤي العلي في تقرير منظمة «هيومن رايتس ووتش» الصادر بتاريخ 2011/6/1 والمعنون تحت اسم «لم نر مثل هذا الرعب من قبل».

حيث اتهم وفق منظمة «مع العدالة» التي تلاحق مجرمي الحرب، بالاشتراك في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في درعا، والقيام بعمليات القتل والتعذيب المنهجة من قبل القوات التي اقتحمت درعا، حيث أشرف العميد لؤي على كافة العمليات التي قام بها عناصر قسم المخابرات العسكرية في درعا.

يعتبر لؤي العلي، المسؤول المباشر عما كان يحدث في قسم الأمن العسكري في درعا من تجاوزات بلغت حد الاغتصاب بحق النساء والأطفال، إذ ورد اسمه في تحقيق لموقع «ميديا بار» الفرنسي بالقول إن العقيد لؤي العلي أطلق العنان لعناصر الأمن العسكري للقيام بما يحلو لهم بحق المعتقلين والمعتقلات.

والعميد لؤي العلي خاضع للعقوبات الكندية والبريطانية والأوربية نتيجة لدوره الإجرامي بحق أبناء الشعب السوري. الأمر الذي دفع النظام لترفيعه إلى رتبة عميد وتعيينه رئيساً لفرع الأمن العسكري في السويداء خلفاً للعميد وفيق ناصر مطلع عام 2018.

ميديا

قرارات الرئيس التونسي تثير موجة جدل على شبكات التواصل: إنقلاب على الدستور أم انتفاضة ضد الإخوان؟

لندن ـ «القدس العربي»:

أثارت القرارات التي اتخذها الرئيس التونسي قيس سعيد موجة واسعة من الجدل على مستوى العالم العربي، حيث تباينت المواقف بين من اعتبرها إنقلاباً وانتهاكاً للدستور الذي أقسم الرئيس على حمايته، وبين من اعتبرها قرارات رئاسية تستجيب لرغبة الشعب التونسي الذي يريد الانتفاض على الإخوان المسلمين، أي حركة النهضة التي تتولى رئاسة البرلمان التونسي.

وأصدر الرئيس قيس سعيد قراراً بإعفاء هشام المشيشي من رئاسة الحكومة في تونس، وتجميد أعمال البرلمان، ورفع الحصانة عن أعضائه، كما أصدر لاحقاً جملة من القرارات بتعطيل عدد من المؤسسات العامة وإعفاء وزير الدفاع الوطني وإقالة مجموعة من كبار المسؤولين في الدولة.

واعتبر العديد من الكتّاب والنشطاء أن ما حدث في تونس يشكل «انقلاباً» على شرعية البرلمان المنتخب والمسار الديمقراطي في البلاد، كما أشار البعض بأصابع الاتهام إلى وقوف دولة الإمارات وراء هذه القرارات، فيما رأى آخرون أنها «انتفاضة ضد الإخوان» عبر قرارات تصحيحية من أجل إنهاء الأزمة التي تعاني منها تونس.

ووصف آخرون قرارات الرئيس بأنها «تاريخية» وتهدف إلى وقف حالة التدهور في تونس وإخراج البلاد من سيطرة جماعة الإخوان المسلمين التي تنتمي لها حركة النهضة ذات الأغلبية في البرلمان.

إنقلاب على الدستور

وكتب الصحافي الأردني ياسر أبوهلالة: «يبدو سعيّد طفلا فرحا بلعبة السلطة شغوفا بها، وقد صادفت قلبا خاليا، فهو في حياته لم يتولّ مسؤولية أي إدارة ولو من 5 موظفين، وعندما أدار دولة فجأة، سعد سعيّد أيما سعادة وقرر الاحتفاظ باللعبة وحده دون اقرانه وتكسيرها أن اضطر للتخلي عنها».

أما الكاتب والصحافي الفلسطيني ياسر الزعاترة فعلق على ما حدث في تونس بالقول: «كل الانقلابيين على الشرعية في التاريخ جاؤوا بوعود كبيرة، ولكن النتيجة هي المزيد من المعاناة. حين يسود الاستبداد؛ ينهض الفساد، ولا تكون الحاسبة لأن الجنرال أو «المنقلب» يحتاج لدائرة تدافع عنه، وهذه لا تتوفر إلا بشبكة مصالح عنوانها الفساد. نظام التداول لم يخترعه العالم عبثا».

وأضاف الزعاترة في تغريدة ثانية على «تويتر»: «قرار سعيّد بمنح التظاهر يؤكد أنه يعرف تماما من هو الطرف الأكثر قدرة على حشد الجماهير. وحده إعلام «الثورة المضادة» هو من يبيع حكاية انحياز الناس للانقلاب. غالبية برلمانية ترفضه، وهذا أكبر دليل؛ بجانب ما ذكرنا عن قدرات الحشد الشعبي. من يملك السيوف قد يتفوق، لكن القلوب لها مسار آخر».

وغرد حساب يُدعى «حكيم تونس» على «تويتر» بالقول: «بحسب البيانات الرسمية كانت حملة سعيّد الأعلى إنفاقا على الفيسبوك. طبعا هو الخصم والحكم وهو الدستور والقانون، لن يحقق مع نفسه، وسيسلط القضاء العسكري التابع له لتصفية خصومه. شخصية مريضة بالكذب».

وكتب الناشط أنس التكريتي: «تفاهة الثورات المضادة تتجلى في فشلهم حتى في تزويق وفبركة اتهامات من نوع جديد أو فيها شيء من الإبداع والتفكير.. هي هي، أموال خارجية وتخابر. اتهامات جاهزة ومعلبة من المصنع الرئيسي».

وغردت بيري أحمد: «قيس سعيد بدا من دلوقت بالاستغناء عن كل المناصب العليا من أول الداخلية والمخابرات وغيرها في جميع المؤسسات، الانقلابيون اتعلموا من الدروس المستفادة التي مرت عليهم من قبل، كل شوية هنشوف تطور جديد في الانقلاب».

وكتبت رئيسة تحرير موقع بوابة تونس وجدان بوعبد الله: «كيف تصفقون لرجل يعلن أنه يجمع بيده جميع السلطات: التنفيذية والتشريعية والقضائية بحجة «تلبية رغبة الشعب»؟ ألا تفقهون؟ ألا تتذكرون كل الديكتاتوريات ورجالها الأحياء منهم والأموات؟ البهجة التي تكتبون بها اسمها حماقة لأنها تعني خرابكم وخراب تونس».

وعلقت الصحافية سلمى الجمل: «سيسجل التاريخ كيف طعن أستاذ القانون الدستوري به وكيف خرب الحياة الديمقراطية في بلده وكيف بدأ بمحاربة الصحافة والكلمة.. مسار يقود إلى اتجاه واحد وحتمي حكم الفرد والحزب الواحد».

الفنان رشيد غلام علق قائلاً: «عندما كانت تونس تحت وطأة طغيان بن علي، تضامنا معه وسمينا: استبداداً، وعندما انتفض الشعب في ثورة الياسمين آزرناه وسميناها: ثورة. اليوم لايسعنا إلا نسمي الالتفاف على الشرعية الديمقراطية: إنقلابا، ولسنا نحابي في الحق أحداً ولا نتردد بالباطل لأحد».

إنتفاضة ضد الإخوان

في المقابل، أيد الكثير من المعلقين إجراءات الرئيس التونسي، وأطلق المغردون على «تويتر» الوسم «#تونس_تنتفض_ضد_الإخوان» معتبرين أن قرارات الرئيس تهدف إلى إنهاء الأزمات التي تعاني منها البلاد.

وكتب الناشط السعودي منذر آل الشيخ مبارك: «بشائر الخير بدأت تصل من تونس، عمل الإخوان طوال الفترة الماضية على التغلغل في مفاصل تونس وتعطيل كل إجراءات التحقيقات والتغطية على ملفات الفساد، قالها الرئيس قيس سعيد اللصوص تختبئ خلف النصوص وقريبًا ستخرج فضائح أكبر لفساد أنهك تونس لعقد من الزمن». أما الكاتب والناشط السعودي المقرب من النظام في الرياض تركي الحمد فعلق قائلاً: «سيأتيك من يشجب ما يجري في تونس ويتحسر على الديمقراطية المغدورة والانقلاب على الدستور والمؤسسات الدستورية، متجاهلاً أن تلك كانت ديمقراطية إخوانية، أي مفصلة على مقاس الإخوان، فالإخوانية بل كل الإسلام السياسي مناقض تماماً في منطلقاته مع مبادئ الديمقراطية مهما حاولوا أن يجملوه».

وغردت ناشطة تُدعى زينب: «الحمدلله تونس تخلصت من الإخوان المفلسين متأكدة لي خاوتنا التوانسة مايزيدوش يصوتوا عليهم خوفي يزيدوا يزوروا الانتخابات زي المرة الأخرة». وعلق أحد الناشطين: «الإخوان ليسوا هم الحل هم جزء من المشكلة؛ وعلى أي نظام عربي يريد الديمقراطية أن يضع نصاً صريحا في الدستور يحظر على الإخوان العمل السياسي».

السعودي حمادة الشمري كتب يقول: «خطوةٌ قيسية باتجاه تصنيف النهضة والإخوان في تونس منظمةً إرهابية، وهذا ما يجب في تونس وفي جميع البلدان العربية، لا يمكن للأمة ان تنهض بوجود جماعة الإخوان». وغردت سناء الهاجري: «يكذبون وينشرون الأخبار الكاذبة ليظهروا كالعادة ضحايا...إنقلاب ماذا.. شعب تونس قال لكم ارحلوا وهو أيضا من يطلب ويطالب بشدة ان يحاسبوا قضائيا على كل ما فعلوه في بلادنا منذ احداث باب سويقة الي اليوم». وكتب وهاب رحماني: «قيس سعيّد نموذج عن الرئيس المحنك بالقانون ولا عجب وهو أستاذ في القانون الدستوري. التمسك بالدستور وتطبيقه بحزم هو الضامن لحقوق الشعب التونسي العظيم».

يشار إلى أن الرئيس سعيد أوقف اختصاصات البرلمان وأقال الحكومة وأعلن توليه السلطة التنفيذية مع صلاحية التشريع عبر الأوامر والمراسيم، كما سيتولى رئاسة النيابة العامة لضمان ملاحقة النواب المتورطين في قضايا وجرائم بعد أن قرر رفع الحصانة البرلمانية عنهم.

وفجرت هذه القرارات جدلا لا سيما مع غياب المحكمة الدستورية التي تأخر وضعها منذ 2015 فيما استفاد الرئيس سعيد من الاحتجاجات وأعمال الشغب التي اجتاحت عددا من المدن التونسية يوم الأحد الماضي من أجل إعلان التدابير الاستثنائية فضلا عن السخط العام من المناوشات المتكررة في أعمال البرلمان وأدائه السيء طيلة السنوات الماضية.

وينص الفصل 80 على أن «لرئيس الجمهورية في حالة خطر داهم مهدد لكيان الوطن وأمن البلاد واستقلالها، يتعذر معه السير العادي لدوالیب الدولة، أن يتخذ التدابير التي تحتمها تلك الحالة الاستثنائية». ولكن الفقرة التالية للفصل تفرض أن يبقى البرلمان في حالة انعقاد دائم ولا تتيح للرئيس إنهاء أعمال الحكومة بشكل صريح.

وقالت الجمعية التونسية للقانون الدستوري التي ترأسها سعيد حينما كان مدرسا في الجامعة، في بيان للرأي العام إن قرار الرئيس تجميد جميع اختصاصات البرلمان «لا يدخل ضمن التدابير الاستثنائية». وأضافت أن الفصل 80 ينص على بقاء المجلس في حالة انعقاد دائم طيلة هذه الفترة، الأمر الذي يتناقض مع تجميد اختصاصاته. وأوضحت الجمعية في بيانها «إن حالة استثناء، تمثل بطبيعتها وضعية دقيقة يمكن أن تفتح الباب على عدة انحرافات». كما أعلنت الجمعية عن مخاوفها من مخاطر تجميع كل السلطات لدى رئيس الجمهورية.

700 انتهاك إسرائيلي ضد الإعلام الفلسطيني خلال العام الحالي

لندن ـ «القدس العربي»:

تواصل سلطات الاحتلال الإسرائيلي استهداف الصحافيين الفلسطينيين والتضييق عليهم، لثنيهم عن نقل الحقيقة التي تكشف انتهاكات بحق المدنيين العزل من أبناء الشعب الفلسطيني.

وبحسب تقرير نشرته «المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا» على موقعها الإلكتروني واطلعت عليه «القدس العربي» فإن قوات الاحتلال الإسرائيلي ارتكبت نحو 696 حالة انتهاك للحريات الإعلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ بداية عام 2021 منها نحو 101 انتهاك في قطاع غزة خلال العدوان الأخير في شهر أيار/ مايو الماضي، حيث ارتفعت حدة تلك الانتهاكات.

وخلال العدوان الأخير على القطاع؛ استشهد الصحافي يوسف أبو حسين (33 عاماً) بعد قصف منزله وهو بداخله، شمالي مدينة غزة.

وأوقعت سلطات الاحتلال نحو 196 حالة اعتداء وإصابة لصحافيين فلسطينيين، بينهم 13 في قطاع غزة الذي تعرض فيه الصحافيون لكسور وجروح وحروق والعديد من الإصابات جراء قصفهم بشكل مباشر، او خلال تدمير منازلهم، أو خلال إصابتهم بشظايا صواريخ الاحتلال وهم يمارسون عملهم في تغطية العدوان الأخير.

وكانت إسرائيل شنت عدواناً على غزة في 10 أيار/مايو الماضي، استمر لمدة 11 يوماً، وأسفر عن مقتل 256 فلسطينياً، بينهم 66 طفلا، و39 سيدة، و17 مسناً، و5 من ذوي الاحتياجات الخاصة، إضافة إلى 1948 إصابة بجروح مختلفة.

ورُصد نحو 149 حالة انتهاك من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، تم خلالها منع الإعلاميين من ممارسة أعمالهم، وتغطية الأحداث في الضفة الغربية والقدس المحتلّة، وتنوعت تلك الانتهاكات بين منع طاقم «تلفزيون فلسطين» من العمل في مدينة القدس المحتلة للمرة الرابعة، وتحريض على فصل صحافي عن عمله، إضافة إلى توثيق حالة واحدة منع من السفر، و7 حالات تحريض وإتهام.

ودمّرت سلطات الاحتلال نحو 61 مؤسسة إعلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، بينها 59 مؤسسة وشركة إنتاج إعلامي وفني ومطابع ودور للنشر، ما بين تدمير جزئي وكلّي، خلال العدوان الأخير على غزة، بحسب التقرير.

وفي السياق ذاته؛ ارتكب جيش الاحتلال داخل السجون الإسرائيلية انتهاكات متعمدة بحق الصحافيين الفلسطينيين، بلغت نحو 32 انتهاكاً، وتمثّلت في الاعتداء والتعذيب والمعاملة القاسية، والمنع من الزيارات، والإهمال الطبي، وفرض غرامات مالية باهظة وحرمانهم من حقوقهم المشروعة. وفي إطار سياسة محاربة المحتوى الفلسطيني على مواقع التواصل الاجتماعي؛ نسقت السلطات الإسرائيلية مع إدارة تلك المواقع لإغلاق وحجب وحذف وتقييد مواقع وحسابات صحافيين ومؤسسات إعلامية، وبلغ عدد تلك الحسابات نحو 194 حساباً.

وسجلت تقارير حقوقية أكثر من 194 حالة من الانتهاكات من قبل مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك في إطار محاربة المحتوى الفلسطيني وطمس جرائم الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني.

وكانت المنظمة العربية لحقوق الإنسان قد دعت مؤخرا إلى «تشكيل محكمة دولية متخصصة في الجرائم المرتكبة ضد الصحافيين، لمحاسبة كل أولئك الذين يعتمدون الاعتداء على الصحافة الحرة كمنهج من اجل تغييب الحقيقة والعبث في وعي الجماهير خدمة لمصالحهم وأجنداتهم الشخصية».

وأكدت المنظمة في بيان، أن مهزلة العدالة التي يعاني منها الصحافيون لن تنتهي إلا إذا توقف نفاق بعض الدول التي تؤمن بمبادئ الصحافة الحرة وتطبقها، في حين أنها تعقد الصفقات وتمد الجسور مع أنظمة لا تؤمن بهذه المبادئ، بل تقمع الصحافيين وتقتلهم.

قلق عالمي على الحريات الصحافية بسبب التمادي بقيود «كورونا»

لندن ـ «القدس العربي»:

تصاعدت وتيرة القلق في أوساط الصحافيين والعاملين في المجال الإعلامي على مستوى العالم بسبب القيود التي تفرضها الحكومات بحجة مكافحة انتشار فيروس كورونا، حيث أصبحت هذه القيود أحد التحديات التي تواجه الصحافيين وتهدد الحريات الإعلامية في العالم، بما في ذلك الدول الديمقراطية.

وخرجت منظمة «مراسلون بلا حدود» الدولية وغير الحكومية عن صمتها عندما أصدرت بياناً الأسبوع الماضي دعت فيه إلى «حماية حق الإعلام» بعدما «تعرض سبعة صحافيين على الأقل لاعتداء وآخرون للتهديد» خلال احتجاجات ضد التصريح الصحي وغيره من القيود في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وسلوفاكيا.

وقالت المنظمة في بيان «كان صحافيون من دول أوروبية عدة أهدافاً لأشخاص عنيفين اعتقدوا خطأ أنهم تابعون لهيئات داعمة للحكومات خلال تظاهرات أقيمت يوم السبت 24 تموز/يوليو ضد فرض تصريح صحي للتمكن من دخول الأماكن العامة».

وأضاف البيان نقلاً عن رئيس مكتب المنظمة في الاتحاد الأوروبي/البلقان بافول سزالاي أن «الهجمات والتهديدات التي تستهدفهم فيما يقومون بنقل الأحداث كمراقبين مستقلين، غير مقبولة».

وتابع: «ندعو إلى توفير حماية فعالة للصحافيين أثناء الاحتجاجات وإجراء تحقيقات معمقة في الاعتداءات الجسدية».

وبحسب المنظمة غير الحكومية فإن «أعنف هجوم في إيطاليا وقع كان في فلورنسا حين قام متظاهرون بركل وإهانة المراسل سافيريو توماسي من موقع فانبيدج.إت الإخباري لساعات».

وفي روما، تعرض صحافيون من قناة «راي» (التلفزيون العام) للإهانة وكذلك زملاؤهم من صحيفتي «إل سيكولو 19» وجنوة 24» اليوميتين.

وفي فرنسا خلال احتجاج يوم السبت في مرسيليا، تعرض صحافيان من قناة فرانس 2 للإهانة وقامت مجموعة من الأشخاص بدفعهما وطردهما. وبعد ذلك، أعلنت مجموعة «فرانس تيليفيزيون» أنها ستقيم دعوى، كما فعلت قناة «بي أف أم تي في» الإخبارية قبل يومين بعدما تعرض صحافيين يعملان فيها لهجوم من متظاهرين في باريس.

أما في مدريد، فقام «المتظاهرون المعارضون للكمامات وتلقيح القصّر ضد كوفيد–19» بتهديد أو إهانة صحافيين من وسائل إعلام عدة.

وأخيرا في سلوفاكيا «هاجم متظاهرون المراسل والمصور في تلفزيون تي في ماركيزا وأهانوهما».

وارتفعت في الفترة الأخيرة وتيرة الاعتداءات على الصحافيين في أوروبا، ما زاد المخاوف من تدهور حرية الصحافة هناك.

علوم وتكنولوجيا

أقوى مولدات كهرباء من الرياح موجودة في اسكتلندا

لندن – «القدس العربي»:

تحتضن شواطئ اسكتلندا في المملكة المتحدة أقوى وأضخم توربينات رياح مخصصة لتوليد الطاقة الكهربائية، وتعتبر ذات مواصفات فريدة وغير مسبوقة على مستوى العالم، كما أنها تعتمد في إنتاج الكهرباء على الرياح القوية التي تنتج عن عمليات المد والجزر التي تحدث في البحر بالقرب منها.

وحسب تقرير مفصل نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، فقد بدأت توربينات المد والجزر التي يبلغ وزنها 680 طناً والتي وصفت بأنها الأقوى في العالم في توليد الكهرباء قبالة الساحل الشمالي الشرقي لاسكتلندا.

وتقع هذه التوربينات التي تُسمى «Orbital O2» بالقرب من منطقة أوركني، ولديها القدرة على تلبية الطلب السنوي على الكهرباء لأكثر من ألفي منزل على مدار الخمسة عشر عاماً المقبلة.

واستغرق تطوير هذه المحطة من التوربينات حوالي 15 عاماً و18 شهراً لبناء أول توربين تجاري لها، والذي وصفته بأنه «معلم رئيسي».

وبدأ تشغيل الهيكل العلوي للتوربين الذي تبلغ قدرته 2 ميغاوات، والذي يطفو على سطح الماء، إلى موقعه في أيار/مايو الماضي وتم توصيله بشبكة الكهرباء المحلية عبر كابل تحت سطح البحر.

وترسو التوربينات على عمق 35 متراً من الماء وتبدأ في إنتاج طاقة نظيفة عندما يأتي المد، وعندما يتوقف المد، تدور شفراته وتبدأ في توليد الكهرباء في الاتجاه الآخر.

وقال أندرو سكوت، الرئيس التنفيذي لشركة «Orbital»، التي قامت بتطوير هذا المشروع العملاق إن «هذه علامة فارقة بالنسبة إلى جهود إنتاج الطاقة النظيفة والحفاظ على البيئة».

وأضاف: «أود أن أثني على الفريق بأكمله في شركة أوربيتال وسلسلة التوريد الخاصة بنا لتقديم مشروع الطاقة المتجددة الرائد هذا بأمان ونجاح».

وتابع: «رؤيتنا هي أن هذا المشروع هو الزناد لتسخير موارد تيار المد والجزر في جميع أنحاء العالم للعب دور في معالجة تغير المناخ مع إنشاء قطاع صناعي جديد منخفض الكربون».

وقالت الشركة إنها اختارت تثبيت التوربين في المنطقة المشار إليها لأن هذا هو المكان الذي تحدث فيه بعض أقوى تيارات المد والجزر في العالم.

وقالت شركة «أوربيتال» إن هذه التوربينات متصلة بشبكة الكهرباء المحلية و«تساعد في تغذية مجتمعات منطقة أوركني بشكل نظيف ومستدام من المياه التي تتدفق عبر جزرهم».

وكانت الشركة القائمة على المشروع تلقت 3.4 مليون جنيه إسترليني من صندوق سالتير تايدال لتحدي الطاقة التابع للحكومة الاسكتلندية لتأسيس هذه المحطة العملاقة.

وقال وزير الطاقة مايكل ماتيسون: «يفضل مواردنا الطبيعية الوفيرة وخبرتنا وطموحنا، فإن اسكتلندا في وضع مثالي لتسخير السوق العالمية الهائلة للطاقة البحرية مع المساعدة في تحقيق اقتصاد خالٍ من التلوث».

وتعد هذه التوربينات أقوى توربينات مد وجزر في العالم، وهي لحظة فخر لاسكتلندا وعلامة فارقة في رحلتنا إلى مستوى الصفر من التلوث، بحسب الوزير ماتيسون.

وتفوقت مصادر الطاقة المتجددة على الوقود الأحفوري لتصبح أكبر مصدر للكهرباء في المملكة المتحدة لأول مرة في عام 2020 وفقاً لتحليل تم الكشف عنه في كانون الثاني/يناير من هذا العام، بحسب «دايلي ميل».

وأنتجت طاقة الرياح، والطاقة الشمسية، والطاقة الحيوية، والطاقة الكهرومائية مجتمعة (أي جميع مصادر الطاقة المتجددة) رقماً قياسياً قدره 42 في المئة من طاقة المملكة المتحدة العام الماضي.

وفي الوقت نفسه، فإن الوقود الأحفوري (معظمه من الغاز) أنتج 41 في المئة من إجمالي الطاقة في المملكة المتحدة، حسبما أظهر التحليل الصادر عن مجموعتي أبحاث متخصصتين في بريطانيا.

وفي عام 2018 تم إلغاء مخطط لبناء أول محطة طاقة في العالم تعمل بالطاقة الموجية في بحيرة وذلك بسبب حسابات التكلفة.

وكان مشروع «Tidal La-goon Power» سيكلف 1.3 مليار جنيه إسترليني وشهد بناء جدار بحري على شكل حرف (U) مع توربينات في خليج «سوانزي» في جنوب ويلز.

وتم إنفاق أكثر من 35 مليون جنيه إسترليني على تطوير المشروع بمزيج من الأموال العامة والخاصة.

خمس خطوات لحمايتك على هاتف «آيفون»

لندن – «القدس العربي»:

أصبحت حماية الخصوصية والبيانات الشخصية الهاجس الأهم والأكبر لدى مستخدمي الهواتف المحمولة الذكية بسبب انتشار وباء القرصنة والاختراقات وعمليات الابتزاز.

وعلى االرغم من أن شركة «آبل» تقدم العديد من الأدوات والميزات للمحافظة على أمان هاتف آيفون إلا أنه لا يزال من السهل تعرض الهاتف للاختراق وسرقة البيانات الموجودة ضمنه.

ويمثل اتخاذ العديد من أساليب الوقاية لتأمين الهاتف أمرا ضروريا للمحافظة عليه من مجرمي الإنترنت، فيما قدمت البوابة العربية للأخبار التقنية في تقرير لها اطلعت عليه «القدس العربي» خمس نصائح للمحافظة على أمان الهاتف وتحصينه من الاختراق.

وقال التقرير إن أولى هذه النصائح هي «تحديث نظام تشغيل هاتف آيفون» حيث يعد هذا الإجراء البسيط ضرورياً للحصول على إصلاحات للأخطاء العشوائية والوصول إلى ميزات جديدة، وتأتي العديد من تحديثات آبل مع تصحيحات الأمان، بما يرفع من حماية الهاتف وخصوصية صاحبه.

ويجب تثبيت التحديثات بانتظام لكي لا تمنح المتسللين فرصة من أجل استهداف الشخص أو استهداف معلوماته الشخصية. أما النصيحة الثانية فهي ضرورة استخدم كلمة مرور قوية لحسابات المستخدم، حيث يحتاج الشخص إلى كلمات مرور قوية للبقاء آمناً عبر الإنترنت، ولكن هذه ليست الاستراتيجية الوحيدة لحماية آيفون. إذ يمكنك أيضاً استخدام خدمة «iCloud Keychain» لإنشاء كلمات المرور وتخزينها. ولا تقلق بشأن نسيانها لأن الخدمة تتذكر كلمات المرور نيابةً عنك.

أما النصيحة الثالثة، فهي: لا تكسر حماية آيفون، حيث يعني كسر الحماية السماح لهاتف آيفون بتثبيت التطبيقات واللعلات من مصادر أخرى غير آب ستور، لذا فإنه يجب عدم فعل ذلك.

وبمجرد أن تقرر كسر حماية هاتفك يصبح الوصول إلى بياناتك الشخصية أسهل بكثير. وقد يؤدي تثبيت أي تطبيق تابع لجهة خارجية إلى اختراق هاتفك.

وإذا لم يكن ذلك كافياً فإن كسر حماية هاتف آيفون يعني أنه أصبح غير مشمول بالضمان. وبالتالي لن تستفيد من أي خصومات عند صيانة الهاتف عبر آبل.

وقالت البوابة العربية للأخبار التقنية إن النصيحة الرابعة هي إيقاف أذونات تتبع الموقع، حيث يتيح تشغيل تتبع الموقع للتطبيقات معرفة الطرق التي تفضلها والأماكن التي تتردد عليها، ومن أجل مراجعة أو تغيير أذونات التطبيق على المستخدم فتح تطبيق الإعدادات في هاتف آيفون، ومن ثم الضغط على خيار الخصوصية ثم حدد خيار الخصوصية، ثم حدد خيار خدمات الموقع، وفي الشاشة التالية يمكنك مراجعة الأذونات لكل تطبيق مثبت، كما يمكنك تحديد التطبيقات التي تثق فيها أو الضرورية لتتبع موقعك.

أما النصيحة الخامسة فهي «تعطيل الملء التلقائي لكلمة المرور» حيث يكاد يكون من المستحيل تذكر كلمات المرور لكل حساب عبر الإنترنت. بالإضافة إلى ذلك، يتم تخزين معلومات بطاقة الدفع في ميزة الملء التلقائي في متصفح سفاري.

وبالرغم من أن هذه الميزة مريحة، حيث تسهل عليك تسجيل الدخول التلقائي للمواقع والتطبيقات، إلا أنه من الأفضل تعطيلها لمزيد من الأمان.

هل نحن أمام موجة أمراض جديدة؟

اكتشاف فيروسات جديدة كانت مجمدة منذ 15 ألف عام

لندن – «القدس العربي»:

توصل مجموعة من العلماء إلى اكتشاف جديد يبعث على القلق، حيث تمكنوا من التعرف على فيروسات جديدة كانت مجمدة داخل أنهار من الجليد وتعود إلى 15 ألف عام مضت، وهو ما يمكن أن يُنذر بموجة جديدة من الأمراض التي قد تغزو البشرية قريباً، في الوقت الذي لا يزال فيه الناس لم يتخلصوا حتى اللحظة من فيروس «كورونا» القاتل.

وبحسب التقرير الذي نشره موقع «ساينس دايلي» واطلعت عليه «القدس العربي» فقد اكتشف علماء متخصصون في دراسة الجليد المجمد فيروسات عمرها يقارب 15 ألف عام في عينتين تم أخذهما من هضبة التبت في الصين.

وكشفت الدراسة أن معظم تلك الفيروسات، التي نجت لأنها ظلت مجمدة، لا تشبه أي فيروسات تم فهرستها حتى الآن، ويمكن أن تسمح نتائج الدراسة للعلماء بفهم أفضل لتطور الفيروسات على مر القرون.

وفي هذه الدراسة ابتكر العلماء أيضا طريقة جديدة فائقة النظافة لتحليل الميكروبات والفيروسات في الجليد من دون تلويثه.

وقال تشي–بينغ زونغ، المؤلف الرئيسي للدراسة والباحث في جامعة ولاية أوهايو وبيرد بولار أند كلايمت ريسيرش: «تشكلت هذه الأنهار الجليدية تدريجيا، وإلى جانب الغبار والغازات، ترسبت العديد من الفيروسات أيضا في هذا الجليد. والأنهار الجليدية في غرب الصين ليست مدروسة جيدا، وهدفنا هو استخدام هذه المعلومات لتعكس البيئات الماضية. والفيروسات جزء من تلك البيئات».

وقام العلماء بتحليل عينات اللب الجليدي المأخوذة عام 2015 من الغطاء الجليدي في غوليا غربي الصين. ويتم جمع اللب على ارتفاعات عالية، في قمة غوليا، حيث نشأ هذا الجليد، على ارتفاع نحو 6705 أمتار فوق مستوى سطح البحر.

ويحتوي اللب الجليدي على طبقات من الجليد تتراكم عاما بعد عام، وتحبس كل ما كان موجودا في الغلاف الجوي من حولها في الوقت الذي تتجمد فيه كل طبقة.

وتخلق هذه الطبقات جدولا زمنيا من الأنواع، استخدمه العلماء لفهم المزيد حول تغير المناخ والميكروبات والفيروسات والغازات عبر التاريخ.

واقترح العلماء أن الجليد كان عمره ما يقارب 15 ألف عام باستخدام مزيج من التقنيات التقليدية والجديدة والمبتكرة لتاريخ لب الجليد هذا.

وعندما قاموا بتحليل الجليد، وجدوا رموزا جينية لـ33 فيروسا، وتم تحديد أربعة من هذه الفيروسات بالفعل من قبل المجتمع العلمي، لكن 28 منها على الأقل جديدة.

وبدا أن نحو نصفها نجت في الوقت الذي تم تجميدها فيه ليس على الرغم من الجليد، ولكن بسببه.

وقال ماثيو سوليفان، المؤلف المشارك في الدراسة، وأستاذ علم الأحياء الدقيقة في ولاية أوهايو ومدير مركز علوم الأحياء الدقيقة في ولاية أوهايو: «هذه فيروسات كان من الممكن أن تزدهر في البيئات القاسية. هذه الفيروسات لها توقيعات جينات تساعدها على إصابة الخلايا في البيئات الباردة، مجرد توقيعات جينية سريالية لكيفية تمكن الفيروس من البقاء في الظروف القاسية. وهذه ليست توقيعات سهلة لسحبها، والطريقة التي طورها تشي–بينغ زونغ لتطهير اللب ودراسة الميكروبات والفيروسات في الجليد يمكن أن تساعدنا في البحث عن هذه التسلسلات الجينية في البيئات الجليدية المتطرفة الأخرى، على سبيل المثال، المريخ والقمر، أو بشكل أقرب، في صحراء أتاكاما على الأرض».

ولا تشترك الفيروسات في جين عام شائع، لذا فإن تسمية فيروس جديد، ومحاولة معرفة مكانه في مشهد الفيروسات المعروفة، يتطلب خطوات متعددة.

ولمقارنة الفيروسات غير المعروفة بالفيروسات المعروفة، يقارن العلماء مجموعات الجينات من الفيروسات المعروفة في قواعد البيانات العلمية.

وأظهرت مقارنات قاعدة البيانات هذه أن أربعة من الفيروسات الموجودة في عينات لب غوليا الجليدية قد تم تحديدها سابقا، وكانت من عائلات الفيروسات التي تصيب البكتيريا عادة. وجد الباحثون الفيروسات بتركيزات أقل بكثير مما وجد في المحيطات أو التربة.

وأظهر تحليل الباحثين أن الفيروسات نشأت على الأرجح من التربة أو النباتات، وليس الحيوانات أو البشر، بناء على كل من البيئة وقواعد البيانات الخاصة بالفيروسات المعروفة.

وتعد دراسة الفيروسات في الأنهار الجليدية جديدة نسبيا، فقد حددت دراستان سابقتان فقط فيروسات في الجليد القديم.

وقال لوني طومسون، كبير مؤلفي الدراسة، وأستاذ جامعي بارز لعلوم الأرض في ولاية أوهايو وعالم أبحاث أول في مركز بيرد، إن مجال العلم هذا أصبح أكثر أهمية مع تغير المناخ.

وأضاف: «نحن نعرف القليل جدا عن الفيروسات والميكروبات في هذه البيئات القاسية، وما هو موجود بالفعل. توثيق وفهم ذلك مهم للغاية: كيف تستجيب البكتيريا والفيروسات لتغير المناخ؟ وماذا يحدث عندما ننتقل من العصر الجليدي إلى فترة دافئة كما نحن الآن؟».

علماء يتحدثون عن تدهور خطير وسريع في البيئة والمناخ

لندن – «القدس العربي»:

خلص علماء ينتمون إلى سبع دول مختلفة إلى تحذير جديد بشأن التغيرات المناخية، وقالوا إن كافة المؤشرات تتدهور بصورة متواصلة وسريعة وحرجة بما يؤثر على الحياة البشرية على كوكب الأرض.

ونشر العلماء تقريرا عن تقييمهم للتغيرات المناخية في العالم خلال العام الماضي، حيث تشير جميع المؤشرات الرئيسية إلى أن الأوضاع أصبحت حرجة جدا.

ونشر الباحثون تقييمهم للتغيرات المناخية في مجلة «بيوساينس» التي نشرت عام 2019 إعلانا عن حالة الطوارئ في المناخ وقعها أكثر من 11 ألف عالم من 153 دولة.

والآن عشية صدور تقرير مجموعة الخبراء الدولية عن التغيرات المناخية «IPCC» بادر علماء من الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا وفرنسا وهولندا وبنغلاديش وألمانيا إلى تحديثه.

ويلاحظ الباحثون مقارنة بعام 2019 زيادة غير مسبوقة في الكوارث الطبيعية المرتبطة بتغير المناخ، بما فيها الفيضانات المدمرة وموجات الحر القياسية والعواصف العنيفة وحرائق الغابات. ووفقا لهم كان عام 2020 ثاني أكثر الأعوام سخونة على الإطلاق، وأن السنوات الخمس بعد عام 2015 كانت الأكثر سخونة في التاريخ.

ويضيف الباحثون، سجل في نيسان/أبريل عام 2021 أعلى تركيز لغاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي للأرض، بلغ 416 جزءا في المليون. وأن تركيز ثلاثة غازات الاحتباس الحراري الرئيسية (ثاني أكسيد الكربون والميثان وأكسيد النتروز) كان في عام 2020 قياسيا، ولم يتغير في عام 2021.

ويقول كبير الباحثين، البروفيسور وليم ريبل، «تزداد الأدلة على اقترابنا أو أننا تجاوزنا النقطة الحرجة في عناصر مهمة من النظام الأرضي، مثل الشعاب المرجانية وغابات الأمازون المطيرة والصفائح الجليدية في غرب أنتاركتيكا وغرينلاند».

ويدعو الباحثون إلى اتخاذ تدابير عاجلة لتخفيض انبعاث غازات الاحتباس الحراري، وخاصة الميثان وإنشاء احتياطيات مناخية استراتيجية لتخزين الكربون، وتحديد سعر لاستخدام الكربون، واتخاذ إجراءات فعالة لحماية التنوع البيولوجي.

ويقول ريبل: «علينا التوقف عن النظر إلى حالات المناخ الطارئة كمشكلة منفصلة. لأن الاحترار العالمي، ليس العلامة الوحيدة للتوترات في النظام الأرضي. لذلك يجب أن تكون سياسة مكافحة التغيرات المناخية وغيرها، موجهة للقضاء على السبب الأساسي– الاستغلال المفرط لكوكب الأرض من قبل البشر».

ويشير الباحثون، إلى أن تدهور المؤشرات المناخية سنة بعد أخرى مرتبط باستمرار البشر في استغلال الأرض بلا رحمة. وكان لجائحة «كوفيد–19» التي تسببت في تخفيض الإنتاج دورا إيجابيا بسيطا ولكن مؤقتا.

ويضيف الباحث كريستوفر وولف من جامعة أوريغون، ما دامت البشرية مستمرة في الضغط على النظام الأرضي، فإن التدابير المتخذة ستعمل فقط على توزيع هذا الضغط. ولكن بالتوقف عن استغلال الموائل الطبيعية، يمكننا تقليل مخاطر انتقال الأمراض الحيوانية المنشأ وحماية مخزونات الكربون والحفاظ على التنوع البيولوجي».

اقتصاد

السياحة في البحر الأحمر والتعاون الإقليمي في مرحلة ما بعد كورونا

ابراهيم نوار

السياحة في شرم الشيخ

بين الشواطئ الرملية الناعمة المشمسة على جانبي البحر الأحمر شرقا وغربا، تجري تيارات المياه الهادئة، وهي تحتضن الشعاب المرجانية الممتدة، ومستوطنات الدلافين، والسلاحف البحرية والقواقع وعشرات الأنواع من الأحياء البحرية والأسماك النادرة. وإلى الشرق والغرب والشمال من شواطئ البحر الأحمر تطل على الحاضر رموز الديانات من أماكن العبادات المقدسة والآثار التاريخية منذ فجر تاريخ البشرية، فهل توجد في العالم كله أماكن تشتهي النفس زيارتها أكثر من تلك؟

ورغم سحر كنوزها فإن قدرة منطقة شمال البحر الأحمر على جذب السياحة من كل أنحاء العالم ما تزال أقل بكثير من الإمكانات والموارد المتاحة. ففي العام 2019 الذي سبق انتشار جائحة كورونا، بلغ نصيب مصر والسعودية والأردن وإسرائيل من السياحة العالمية حوالي 37.1 مليون سائح (مصر 13.6 مليون والسعودية 13.6 مليون والأردن 5.4 مليون وإسرائيل 4.5 مليون) وهو ما يقل عن نصف عدد السائحين الذين زاروا فرنسا في العام نفسه، وبنسبة 2.5 في المئة من إجمالي عدد السائحين في العالم. ومن حيث الدخل بلغ نصيب الدول الأربع المطلة على شمال البحر الأحمر 53.5 مليار دولار بنسبة 3.6 في المئة من إجمالي الدخل السياحي العالمي.

نهضة سياحية كبرى

يترافق إعادة تشغيل قطاع السياحة في دول شمال الأحمر بعد جائحة كورونا مع تنفيذ خطط طموحة لتطوير ذلك القطاع في كل من السعودية ومصر والأردن. كما يرتبط أيضا بزيادة هائلة في الوعي بخطورة قضايا البيئة وضرورة الحافظة على سلامتها. وقد ظهر ذلك واضحا في قرار الحكومة الإسرائيلية بتجميد مشروع إنشاء محطة لتفريغ وشحن النفط في ميناء ايلات بالمشاركة مع الإمارات، بعد أن تقدمت جماعات حماية البيئة بدعوى قضائية ضد المشروع، وحكم فيها القضاء لصالح المدعين، بعد أن فشلت الشركة الإسرائيلية – الإماراتية في تقديم ضمانات بعدم حدوث تلوث في الميناء وفي مسار خط الأنابيب، الذي كان يتم التخطيط لمده إلى ميناء عسقلان. ومن المهم هنا التأكيد على أن سلامة البيئة لا تعترف بالحدود السياسية بين الدول، ولا بالعلاقات المتبادلة فيما بينها. ففي شمال البحر الأحمر إذا حدث تلوث في إسرائيل فإنه سيصيب المنتجعات السياحية المصرية بالضرر، كما أنه سيصيب أيضا الخطط الطموحة لتطوير السياحة في السعودية والأردن. ويعتبر التعاون في المحافظة على البيئة شرطا أساسيا من شروط التنمية السياحية في منطقة شمال البحر الأحمر.

ويمثل مشروع نيوم الذي قدرت السعودية تكلفته بنحو 500 مليار دولار أكبر مشاريع التنمية في شمال البحر الأحمر. ومع تبلور ملامحه، وارتفاع نسبة التنفيذ في المشروعات المختلفة، خصوصا تلك التي تقوم بها شركة البحر الأحمر، من مرافق وتجهيزات سياحية على أحدث المستويات العالمية تشمل مطارا وميناء للسفن السياحية واليخوت، والفنادق، والحدائق المائية وأماكن الترفيه والتسلية على الجزر السعودية المنتشرة قبالة نيوم، والمحميات الطبيعية للشعاب المرجانية والأسماك والأحياء المائية المختلفة، فإن منطقة شمال البحر الأحمر ستصبح وجهة سياحية لجذب ما يمكن أن نطلق عليه «سياحة النخبة» ذات القيمة المضافة العالية. ويقابل نيوم على الجانب الآخر من البحر الأحمر عند خليج السويس مشروعا ضخما تقوم مصر بتنفيذه، وهو مشروع مدينة الجلالة التي ترتفع عن سطح البحر بحوالي 700 متر، وتتمتع باطلالة مباشرة على البحر، ويتم تنفيذ المرافق والمنشآت السياحية فيها بنظام مدن الجيل الرابع أو المدن الذكية. وطبقا للمخطط الذي يتم تنفيذه فسوف تتمتع المدينة بمستوى رفيع للخدمات ووسائل الراحة والترفيه، إضافة إلى اتصالها بالبحر عن طريق تلفريك باتجاه 700 متر من الجبل إلى الشاطئ، وممشى سياحي بطول كورنيش المدينة الذي يمتد لعدة كيلومترات. وفي أقصى الشمال الشرقي عند مدخل خليج العقبة، أصدر الملك عبد الله الثاني توجيهات إلى حكومته لتطوير المرافق السياحية الرئيسية في المثلث الذهبي الممتد من خليج العقبة إلى بتراء إلى وادي رم، وكذلك تطوير مناطق البحر الميت واربد وعمان وغيرها، على اعتبار أن السياحة تمثل واحدا من أهم مصادر الدخل للأردن. أما في إسرائيل فقد تم إنشاء مطار جديد (مطار رامون) شمال مدينة ايلات تكلف ما يقرب من 500 مليون دولار، لاستقبال الرحلات الدولية. وقد بدأ تشغيل المطار فعلا على الرغم من جائحة كورونا، حيث استطاع في العام الماضي أن يستقبل حوالي مليون مسافر، كما يجري ايضا تطوير المناطق السياحية على شاطئ بحيرة طبرية، وعلى شواطئ إيلات وتل أبيب وفي القدس الغربية.

التعاون المشترك

وهكذا فإن الدول الأربع المطلة على شمال البحر الأحمر سوف تجد نفسها أمام واقع جديد عن تشغيل القطاع السياحي بعد جائحة كورونا. السعودية من ناحيتها تستهدف جذب ما يصل إلى 100 مليون سائح طبقا لرؤية 2030 كما أن مصر يمكنها بسهولة ان تضاعف عدد السائحين في خمس سنوات، وذلك على أساس معدل نمو السياحة في العام 2019 الذي بلغ 21 في المئة. وفي السياق نفسه فإن كلا من الأردن وإسرائيل من الممكن لهما مضاعفة عدد السائحين في حال استتباب الأمن والاستقرار في أنحاء تلك المنطقة من العالم. وبصرف النظر عن مدى إمكان تحقيق الرقم المستهدف للسياحة السعودية، فلا شك أن فتح نطاق جديد للتنمية السياحية في المشروعات ذات القيمة المضافة العالية وما يمكن أن نطلق عليه «سياحة النخبة» سيساعد على زيادة الدخل السياحي بنسبة أكبر من معدل نمو عدد السائحين. ومع ذلك فإن الاهتمام بالسياحة الشعبية الرخيصة نسبيا لا يجب أن يتوقف، مع تجنب إهدار إمكانية الحصول على عائدات أفضل بحسن إدارة خدمات المنشآت والمرافق القائمة فعلا، خصوصا في أماكن مثل الغردقة وشرم الشيخ تتمتع بشهرة عالمية وشعبية واسعة في كل أنحاء العالم.

وإذا أخذنا في الاعتبار مشروعات التنمية السياحية الأكثر تقدما التي يتم تنفيذها، والبعد البيئي الجديد المتمثل في التعاون المشترك للمحافظة على الأحياء المائية في البحر الأحمر، فإن تشغيل القطاع السياحي بعد جائحة كورونا يحتاج إلى مجهود مشترك لإعادة إطلاق السياحية الإقليمية وترويجها على المستوى العالمي بوجه جديد وملامح مختلفة عما سبق. على سبيل المثال فإن خطة التنمية السياحية في السعودية تتضمن تشغيل سفن سياحية بين ميناءي جدة ونيوم، وتشمل زيارة بعض الجزر المقابلة للشاطئ الشرقي للبحر الأحمر، وفي الوقت نفسه فإن مصر تقوم فعلا بتنظيم رحلات بحرية بين شرم الشيخ وطابا ودهب ورأس محمد، فلماذا لا تطلق مصر والسعودية برامج رحلات سياحية مشتركة في تلك الأماكن، أو لماذا لا يتم الاتفاق على إصدار تذاكر زيارة موحدة تشمل مدنا وأماكن للزيارة على الجانبين وبالمشاركة مع الأردن؟ وإذا كانت كل من السعودية ومصر تقومان بإنشاء موانئ لليخوت والرحلات البحرية فلماذا لا تتفق الدولتان مع الأردن أيضا، على تبادل زيارات اليخوت، كمقدمة لتصميم مسابقات ومهرجانات لليخوت والقوارب الشراعية، جنبا إلى جنب مع تصميم برامج مشتركة لمهرجانات للرياضات المائية يتم ترويجها في كل أنحاء العالم؟ كذلك فإن التعاون المشترك بين الأطراف المختلفة في المنطقة يمكن أن يعزز جهود الترويج في أسواق الجذب السياحي في الخارج.

وفي حال الاتفاق على برامج للزيارات والرحلات السياحية المشتركة، وإقامة مسابقات ومهرجانات للألعاب الرياضية المائية، فإن دول شمال البحر الأحمر ستجد نفسها في حاجة إلى تطوير مرافق سياحية وبنية أساسية إقليمية مشتركة، لتعزيز خدمات الطيران وحركة السفن، وشبكات الطرق والاتصالات، بحيث يجد السائح أمامه متسعا من الحرية لتمضية النهار على ساحل البحر في نيوم، وقضاء السهرة في دهب أو طابا أو شرم الشيخ أو الجلالة، والسفر إلى العقبة أو بترا في الأردن، أو البحر الميت لتمضية يوم أو أكثر، وقبل أن يغادر المنطقة يستمتع بقضاء ليلة مع الدلافين في مرسى علم في جنوب البحر الأحمر. إن وجود بنية إقليمية ومرافق سياحية مشتركة عالية الكفاءة يمثل واحدا من أهم عوامل الجذب التي يمكن أن تساعد السائحين على اكتشاف عمق واتساع نطاق التنوع البيئي والحضاري في هذه المنطقة من العالم المليئة بالكنوز والأسرار التي قل أن يوجد مثيل لها في أي منطقة في العالم.

لبنان في المرتبة الثالثة عالميا من حيث سوء الأزمة الاقتصادية

رلى موفّق

مرّت سنة على تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب/أغسطس 2020 فيما لبنان يُمعن في الغرق إلى القعر سياسياً واقتصادياً وماليا واجتماعيا، ويعيش فصولاً من الانهيارات المتتالية وسط انسداد في أفق الحلول والمعالجات الناجعة وحتى المسكّنات. أطاح عصف الانفجار بحكومة حسان دياب التي ما زالت تُصرّف الأعمال من دون القدرة على إنتاج حكومة كان يُفترض بها أن تكون «حكومة مهمة» تعمل على وقف التدحرج السريع نحو الهاوية. بين رئيسين مكلّفين هما مصطفى أديب وسعد الحريري، مر أحد عشر شهراً، وكأن ساسة لبنان يعيشون في كوكب آخر، ولا يزالون.

ليس هناك من كبير أمل بأنّا يلقى التكليف الثالث خلال سنة، والذي آل إلى نجيب ميقاتي، نفس المصير، في وقت خرج تقرير للبنك الدولي ليصنّف الأزمة الاقتصاديّة والمالية التي تضرب لبنان من بين الأزمات العشر، وربّما من بين الأزمات الثلاث، الأكثر حدّة عالمياً منذ أواسط القرن التاسع عشر، بعد تشيلي عام 1926 التي احتاجت إلى 16 عاماً للخروج من قعرها، وإسبانيا بعد حربها الأهلية عام 1931.

ووفق تقرير مرصد الاقتصاد اللبناني لربيع 2021 الصادر عن البنك الدولي، سجّل الناتج المحلي في لبنان تراجعاً من نحو 55 مليار دولار أمريكي في العام 2018 إلى نحو 33 مليار دولار في العام 2020 مع تراجع إجمالي الناتج المحلي للفرد بالدولار الأمريكي بنحو 40 في المئة. ويقول: «غالبًا ما يُعزى مثل هذا الانقباض القاسي والسريع إلى نزاعات أو حروب». وحتى قبل ذلك، لطالما صنّف البنك الدولي لبنان على أنّه دولة هشاشة، ونزاع، وعنف. وبالتالي، قد تُهدّد الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة المتردية بانهيار وطني منهجي تكون له انعكاسات محتملة على المستويين الإقليمي والعالمي، مّما يُجسّد حجم الكساد الاقتصادي الذي يشهده البلد، من دون بارقة أمل بتغيير تلوح في الأفق، نظراً إلى التقاعس المتعمّد عن اتخاذ السياسات الملائمة.

هو التقاعس المتعمّد، إذ إن السلطات اللبنانية تواجه وابل الأزمات المتعاقبة (الأزمة المالية والاقتصادية، كوفيد 19، وانفجار مرفأ بيروت) بسياسات غير ملائمة عمداً. يعتبرُ التقرير أن الاستجابات غير الملائمة لا تعود إلى نقص في المعلومات أو إلى توجيهات خاطئة، بل هي نتيجة توليفة من عوامل عدّة، منها: غياب الإجماع السياسي بشأن مبادرات سياسات فعّالة؛ والإجماع السياسي في الدفاع عن نظام اقتصادي مُفلس، أفاد البعض لفترة طويلة جداً.

وإزاء الانهيار في قيمة الليرة، وتآكل القدرة الشرائية، وارتفاع معدلات التضخم، التي يزيد معها الفقر والبطالة، يرى تقرير البنك الدولي أن «الأثر الاجتماعي للأزمة، الصعب أصلاً، قد يُصبح مأساويا بسرعة». يتحدث عن 1 من 5 عمال خسروا وظائفهم، و41 في المئة من العائلات تواجه صعوبات في الحصول على الطعام والمواد الأساسية، و36 في المئة يتعذّر عليها الوصول إلى الرعاية الطبية، ونزوح جماعي للطلاب من المدارس الخاصة إلى الرسمية، بلغ هذا العام وحده 54000 تلميذ (11 في المئة من تلامذة القطاع العام) بالإضافة إلى معدّل تسرّب مدرسي أعلى، لا سيّما من الأسر الأكثر تهميشاً.

ورجّح أن يكون «أكثر من نصف السكان دون خط الفقر الوطني» متحدثاً عن مخاطر واقعيّة تُهدّد سلمه الاجتماعي الهشّ أصلاً. فالأزمة المالية والاقتصاديّة زادت من هشاشة لبنان وتفكّكه، مما زاد من خطر الاضطرابات المدنية والاجتماعية وزادت الأزمة من أوجه الخلل الطويلة الأمد، بما في ذلك مكامن الضعف المؤسسية، والسياسة الاجتماعية والاقتصادية الفاشلة، والخدمات العامة السيئة.

وكان الاتجاه الدولي يقوم على مساعدة لبنان للنهوض اقتصادياً من خلال خطط إصلاحية، لكنه الآن أضحى توجهاً لتقديم المساعدات الإنسانية من خارج مؤسسات الدولة. هذا ما خلص إليه «مرصد الأزمة في الجامعة الأمريكية في بيروت» وهو مبادرة بحثية تهدف إلى دراسة تداعيات الأزمات المتعددة في لبنان وطرق مقاربتها، إذ أشار في ملخص لدراسة أعدها إلى أن «المجتمع الدولي يتوجّه بشكل متزايد إلى تصويب معظم المساعدات التي تُقدّم إلى لبنان في اتجاه البرامج الإنسانية واستجابةً لحالات الطوارئ. وهو أمر ناجم بمعظمه عن الأزمات المتشابكة الناتجة بدورها عن تأزُّم سياسي مزمن، تستعصي معه الحلول ويُحترَف فيه تضييع الفرص، فتغيب الجديّة الحكومية في إدارة الأزمة وتتسارع انهيارات القطاعات الحيوية وتفكّك المؤسسات».

ويلفت المرصد، الذي يُشرف عليه الدكتور ناصر ياسين، إلى استعصاء الحلول والإصلاحات خلال العقدين الأخيرين، ولا سيّما منذ عام 2007 حين التزمت الحكومة بتحقيق سلسلة من الإصلاحات في برنامج عمل مؤتمر «باريس 3» حيث لم تنفّذ الحكومات المتعاقبة أغلبه، ولم يُبصر النور منه إلّا القليل. ومن هذا البرنامج ما كان يتعلق بحوكمة القطاع العام، وتعيين هيئة ناظمة للمناقصات العامة، وإصلاح قطاع الطاقة وخصخصة كهرباء لبنان، وزيادة التنافسية، واستراتيجية اجتماعية شاملة، وإصلاح نظم التقاعد».

فـ«أمام هذه الفرص الضائعة – التي لم تُؤخذ بشكل جدّي منذ أكثر من 14 عامًا بعد مؤتمر باريس 3 وكذلك بعد مؤتمر سيدر – وأمام غياب الرؤية وتفكّك المؤسسات، وكذلك الإزمات الحاصلة في أزمة اللجوء السوري، يتحوّل المانحون إلى حصر المساعدات المقدّمة إلى لبنان بالمنظمات الدولية والهيئات غير الحكومية ضمن أطر المساعدات الإنسانية».

الأرقام... والمانحون

في هذا الإطار، حصل لبنان خلال العام الماضي على 1.6 مليار دولار على شكل مُنح جُلّها عبر الهيئات الإنسانية والمنظمات غير الحكومية، بحيث شكّل هذا المبلغ ارتفاعًا ملحوظًا (عن المساعدات الممنوحة خلال عام 2019) قدرُه نصف مليار دولار، إذ حصل لبنان عامئذٍ على 1.1 مليار دولار. وقد قدّمت جهات ثلاث معظم التمويل (76.5%) وهي: الولايات المتحدة الأمريكية والمفوضية الأوروبية وألمانيا. وقد وُجّهت أكثرية المساعدات إلى برنامج الاستجابة لأزمة اللجوء السوري في لبنان، تليها خطة الاستجابة لأزمة الكورونا والمساعدة الطارئة التي بُذلت إثر تفجير مرفأ بيروت. وحصلت ثلاث منظمات دولية على 66 بالمئة من التمويل الإنساني هي: برنامج الغذاء العالمي (29.8%)، مفوضية اللاجئين (25.2%) ومنظمة اليونيسف (10.9%). ولم تُحصَر أكثرية التمويل الساحقة بقطاعات معينة، فيما حصل كلٌّ من قطاعات الصحة على 102 مليون دولار، والأمن الغذائي 76 مليون دولار، والتعليم 37 مليون دولار. وتُنفّذ هذه البرامج بواسطة منظمات دولية ومؤسسات غير حكومية بالتعاون مع الإدارات الرسمية في قطاعات محددة كالصحة والتعليم بالإضافة إلى الهيئات المحلية في بعض الأحيان.

ويحتل لبنان المرتبة الثالثة عالمياً من حيث التمويل الإنساني بحصوله على 5.8% من مجموع التمويل الإنساني في العالم بعد سوريا (9.6%) واليمن (8.1%) إلّا أنه يحتل المرتبة الأولى عالمياً من حيث حصة الفرد المستهدف من التمويل الإنساني إذا احتسبنا الفئات المستهدفة من اللقراء اللبنانيين (1 مليون) واللاجئين السوريين (1 مليون) والفلسطينيين (270 ألفاً)، وتُقدّر هذه الحصة بنحو 700 دولار للفرد سنوياً.

ويرى ناصر ياسين أننا ذاهبون بازدياد إلى منحى المساعدات الإنسانية، لأن مؤسسات الدولة معطلة والإصلاحات لم تتم، ولأن التأزم السياسي الموجود لا يسمح للبلد بالانطلاق بخطط إصلاحات قطاعية، فتتم مساعدته بالحد الأدنى، أي أن المساعدات تذهب باتجاه الصحة والتعليم والغذاء، وكأنك تساعدين اللبنانيين وهم في حالة طوارئ، كما تساعدين اللاجئين أو النازحين أو أناس تعرضوا لأزمة كبيرة، هذا هو توجّه المؤتمرات الدولية التي عُقدت من أجل دعم لبنان في الأشهر الأخيرة، وهكذا تُرى الصورة على الأقل في الوقت الحالي، لأن الأزمة السياسية الكبيرة وتعثر الإصلاحات وتأزم الحالة الموجودة يجعل المساعدات بالمباشر إنسانية.

ما يلفت إليه هو أن الدولة ستشهد مزيداً من الضعف. فالمساعدات ليست لدعم مؤسسات الدولة إنما هي للشعب، وتأتي عبر المنظمات الدولية والجمعيات غير الحكومية، باعتبار أن الدولة فاشلة، وغير مؤهلة لإدارة هذه المشاريع، وبالتالي فإن استمرار هذه السلسلة ستضعف الدولة أكثر وأكثر. والمشكلة أن الحديث عن حلول جذرية أضحى صعباً، فحتى ولو تشكّلت الحكومة سريعاً ستكون الحلول لإطفاء الحرائق أكثر مما هي حلول جذرية نحو التعافي، لأننا تأخرنا بإدارة الأزمة، متوقعاً أن يكون لبنان ذاهب، على الأقل حتى الانتخابات النيابية، نحو مرحلة إطفاء حرائق، يوم بالمحروقات ويوم بالغذاء، ويوم بالكهرباء والدواء وهي كلها عملية تقطيع وقت، فما يهم المجتمع الدولي راهناً هو ضمان حد أدنى من الاستقرار في لبنان، ذلك أن المسألة اللبنانية غير موضوعة بشكل جدي على طريق الحل إنما هي تفصيل لما يحدث من حراك في المنطقة.

ويبشي التحرّك الدولي عبر مزيد من المساعدات الإنسانية والتي سيكون آخرها في المؤتمر عن بعد الذي سيعقد في الرابع من آب/أغسطس بدعوة من فرنسا بأن مسار الأزمة اللبنانية سيكون طويلاً، حتى إلى ما بعد الانتخابات، وإنْ كان ينظر إليها على أنها محطة قد تبدّل في التوجهات السياسية لأكثرية البرلمانية، لكنها في واقع الحال لن تحدث تبدلاً جوهرياً في نظام محكوم بتوازنات طائفية، وبوجود سلاح غير شرعي هو المسمك بالقرار الاستراتيجي للبلاد.

ثمة ثلاث قضايا أساسية وجوهرية، في رأي ياسين، لا جواب لها ولا حلول داخلية أو دولية حولها، وهي: كيف نحل أزمة لبنان إذا لم يحصل نقاش حقيقي حول دور الأفرقاء اللبنانيين في صراعات المنطقة؟ وكيف نأتي بالمساعدات إذا لم تكن هناك إصلاحات جدية بكل القطاعات التي فيها فساد وهدر وسيطرة السياسيين عليها؟ وكيف يتم الانفتاح على الحراك الشعبي الذي عمره سنة ونصف أو سنتين؟

هي قضايا أو أسئلة تلخّص جذور المشكلة التي تحتاج إلى حل، وما عداه ليس سوى حبوب مسكن لن تُغني عن عملية جراحية وإلا مات المريض، الذي اسمه لبنان!.

الملعب الروماني في مدينة صور اللبنانية معلم أثري يروي حكايات الحقبة الرومانية

عبد معروف

الملعب الروماني في مدينة صور اللبنانية، واحد من أبرز معالم العصر الروماني، أبدع خلاله الرومان في بناء القصور والقلاع وأقواس النصر.

وتعتبر مدينة صور من أشهر حواضر العالم عبر التاريخ للدور الذي لعبته في الحقبة الرومانية ان كان من ناحية سيطرتها على التجارة البحرية، التي أنشائها المستوطنات التجارية حول المتوسط، أو نشر الديانات في العالم القديم.

ولعدة قرون كانت روما القديمة أقوى دولة على وجه الأرض، وتفوقت على الجميع في التنظيم العسكري والحروب والهندسة بالإضافة إلى الهندسة المعمارية، وتشمل الإنجازات الثقافية الفريدة من نوعها اختراع القبب والقبو المقوس، وتطوير الخرسانة وشبكة واسعة من الطرق والجسور. وعلى الرغم من هذا، فإن النحاتين والرسامين الرومانيين أنتجوا فقط كمية محدودة من الفن الفاخر الأصلي المتميز، ويفضلون بدلا من ذلك إعادة تدوير التصاميم من الفن اليوناني، والتي كانوا يتفاخرون بها أكثر من الفن الخاص بهم، وقد مارس الرومان كثيرا من الفنون بما في ذلك النحت من التماثيل البرونزية والرخام، والتوابيت، والرسومات الفنية الفاخرة ومنها الجداريات، والبورتريه، والرسم الزيتي، والفن الزخرفي بما في ذلك تشكيل المعادن والفسيفساء والمجوهرات والمحفورات العاجية، والتي قد تم بالفعل إتقانها بالكامل من قبل الفنانين اليونانيين. بالطبع من الخطأ القول إن الفن الروماني كان خاليا من الابتكار، فمثلا فن العمارة في المناطق الحضرية كان رائدا، كما كان رسم المناظر الطبيعية وصورة التمثال، يمكننا القول أن الفن الروماني كان في الغالب مشتقا، وقبل كل شيء كان ذا منفعة ويخدم الأهداف الموضوعة من أجله وكان في أعلاها نشر القيم الرومانية جنبا إلى جنب مع احترام السلطة الرومانية. كما اتضح، أن الفن الروماني الكلاسيكي كان له تأثير كبير على العديد من الثقافات اللاحقة.

الثقافة اليونانية

اعتنق الرومان الثقافة اليونانية بحماس حتى أصبح الأساس لثقافتهم ونتيجة لذلك، ظهرت الأشكال الرومانية للفن والهندسة المعمارية إلى حد كبير من اعتماد النماذج اليونانية وإعادة تشكيلها. تأثر الفن الروماني بشدة بالفن اليوناني والإتروسكي.

والعمارة الرومانية تقف بوضوح باعتبارها جزءا من سابقاتها اليونانية، وكان الرومان الحضارة الأولى التي استغلت البناء المقوس بالكامل، حيث يتم دعم السقف بالأقواس على عكس البناء العرضي المستقيم، حيث السقف كان يقف مباشرة على الأعمدة. ومن بين الثقافات القديمة، كان البناء المقوس إما بسيطا نسبيا مثل بلاد الرافدين أو غائبا تقريبا مثل اليونان.

وكانت مواد البناء الرئيسية في روما القديمة الحجر والخرسانة. على الرغم من تواريخ ملموسة لأقرب الحضارات، وكان الرومان أول من بنا بها على نطاق واسع. وغالبا ما تكون الجدران الخرسانية مغلفة بألواح من الحجر أو الطوب.

ولعل هياكل الانتصارات، وأقواس النصر، واحدة من أكثر الأشكال شعبية في العمارة الرومانية، وقوس النصر هو ممر قائم بذاته بني للاحتفال بحدث كبير غالبا ما يكون حملة عسكرية. وكثيرا ما يتميز قوس النصر بمنحوتات ذات صلة بالحدث المعني، مثل النقوش القصصية أو تماثيل التتويج، وفي بعض الأحيان الأقواس الانتصارية الكبيرة ترتبط بقوسين فرعيين يربطان القوس المركزي الرئيسي.

عصابات القراصنة

لم يتسبّب انتقال السلطة من السلوقيين إلى الرومان، بالنسبة لدول الشاطئ الفينيقي، بحرمانها من استقلالها، بل إنّ الرومان اعترفوا بهذا الاستقلال الذاتي واحترموا مقوّماته. واستفادت صور تجاريا وعمرانيا من توطيد السلطة الرومانيّة التي أحلت النظام بعد الفوضى التي سادت من جراء المنازعات السياسيّة، ومن تطهير البلاد من عصابات القراصنة التي كانت موانئ المتوسّط الشرقيّة تعج بها.

عندما تولى الإمبراطور كلاوديوس مقاليد الحكم في روما (41 - 54 م) سمح للصوريين ان يطلقوا على مدينتهم اسم «كلاوديابولس» (مدينة كلاوديوس) دليل عطفه عليها وتقديره لها وإعجابه بتاريخها وحيويتها.

وعلى إحدى الكتابات التي عثر عليها في بوتيولي، أحد مراكز تجارة الصوريين، وأكبر مدينة تجارية إيطالية في العهد الروماني تظهر صور كمدينة «مستقلّة مقدّسة وحرام، وعاصمة فينيقيا». ومن ذاك التاريخ أخذت أهمية صور التجاريّة والسياسيّة والعمرانية تزداد يوماً بعد يوم.

فخلال العصر الروماني، شهدت مدينة صور طفرة عمرانية، وشيدت المنشآت الهامة وقوس النصر والقلاع والمباني الضخمة، والملعب الروماني، الذي كان من أبرز المواقع الأثرية في المدينة.

قوس النصر

يعود بناء قوس النصر إلى القرن الثاني الميلادي وقد يكون بناه سكان المدينة على شرف الإمبراطور هدريان الذي زار الشرق خلال القرن الثاني ميلادي، وكانت مدينة صور على علاقة جيدة معه وهو الذي جعلها عاصمة اتحادية لولاية الشرق.

وقوس النصر مبني من الحجر الرملي الذي كان مغطى بطبقة من الجص الأبيض ويحمل ألواناً مختلفة، ويمكن مشاهدة طبقة صغيرة من الألوان على القاعدة الجنوبية في الجزء السفلي من القوس. وقد كان الشكل الخارجي للقوس يتغير حسب الذوق العام للمدينة ويغطى بالألوان أو الرخام، وخلال الفترة التي عاشها، وهي أربعة قرون، تغير الشكل الخارجي عدة مرات. وعلى جانبي البوابة الرئيسية هناك بابان جانبيان أحدهما يؤدي إلى طريق للمشاة، وعلى جانبي القوس يمكن مشاهدة بقايا برجين. البرج الشمالي منهما كان مغطى بالموزاييك حيث لا تزال طبقة من الموزاييك تغطي أرضه. أما البرج الجنوبي فكانت أرضه مرصوفة بالحجر.

الطريق الروماني

يبدأ هذ الطريق الذي يعود للفترة الرومانية من قوس النصر باتجاه الغرب ويعود تعبيده إلى حوالي القرن الأول الميلادي. وشكل الطريق محدّب وعلى جانبيه تقع قناتان صغرتان لتصريف المياه. ويمكن مشاهدة آثار دواليب عربات السباق والنقل على حجار الطريق.

وقد تم الكشف عن هذا الشارع بعد إزالة حجارة الشارع البيزنطي من فوقه، ثم رصف هذا الشارع الروماني بحجارة كلسية كبيرة وهي لا تزال تحمل آثار مرور العربات عليها.

وعلى جانبي هذا الشارع تمتد سلسلة من الأعمدة التي تفصله من جهته الشمالية ومن جهته الجنوبية

عن طريق المشاة.

قنوات المياه

تقع قنوات المياه، على جنوب الطريق المعبد الذي يعود للفترة الرومانية ويمكن مشاهدة القناطر القائمة والتي كانت تعلوها قنوات المياه المحمولة على أقواس، والتي كانت تمر بها المياه من ينابيع رأس العين إلى صور بواسطة نظام للقنوات بعضه مرفوع على قناطر والآخر مبني على الأرض.

وكانت القنوات تذهب إلى تل المعشوق في شرق صور ثم إلى المدينة، وقرب قوس النصر استخدمت الفراغات تحت القناطر بعد إغلاقها كغرف ومحلات تجارية ويمكن ملاحظة ترسبات المياه الكلسية الناتجة عن تسرب المياه إلى الأجزاء السفلى من القناطر. أما قواعدها فهي منتشرة في أجزاء الموقع على نفس الخط. وفي السابق كانت قواعد القنوات تحمل رسوماً ويمكن رؤية بعض هذه الرسوم شرق موقع البص على أول قاعدتين.

طريق المشاة

على جنوب طريق العربات وبمستوى أعلى يقع طريق المشاة الذي يعود للقرن الرابع الميلادي وقد كان الطريق مغطى بسقف يحمي المشاة في طريقهم إلى الملعب الروماني من المطر وأشعة الشمس.

الملعب الروماني

يعود بناء الملعب إلى القرن الثاني الميلادي ويبلغ طوله حوالي 480م وعرضه 120م ويمكن أن يتسع لحوالي 40.000 متفرج ويعتبر ثاني أكبر ملعب من نوعه مسجل في العالم، فيما يعتبر أكبر ملعب محفوظ من نوعه في العالم.

وقد كانت الرياضة الرئيسية الممارسة فيه هي سباق العربات وهي أكثر الرياضات الشعبية في العالم آنذاك. ويتوسط الملعب حاجز مغطى بالموزاييك وداخله مجموعة من نوافير المياه، وفي أسفل المدرج تم استغلال الفراغ الأرضي ليكون كسوق تجاري. وقرب كل محل تجاري يلاحظ وجود ثقب في الجدار المقابل لربط وسائل النقل.

وللملعب عدة مداخل جانبية، وكانت المداخل تقسم وتوزع حسب الطبقات الاجتماعية، فكل طبقة اجتماعية لها المدخل الخاص بها، وعلى جانبي الملعب توجد أبنية خاصة بالفرق الرياضية. وهناك في صور ملعب آخر غير مكتشف. وقد شاهد الإسكندر المقدوني ألعاباً كجزء من احتفالاته بالنصر على صور، كما أن الألعاب الدورية كانت تجري في صور كل خمس سنوات خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، وقد حضر بعض هذه الألعاب ورعاها مجموعة من الملوك السلوقيين.

الملعب الروماني في مدينة صور اللبنانية، اليوم، يعتبر صرحا ثقافيا وفنيا، تقام فيه مهرجانات صور الدولية والحفلات الفنية، والمعارض التراثية والتشكيلية والاحتفالات الرسمية والشعبية، بعد ست سنوات على توقفها نتيجة عوامل أبرزها الظروف الأمنية والاقتصادية.

ويعتلي المسرح الذي يتظلل بالمدرج الروماني الكبير كل عام، أبرز الفنانين اللبنانيين والفرق الفنية العربية والدولية ونخبة من الشعراء اللبنانيين والعرب.

رياضة

بعد سانشو وفاران ماذا يمنع سولشاير من فك عقدة اليونايتد؟

لندن ـ «القدس العربي»:
عادل منصور

جيدون سانشو

ارتفع سقف طموح جماهير مانشستر يونايتد أكثر من أي وقت مضى، بعد حفاظ النادي على عهده مع المدرب النرويجي أولي غونار سولشاير، بالاستمرار في تقديم كل أنواع الدعم المادي والمعنوي، أملا في تحقيق الهدف المنشود، أو بالأحرى فك عقدته المشتركة مع الشياطين، بإنهاء أعوام الجفاف والابتعاد عن مناص التتويج، منذ مشهد الاحتفال بالعكاكيز في قلب ملعب «فريندز آرينا» في السويد، بعد تخطي أياكس أمستردام بهدفين نظيفين في المباراة النهائية لليوروبا ليغ نسخة 2017، ذاك الموسم 2016–2017 الذي خرج منه المدرب السابق جوزيه مورينيو بثنائية «كاراباو والدوري الأوروبي».

عجائب ذو الوجه الطفولي

عاد تلميذ الأسطورة سير أليكس فيرغسون إلى بيته القديم، بثوب المدرب المؤهل لدخول فئة «الصفوة» في المستقبل القريب، بعدما تجاوز تجربة كارديف سيتي الصعبة في البريميرليغ، بعودة موفقة لناديه الأصلي مولدي النرويجي عام 2015، انتهت باستدعاء عاجل لخلافة «سبيشال وان» في «مسرح الأحلام» مع بداية الاستعداد لصخب عيد الميلاد 2018، ورغم التحسن الكبير في نتائج اليونايتد في مستهل مشوار سولشاير مقارنة بالنتائج والصورة الباهتة التي كان عليها في أواخر حقبة المو، إلا أنه مع مرور الوقت، تبين أنها كانت مجرد صحوة أو ما تُعرف في الوسط الكروي «فترة شهر العسل» بين المدرب الاسكندينافي الجديد والنجوم المسيطرة على كل مفاصل غرفة خلع الملابس، على رأسهم بول بوغبا، ماركوس راشفورد، لوك شاو وباقي الكبار الذين تنفسوا الصعداء بعد إقالة مورينيو، والدليل على ذلك، التفاوت الكبير بين نتائج وأداء الفريق في أسابيع سولشاير الأولى وبين الصورة البائسة التي ختم بها الموسم، مثل تجنب الخسارة في 11 مباراة على التوالي في الدوري الإنكليزي الممتاز (بواقع 9 انتصارات وتعادلين)، في المقابل اكتفى بتعادلين و3 هزائم في آخر 5 جولات للحملة، وذلك في الوقت الذي كان يتأخر فيه بأربع وخمس نقاط فقط عن توتنهام صاحب المركز الرابع. وشملت عجائب أولي في موسمه الأولى المتقلب، نجاحه في إقصاء باريس سان جيرمان من دور الـ16 لدوري أبطال أوروبا، بريمونتادا ستبقى عالقة في الأذهان، بقلب هزيمة «أولد ترافورد» بهدفين نظيفين، إلى انتصار تاريخي بثلاثة أهداف مقابل هدف في إياب «حديقة الأمراء»، ليكسب ثقة إد وودوارد والمسؤولين في مجلس الإدارة، بمنحه عقدا دائما بدلا من عقده المؤقت، ومعها عاد الفريق خطوات مرعبة إلى الوراء، تجسدت في حسرة الخروج من كأس الاتحاد الإنكليزي على يد ولفرهامبتون، وذلك في نفس أسبوع الخروج المؤسف من ذات الأذنين، بالتجرع من مرارة الهزيمة ذهابا وعودة أمام برشلونة في دور الثمانية بنتيجة 1–0 في عاصمة الشمال الإنكليزي وبثلاثية كانت قابلة للضعف في كاتالونيا، ما تسبب بشكل أو بآخر بوضعه في إطار المدرب المتوسط، حتى عشاق النادي ما زالوا يشككون في تصنيفه كمدرب عالمي أو بالمصطلح الدارج «من النخبة».

أول الغيث

لخص موسم 2019–2020 وضع وشكل اليونايتد في عهد سولشاير، كفريق لا يمكن التنبؤ أو حتى توقع نتائجه وأحداث سير مبارياته سواء على ملعبه أو خارجه، لتذبذب الأداء الجماعي والمستوى الفردي للاعبين، ليس فقط من فترة لأخرى، بل أحيانا من مباراة لأخرى، ما أعطى وسائل الإعلام البريطانية فرصة على طبق من فضة لرسم مستقبل المدرب مع اليونايتد وكأنه «على المحك»، لولا أن خالف كل التوقعات، بتجاوز البداية الكارثية والموجة الأولى لجائحة كورونا، التي تسببت في تجميد النشاط الكروي قرابة الـ100 يوما، وفعلها بسلسلة من العروض والانتصارات المقنعة بعد استئناف موسم 2019–2020 في النصف الثاني من يونيو / حزيران، أسفرت في الأخير عن ريمونتادا مذهلة، باحتلال المركز الثالث المؤهل لدوري الأبطال، بعد أن كان الفريق خارج دائرة المنافسة على المراكز الأربعة الأولى، فيما اعتبرها النقاد وأغلب النقاد إشارة إلى اقتراب سولشاير من وضع اللمسات الأخيرة في مشروعه مع النادي، وهو ما كان سيتحقق على أرض الواقع في الموسم المنقضي.

لكن عدم التخلص نهائيا من لعنة الفصول الباردة، التي تجلت في الخروج المبكر من دوري مجموعات أبطال أوروبا، إلى جانب التفريط بغرابة في المنافسة على لقب البريميرليغ، بعد تضييق الخناق على البطل مانشستر سيتي في أسابيع عدة، لكن في نهاية المطاف، أظهر تحسنا ملموسا من حيث جودة اللعب داخل المستطيل الأخضر وكذلك مستوى طموحات الجماهير، وذلك بإنهاء حملة الدوري الإنكليزي الممتاز في المركز الثاني برصيد 74 نقطة، معادلا ما يصفه جوزيه مورينيو دوما بـ«أفضل إنجاز في مشواره»، بالحصول على مركز وصافة البريميرليغ نسخة 2017–2018 برصيد 81 نقطة وخلف نفس البطل السماوي بـ19 نقطة، والأهم بالنسبة للمشجعين أن المدرب كسر النصف الأول من عقدته، بالترشح إلى المباراة النهائية لليوربا ليغ، كأول مرة يتأهل إلى نهائي في مشواره التدريبي مع الفريق، والإشارة إلى موقعة «بي جي إي أرينا»، التي خسرها عملاق البريميرليغ أمام فياريال الإسباني بركلات الجزاء الترجيحية بعد انتهاء الوقت الأصلي والإضافي بالتعادل الإيجابي بهدف لمثله، ما ساعده على ضرب عصفورين بحجر واحد، الأول بغلق باب الشائعات حول إمكانية طرده، والثاني تحصل عليه مؤخرا، بتمديد عقده مع الكيان لثلاث سنوات قادمة، رغم مرارة الابتعاد عن الألقاب.

بصمات إيجابية

بصرف النظر عن تمنع الألقاب عليه وتبدل الأوضاع بهبوط وصعود سواء في المستوى أو النتائج، لكن هذا لا يقلل من عمل الرجل الاسكندينافي مع الشياطين الحمر، دعك من ارتفاع نسق اللعب والحضور القوي داخل المستطيل عندما يكون اللاعبين في أفضل حالاتهم، مقارنة بنسخة الألواح الخشبية التي كان عليها الفريق في أواخر عهد مورينيو، لكن بصماته واختياراته وما ترتب عليها يثبت وبشكل عملي أنه يمضى قدما نحو الطريق الصحيح ولو بشكل بطيء، منها على سبيل المثال لا الحصر، الانقلاب الإيجابي على كبار السن وأنصاف النجوم، الذين كانوا يكبدون الخزينة رواتب ضخمة، وفي نفس الوقت يشكلون عائقا أمام مشروع الإحلال والتبديل والنزول بمعدل أعمار اللاعبين، من نوعية كريس سمولينغ، أشلي يونغ وأليكسيس سانشيز، في المقابل جاء بصفقات أقل ما يُقال عنها «جيدة جدا» في المجمل، بل البعض منهم أحدث نقلة في المشروع، والحديث عن الساحر البرتغالي برونو فيرنانديز، الذي أعطى إضافة فاقت كل التوقعات، بمرونته وذكائه الحاد في تصرفه

رافاييل فاران

بالكرة في الثلث الأخير من الملعب، وإلا لما ختم الموسم وفي سجله 28 هدفا في مختلف المسابقات.

وبدرجة أقل العقرب الأوروغوياني إدينسون كافاني، الذي أعاد الكثير من الهيبة والحدة، التي افتقدها اليونايتد منذ لحظة إصابة زلاتان إبراهيموفيتش بقطع في الرباط الصليبي، في أوج لحظاته بالقميص الأحمر أبريل / نيسيان 2017، وقد لخص ذلك بهز شباك المنافسين 17 مرة من مشاركته في 34 مباراة، ونفس الأمر ينطبق على هاري ماغواير وآرون بيساكا على مستوى خط الدفاع، خصوصا القادم من ليستر سيتي، لتأثيره الكبير في الدفاع، والذي وصل لحد وضع اليونايتد على قدم المساواة مع المنافسين الأقوياء دفاعيا، أو بالأحرى الذين يتفاخرون بامتلاك قوة ضاربة من الطراز العالمي في الخط الخلفي، وهذا الأمر انعكس بشكل إيجابي على مستوى فيكتور ليندلوف وإريك بايلي، باختلاف جوهري في مستوى وتحركات كل مدافع في وجود القائد الجديد، مقارنة بالانطباع والمستوى المعروف عنهما قبل وصول ماغواير.

بالتبعية يؤدي بيساكا بشكل لا خلاف عليه في مركز الظهير الأيمن، خاصة في الأدوار الدفاعية لمؤهلاته التي تساعده على شغل مركز قلب الدفاع بكل أريحية، فقط سقط منه الهولندي دوني فان دي بيك، بتهميشه على مقاعد البدلاء، والاكتفاء بإعطائه دقائق قليلة، حفاظا على ماء وجه النادي، بعد دفع 40 مليون يورو لنقله من أياكس، ومثله الظهير الأيسر أليكس تيليس، ولو أن ضم البرازيلي صاحب الـ28 عاما، كان سببا في عودة لوك شاو إلى الحياة، بالصورة السينمائية التي كان عليها طوال الموسم سواء مع الفريق أو المنتخب الإنكليزي في حملة اليورو، وهذا يفسر ظاهرة مهرجان الأهداف والتحسن الكبير في أرقام الدفاع والهجوم، كالفوز الساحق على ساوثامبتون بالتسعة وعلى ليدز بالتسعة، وبوجه عام، ختم حملة البريميرليغ كثاني أقوى خط هجوم بعد البطل، وخامس الفرق من حيث استقبال الأهداف، لكن النقطة السوداء في تجربته، كانت وما زالت تكمن في فشله في السير على خطى سلفه مورينيو، الذي لم يستغرق نفس الوقت ولا حتى كان محظوظا بنفس الصبر والدعم المادي، ليظفر بأولى ألقابه مع النادي، وقبله المدرب الأسبق لويس فان خال، الذي فاز بكأس الاتحاد الإنكليزي في موسمه الثاني والأخير 2016–2017.

الفرصة الأخيرة

يعرف سولشاير جيدا، أن الإدارة وأغلب المشجعين يقدرون عمله وما أنجزه على مدار أكثر من عامين، لكن في الوقت ذاته، يُدرك جيدا أن الموسم الذي سينطلق منتصف أغسطس / آب الجاري، سيكون بمثابة الفرصة الأخيرة، إما بتنصيب نفسه ملكا وخليفة لأستاذه أليكس فيرغسون لسنوات قادمة، وإما أن يخسر كل شيء، لصعوبة تحمله أكثر من ثلاث سنوات بلا بطولة، إلى جانب عدم الصبر على الابتعاد عن الكؤوس والبطولات لمدة 5 سنوات على التوالي، وقبل هذا وذاك، سيكون قد خسر ما تبقى له من رصيد، بعد كم الإنفاق الهائل على مشروعه، والذي يلامس الآن النصف مليار يورو، بدأت بضخ نصفهم في النصف الأول لعام 2019، بواقع 63 مليون يورو ذهبت لخزينة سبورتنيغ لضم برونو فيرنانديز في يناير / كانون الثاني، ثم 85 مليون لإطلاق سراح أغلى مدافع في العالم من ليستر سيتي و55 لنقل بيساكا من كريستال بالاس في النافذة الصيفية، فيما أنفق نصف المليار الآخر في آخر نافذتين، منهم 135 مليون لتعزيز القوة الضاربة للمشروع بالثنائي جادون سانشو ورافاييل فاران، كآخر وأهم القطع النادرة المفقودة في «التوليفة السحرية» التي يبحث عنها سولشاير ويعمل على بنائها منذ توليه القيادة الفنية، ليحقق ما وعد به وينتظره كل عشاق النادي، بعودة مانشستر يونايتد إلى المنافسة بشكل حقيقي على لقب الدوري الإنكليزي الممتاز، الغائب عن خزينة البطولات الحمراء منذ تقاعد شيخ المدربين، تزامنا مع اللقب الـ20 الذي حققه الفريق موسم 2012–2013.

وبإلقاء نظرة سريعة على أحدث صفقات اليونايتد، سنجد أنها على الورق «شبه مثالية» بالنسبة للمدرب، لحاجته الماسة للاعب بنفس جودة المراهق البريطاني في مركز الجناح الأيمن المهاجم، بدلا من قتل موهبة راشفورد التهديفية في نفس المركز، استغلالا لسرعته وفارق الجودة بينه وبين دانيل جيمس. وفي وجود ممرر عبقري مثل فيرنانديز، سيكون من السهل استغلال قدرات وطاقة سانشو الهائلة في الرواق الأيمن، على أن يقوم المدرب بتعديل مركز راشفورد كمهاجم متحرك على مسافة قريبة من رأس الحربة الصريح كافاني، وأحيانا يسرق المدافعين بذكاء تحركاته في جهته اليسرى المفضلة، وذلك بربط وتعاون مع مفتاح وملك اليسار لوك شاو، ما سيغير من شكل وأسلوب الهجوم، على الأقل ستتضاعف فرص التسجيل في وجود كافاني وراشفورد بالقرب من مربع العمليات، بدلا من المتخاذل أنطوني مارسيال، الذي بالكاد استنفذ كل رصيده لدى المدرب ومجلس الإدارة، لإصراره على الوقوف في المربع صفر، بمستوى شبه ثابت منذ ضمه من موناكو مقابل 50 مليون يورو في بداية عصر تضخم أسعار وأجور اللاعبين، وهذا يظهر في تكرار الفرص التي يتفنن في إهدارها بسهولة وسذاجة أمام مرمى المنافسين، والجديد مبالغته في الاعتماد على الحل الفردي –الأناني–، وهذا سر الشائعات التي تشكك في استمراره لموسم آخر. وتمثل صفقة فاران نفس أهمية سانشو، لكن على المستوى الدفاعي، لقيمة الكبيرة كواحد من المصنفين ضمن الأفضل عالميا في مركزه، بخلاف خبراته التي لا تقدر بثمن، بصفته الشريك الرئيسي لسيرخيو راموس في فترة الهيمنة على دوري أبطال أوروبا في الفترة بين عامي 2014 و2008، ما يعني أن اليونايتد لم يوقع مع مجرد قلب دفاع من الطراز العالمي، بل مع قائد وكاريزما في الدفاع، ليتخلص سولشاير من صداع فارق الجودة والخبرة بين ماغواير وباقي المدافعين، فيما ستكون المرة الأولى التي يمتلك فيها مانشستر يونايتد ثنائي دفاع من طينة العظماء، منذ حقبة ريو فرديناند ونيمانيا فيديتش، التي شهدت أهم إنجازات فيرغسون في عقده الأخير مع النادي، فهل تكون إشارة إلى عودة اليونايتد إلى مكانته وصورته المرعبة العالقة في أذهان خصومه قبل مؤيديه؟ هذا ما سيجيب عنه سولشاير بعد سخاء الإدارة معه بتوفير الإمكانات اللازمة لحل عقدة الوصول إلى مناص التتويج، فقط يتبقى حل معضلة مستقبل بول بوغبا، إما بإقناعه بالتجديد، وإما الموافقة على بيعه بأعلى عائد مادي، لشراء بديل على نفس المستوى قبل أن يحق له الهروب بدون مقابل عند انتصاف العام الجديد، أما غير ذلك، فلن تكون هنالك حاجة ملحة لإضافة المزيد من الدماء الجديدة، إلا إذا حدثت أشياء وظروف خارجة عن الإرادة قبل غلق الميركاتو.

أولي غونار سولشاير

لأول مرة في التاريخ الدوري الإسباني يذهب للاعب وليس للنادي!

جواد صيدم

منذ دوري عام 2014 الذي حصده نادي العاصمة الأحمر أتليتيكو مدريد، باءت محاولاته المتكررة في معانقة المجد بالفشل. ولا يمكننا الحديث عن "الروخي بلانكوس" دون التطرق للأرجنتيني دييجو سميوني، أسطورة الفريق كلاعب وصاحب الفضل الأكبر كمدرب. الأب الروحي للاعبيه، وصاحب الشخصية القوية والفائزة التي وضعت الحُمر على خارطة أندية العالم الأكبر خلال السنوات العشر الأخيرة. فلولا سميوني لما وصل أتليتيكو لنهائي الأبطال مرتين وفاز الدوري المحلي مرتين وفاز الدوري الأوروبي مرتين وكأس السوبر الأوروبي مرتين وكأس الملك وكأس السوبر الأسباني مرة واحدة بإمكانيات متواضعة فُرضت عليه خلال فترة عمله في العقد الأخير.

ومنذ تولي سميوني لمهامه لحين موسم 20/2019 لا أذكر أنه قام باستقطاب نجوم عالمية من نوادٍ كبيرة، أو أنه صَرف أموالاً باهظة من أجل لاعبٍ واحد كما نرى اليوم في عالم المستديرة. فهو من أخرج أمثال جريزمان وجودين وكورتوا ودييغو كوستا وفيليبي لويس وفالكاو إلى العالمية وجعل منهم نجوماً في مسارح أوروبا. فأتليتيكو مدريد لا يملك إمكانيات برشلونة وريال مدريد المادية التي تسمح له بشراء صفوة النجوم من أندية العالم الأضخم، لكنه يملك دييغو سميوني، الرجل الذي استثمر في الإمكانيات المتاحة له وأخرج عصارة قدرات لاعبيه بعد أن نجح في توظيفهم بأفضل صورة. قد لا يقدم سميوني كرةً جميلة أو ممتعة بأسلوبه الدفاعي التقييدي المعهود. لكنه وبفضل شخصيته الملهمة نجح ببناء الأتليتي الذي نعرفه اليوم.

قبل بدء منافسات الدوري الإسباني لموسم 20/2019 ألقى قائد نادي برشلونة الأول ليونيل ميسي خطاباً أمام جماهير النادي في الكامب نو في مباراة تحضيرية للموسم الجديد. وفي إحدى الأسطر كان يعبر عن حزنه لشكل خروج ناديه من بطولة دوري أبطال أوروبا في الموسم الذي مضى، لكنه أكمل بقوله «علينا تقدير إنجازنا المهم بتحقيق لقب الدوري الإسباني، وهو اللقب الثامن في أحد عشر عاماً! فهو إنجازٌ مهول لأي نادٍ في العالم، ولنا أيضاً، فنحن حقّقنا لقباً كبيراً. يمكن ألا نقدر قيمة هذا الإنجاز الآن، لكننا في السنوات القليلة القادمة سنلاحظ كم كان من الصعب تحقيق ما وصلنا إليه.» كلمات كهذه، هي مميزة وذو مغزى كبير بالفعل، خصوصاً وأنها آتية من ليونيل ميسي. إذ ذكرني بمعاناة سميوني ورجاله بتحقيق لقب الدوري المستعصي. فتمكنوا من الوصول لبعيد على الصعيد الأوروبي تكراراً، لكنهم لم يفلحوا بتحقيق لقب الدوري المحلي سوى مرة واحدة وبشق الأنفس في موسم 14/2013، وهو الموسم الذي كان كبار الإسبان برشلونة وريال مدريد يمران بفترات انتقالية وعدم استقرار إلى حد كبير.

ومع ارتفاع جودة كرة القدم وازدياد حرفية لاعبي الأندية المنافسة على الدوري الأسباني، مرّ سبعة مواسم طوال حتى أن عانق الروخي بلانكوس لقب الدوري المحلي مرةً أخرى. فكان موسم 21/2020 شاق ومرهق بالنسبة لسميوني ورجاله، إذ نجوا بأعجوبة في عدة مراحل من التفريط بالصدارة لإحدى الغريمين التقليديين.

الفضل بالطبع يذهب لسميوني ولحسّه التكتيكي العالي الذي استغله لبناء منظومة صلبة، قادرة على مواجهة أصعب المواقف الفنية والنفسية. لكن الفضل الأكبر يذهب للسكينة الفتّاكة والأفعى اللادغة التي افتقدها سميوني منذ رحيل راداميل فالكاو، لويس سواريز.

لا يمكن وصف موسم سواريز سوى بالاستثنائي. فرغم كبر سنه وثقله على أرضية الميدان، إلا أن الذهب لا يصدأ بالفعل، فهو من أعظم هدافي كرة القدم عبر التاريخ. فمسيرته في برشلونة أبعثت فيه الروح من جديد بعد حادثة العض الشهيرة عام 2014. فبعد أن أبدع في الدوري الإنجليزي مع ليفربول، جاء إلى الدوري الإسباني وأمضى أفضل فترة في مسيرته الكروية مع برشلونة لمدة 6 مواسم، شكل فيها أفضل وأمتع ثلاثي هجومي عرفته المستديرة "MSN"، وفاز بالحذاء الذهبي الأوروبي عام 2016، منهياً بذلك هيمنة رونالدو وميسي عليها، ووضع اسمه في المركز الثالث بقائمة ترتيب هدافي نادي برشلونة عبر التاريخ. إلى أن جاءت إدارة دنيئة للنادي الكتالوني، أرادت التخلص من سواريز بأي شكلٍ كان بسبب ارتفاع مرتبه السنوي الذي اقترحته هي بالأساس! إلى أن تخلصت من سواريز دون مقابل لغريمهم المباشر في الليغا أتليتيكو مدريد. النادي الذي قال مدربه سميوني لإدارته «هل هذا سؤال؟» حينما عرض عليهم لويس سواريز في الصيف الماضي.

لم تعجب لويس طريقة وأسلوب مغادرته لفريق الكتلان الذي أمضى فيه أفضل مراحل مسيرته، فذهب إلى أحمر العاصمة، حاملاً معه عُصارة خبراته وقدراته الفنية للانتقام من إدارة نادي برشلونة التي أنكرت الجميل. فسجل 21 هدف وصنع 3 في 37 مباراة، لكن الأهم ليس هنا. الأهم أن أهدافه عادةً ما حسمت الفوز بفارق هدف وحيد بالدقائق الأخيرة لفريقه، فكان دائم الحضور خاصةً في المباريات المستعصية، إذ أن آخر 16 هدف سجله في الدوري أكسب فريقه 21 نقطة في جدول الترتيب! هذا الرقم هو إنجاز مهول وتاريخي بحد ذاته، يجعلك تقف للحظة وتقول أن لويس سواريز هو من حقق الليغا الإسبانية وليس أتليتيكو مدريد!

فهل كان الروخي بلانكوس قادراً على تحقيق إنجازٍ كهذا دون وجود هدافٍ عظيم بحجم سواريز بحوزتهم؟! وهل كان لويس سواريز هو الجوهرة الضائعة التي افتقدتها كتيبة الحمر طوال السنين الماضية؟

لويس سواريز

هل يستيقظ بيريز على دمار ريال مدريد؟

لندن ـ «القدس العربي»:

تسيطر حالة من الغضب والغليان على أغلب مشجعي ريال مدريد، ليس فقط اعتراضا على السياسة التقشفية، التي يتبعها الرئيس فلورنتينو بيريز منذ سنوات، بل أيضا لاكتفاء القرش الأبيض بمتابعة عملية «اندثار» الجيل الذهبي للملكي، الذي احتل القارة العجوز ثلاث سنوات متتالية، باحتكار كأس دوري أبطال أوروبا في الفترة بين عامي 2016 و2018، آخرهم ثنائي قلب الدفاع التاريخي سيرخيو راموس ورافاييل فاران، ليتبقى من هذه المجموعة سبعة لاعبين فقط، مع ذلك، لم تحرك الإدارة ساكنا لجلب بدائل ولو بنصف مستوى أساطير العقد الماضي، ما أصاب عشاق اللوس بلانكوس بخيبة أمل مريرة حتى وقت كتابة هذه الكلمات، خوفا على مستقبل الكيان وقدرته على تحقيق الآمال والتوقعات، بالعودة سريعا إلى طريق البطولات، في وجود عناصر وقائمة أقل جودة وخبرة من السنوات الماضية.

سوبر ماركت

واحدة من التسريبات التي ضاعفت من احتقان الجمهور المدريدي، ما أثير عن نية الرئيس في تحويل الفريق إلى «هايبر ماركت»، بناء على معلومة متداولة في المحيط الإعلامي الأبيض، تُفيد بأن النادي على استعداد لبيع أي لاعب، باستثناء الأسماء التي لا يمكن المساس بها، وعلى رأسهم الحكومة كريم بنزيما والحارس تيبو كورتوا وباقي اللاعبين الذين سيعول عليهم المدرب القديم كارلو أنشيلوتي، والأمر لا يتعلق بالأزمة المالية الطاحنة، التي خرج منها الميرينغي برصيد إيجابي لم يتخط حاجز المليون يورو، بل للمضي قدما في الخطة المؤجلة من الصيف الماضي.

وتتلخص في جمع أكبر قدر من المال، لتمويل الصفقات الرنانة التي سيرتكز عليها مشروع العقد الجديد، أو ما يعرف إعلاميا «جيل الرابعة عشر»، الذي جاء من أجله ميستر كارليتو، أملا في استنساخ ما فعله في ولايته الأولى، حين أنهى عقدة ذات الأذنين «العاشرة»، بالفوز الهيتشكوكي على الجار العدو أتليتكو مدريد بأربعة أهداف مقابل في نهائي لشبونة 2014، وبأغلب القوام الرئيسي الذي وصل إلى قمة النضج الكروي في حقبة زين الدين زيدان الذهبية الأولى، في مقدمتهم الهداف التاريخي كريستيانو رونالدو، سيرخيو راموس، رافاييل فاران والرفقاء القلائل المتواجدين في «البرنابيو» حتى الآن، لكن على أرض الواقع، تظهر المؤشرات أن المدرب الإيطالي سيتعين عليه مواجهة مصير تلميذه النجيب زيدان، بمواصلة الاستفادة من عصارة خبرة رجاله المخلصين القدامى، إلى جانب إبراز خطط النادي وتوجهه في السنوات الماضية، بإعطاء الفرصة لمواهب الكاستيا والجواهر الشابة التي أنفق عليها النادي ملايين طائلة في آخر 5 سنوات، كواحدة من السلبيات، التي أخذت على زيزو في ولايته الثانية، لضعف مردود الشباب في حقبته، باستثناء المتفجر فيدريكو فالفيردي.

أحلام افتراضية

بحسب ما هو متداول في «آس» و«ماركا» وباقي المؤسسات القريبة من الريال، فإن الفكرة لدى الرئيس، تكمن في إنعاش الخزينة بأكثر من 100 مليون يورو هذا الصيف، أو بالأحرى خلال الأسبوعين المقبلين، ليقوم بتوجيه الضربة الكبرى، بالحصول على توقيع «الغالاكتيكوس» المستقبلي كيليان مبابي، من باب أن إدارة باريس سان جيرمان، ستكون مضطرة للتخلي عن الجوهرة المحلية، لتفادي خسارته بدون مقابل مع إطلاق صافرة نهاية الموسم الجديد، وإلى الآن لم يجمع سوى 50 مليون أو أكثر بقليل، من عملية إرسال براهيم دياز إلى ميلان بعقد دائم –مع أفضلية الاستعادة– وبيع رافاييل فاران لمانشستر يونايتد، وما يعزز صحة هذه الرواية، أن الريال ما زال مطالبا بالاستغناء عن اثنين لاعبين، منهم على الأقل أجنبي أو اثنين من الرباعي غاريث بيل، فينيسيوس جونيور، رودريغو وميليتاو وكوبو، إلا إذا لم يُعامل بيل كلاعب أجنبي، بموجب عقده المبرم قبل انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي بشكل رسمي العام الماضي، في النهاية، سيكون هناك 3 ضحايا خارج مشروع أنشيلوتي، اثنان بشكل إجباري من الـ27 المتاحين في الجولة الصيفية، فيما سيبقى الثالث رهنا لما سيحدث مع مبابي قبل غلق الميركاتو الصيفي والاستقرار على قائمة الـ25 لاعبا النهائية، التي سيعتمد عليها المدرب في حملة 2021–2022.

واقع «فالديبيباس»

بعيدا عن الشائعات والتقارير التفاؤلية المنتشرة في الصحف والمواقع الرياضية، فواقع الفريق لا يبعث نفس الارتياح لدى المشجعين، خاصة بعد ظهور نوايا الرئيس، بعدم إنفاق المال في أي صفقة جديدة هذا الصيف، عدا فرصة الانقضاض على كيليان، بما في ذلك خط الدفاع، فيما ستكون أشبه بالمقامرة، لضعف جودة وكفاءة الأسماء المتاحة الآن، من نوعية ميليتاو، ناتشو وفاييخو، مقارنة بثنائية راموس وفاران، حتى الوافد الجديد ديفيد آلابا، يُقال إنه أبلغ المدرب بعدم رغبته في شغل مركز قلب الدفاع، لافتا إلى أنه كان سببا في هروبه من بايرن ميونخ، لاعتقاده بأنه يقتل موهبته وإبداعه في مركزه المفضل كظهير أيمن أو كلاعب وسط ثالث، وحتى لو أجبرته الظروف على التراجع من أجل مصلحة الفريق –وهو المتوقع في أقرب فرصة–، فلن يعوض قيمة التفاهم والانسجام بين فاران ورامos المتد منذ عقد من الزمن، حتى شركائه الحاليين ليسوا في مستوى طموحات النادي الأكثر شعبية في العالم، عكس أندية البريميرليغ، التي تتسابق في دعم خطوطها الخلفية بصفوة المدافعين والمواهب الصاعدة بسرعة الصاروخ، كما فعلها ليفربول بالتوقيع مع براهيم كوناتي من لايبزيغ مقابل 40 مليون، وتشيلسي ضم كوندي من تشيلسي بأقل 10 ملايين، تزامنا مع وصول فاران إلى «مسرح الأحلام».

خطة السلاح ذو الحدين

صحيح التوقيع مع كيليان مبابي سيكون «ضربة معلم» من قبل بيريز، على الأقل سيصالح الجماهير ويستعيد بريقه الإعلامي ونسبة كبيرة من شعبيته، التي تضررت كثيرا بسبب تغيير سياسته، من كيان يرفع شعار «النجوم والأساطير وُلدوا من أجل ريال مدريد»، إلى ناد يعيش على أطلال الماضي، ولا يقدر سوى على انتظار الهدايا النادرة، إما بصفقات مجانية أو باللعب على الوتر الحساس، باستغلال اقتراب نهاية عقود الأسماء المستهدفة، كما فعلها مع تيبو كورتوا وإدين هازارد، حتى الأخير، صدم الجميع بمستواه المتواضع وكثرة انتكاساته، التي أبعدته عن الملاعب في أغلب الأوقات، منذ قدومه من تشيلسي عام 2019، لكن السؤال الذي يفرض نفسه وإجابته تطارد عشاق النادي في النوم، هو ماذا لو أصر ناصر الخليفي على بقاء مبابي لموسم آخر؟ أو رضخ اللاعب لضغوط وإغراءات ناديه الباريسي؟ فهل ستسير الأمور كما خطط لها بيريز خاصة بعد تفريغ الفريق من عناصر بحجم راموس وفاران وأسماء أخرى منتظرة بهدف إفساح المجال لكيليان وراتبه الباهظ؟ بالطبع لا، وستكون ناقوس خطر حقيقي لموسم عصيب على الميرينغي وجماهيره، بعد ظهور بوادر التشاؤم في أول اختبار ودي ملموس أمام رينجرز الاسكتلندي، الذي خسره الفريق في وجود الدفعة الدولية الأولى العائدة من العطلة الصيفية بنتيجة 2–1، في مباراة لعبت من طرف واحد، وهو بطل الدوري الاسكتلندي، الذي هدد الحارس أندريا لونجن في 17 مناسبة، مقابل فرصة يتيمة لنادي القرن الماضين فهل ستستفيق الإدارة على كارثة في نهاية الموسم؟ أم ستنجح الخطة ويأتي مبابي كخطوة أولى في مشروع «جيل الرابعة عشر»؟ دعونا ننتظر ما سيحدث في الأسابيع القليلة المقبلة.

فلورنتينو بيريز

ظافر الغربي

مع كل ميركاتو جديد ، ينطلق موسم الهجرة للدوري الإنكليزي الممتاز عند اللاعبين الفرنسيين

منجذبين بالجانب المالي ، و كذلك بأجواء المباريات و نوعية ثقافة كرة القدم عند مختلف جماهير الاندية الانكليزية ،،

في الموسم الفائت 33 لاعبا فرنسيا حطوا الرحال في ملاعب أنكلترا ، أما بالنسبة للموسم المنتظر

فقد سلطت الأضواء بشكل كبير على انتقال رافائيل

فاران الى مانشستر يونايتد قادما من ريال مدريد ،،

لم يكن واردا مغادرة الولد الدلل لزيدان في هذا التوقيت ،، لأن بين فاران و الملكي قصة عذبة انطلقت في 2011 قادما من فريقه لانس مقابل 10 مليون يورو ، فالمدافع الفرنسي الدولي أكمل عشر سنوات رائعة في « البيت الأبيض » بحصيلة ذهبية تحكي عن 18 لقبا منها ثلاثة في الليغا و أربعة تتويجات في دوري أبطال أوروبا ، سيرة ذاتية (تضاف اليها بطولة العالم مع الديكة في 2018) سيحملها معه فاران في سن الثامنة و العشرين و هو ينتقل الى أحد أعظم الاندية في العالم ، حيث سيجد في ملعب أولد ترافورد أجواء يتفرد بها جمهوره الرائع ،ربما تفوق ما كان يعيشه في البرنابيو ،،

اللافت للنظر أن مانشستر يونايتد كان متمسكا بانتقال فاران الى صفوفه في خطوة لتعزيز دفاعه

و نجح في مناوراته بتقديم عرض قيمته 50 مليون يورو (مقابل 70 مليون طلبها الريال عند بداية المفاوضات) مع راتب للاعب يبلغ مليون يورو شهريا أسوة بالمدافع الانكليزي الدولي و قائد الفريق هاري ماغير ،،

فرنسيون في

كانتونا هو الملك

قصة فاران مع مانشستر يونايتد ليست هي الأولى التي تكتب فصولها في أولد ترافورد، فذاكرة النادي العملاق تحتفظ باثني عشرة لاعبا مع تفاوت في تفاصيل النجاح بين لاعب و آخر و لو تجولت في شوارع مدينة الشمال و سألت عن اللاعب الفرنسي الذي أسر القلوب على مدار التاريخ ستكون الاجابة دون تردد : «الكينغ كانتونا » ، هكذا كان يلقب من قلب مسيرة المان يونايتد بين عامي 92 –97 !!

يأتي إيريك كانتونا و يخوض 182 مباراة و يسجل 82 هدفا كانت عنوان البهجة و السعادة ، فقد نثر الفرنسي الفرح في أولد ترافورد و جعل السير اليكس فيرغيسون يكسب التحدي بالمراهنة عليه كيف لا و هو الذي قاد الفريق لتذوق حلاوة الفوز بالدوري في موسمه الاول مع الفريق بعد انتظار استمر منذ عام 1967 !!

الق كانتونا تواصل على مدار خمسة مواسم وضع فيها حدا لسنوات عجاف عاشها الشياطين الحمر و جماهيرهم فقد اقترنت مواسمه الذهبية ، بأربعة ألقاب في الدوري(93–94–96–97) و اثنين في الكاس (94–96) ،،

اختير الكينغ كانتونا لاعب القرن من جماهير المان يونايتد رغم ان فريقهم قدم العديد من النجوم الكبار ، ما يؤكد قيمة هذا اللاعب الذي لا ننسى انه الى جانب موهبته العالية ، كان أيضا مثيرا للجدل بمواقفه و صراحته غير العادية و سلوكه مع جمهور الفرق المنافسة ،،

كانتونا كان رمزا ، أمر لا جدال فيه ، و لكن ذلك لا يحجب أسماء فرنسية أخرى لامعة تغنى بها مشجعو الشياطين الحمر مواسم عديدة ، مثل المهاجم «باتريس إيفرا » الذي خاض 379 مباراة بين عامي 2006–2014 سجل فيها 10 أهداف

و فاز بكل الألقاب المتاحة في الدوري (5) و الكاس (3) و درع الاتحاد (3) و دوري أبطال أوروبا (1) و كأس العالم للأندية (1) ،،

و من الأسماء التي قد لا تخطر على البال تلقائيا و لكن تركت بصمتها في تاريخ النادي نذكر الظهير الأيسر ميكائيل سيلفستر الذي لعب تسعة مواسم خاض خلالها 362 مباراة و سجل 10 أهداف و نسج في الذاكرة سجلا محليا يحسد عليه بخمسة ألقاب في الدوري و واحد في الكاس بينما دوليا فاز بدوري الابطال و كأس القارات ،،

الى جانب سيلفستر ، انتدب مانشستر يونايتد الحارس فابيان بارتيز (2000–2004) و المدافع لوران بلان (2001–2003) و الاثنان كانا ضمن كتيبة إيمي جاكي التي حققت لفرنسا لقبها العالمي الأول في تاريخها عام 98،

هناك أيضا المهاجم لوي ساها (2004–2008) الذي خاض 124 مباراة سجل فيها 42 هدفا ،،الذي كان مرشحا لمشوار حافل مع اليونايتد خصوصا في مستهل بدايته لدرجة انه جعل من الهداف الهولندي فان نستلروي احتياطيا ، لكن الاصابات لعبت دورا في ابعاده عن التشكيل الاساسي و اكتفى بلقبين في الدوري و آخر في دوري الابطال ،،

و نختم جولتنا مع فرنسيي مانشستر يونايتد بالنجم بول بوغبا صاحب أكبر صفقة انتقال في تاريخ النادي بمئة و خمسة مليون يورو !!

في صيف 2016 و بعد أن فتح قوسين جميلين في مشواره الايطالي مع يوفنتوس ، عاد بوغبا للبيت الذي ترعرع فيه بدءا من مركز التكوين عام 2009 قبل أن يبدأ مع الكبار في 2011 ،،

كانت الانتظارات كبيرة من عودته بذلك الرقم القياسي وقتذاك ، لكن حين تصطدم بمدرب مثل البرتغالي موريتيو ، فأنت لا تدري ماذا تخفي لك الأيام ، ليقتصر سجل بطل العالم حتى الآن على كأس انكلترا و بطولة دوري أوروبا ،،

أرسنال بيت الفرنسيين المفضل

سيكون فاران اللاعب الثالث عشر في تاريخ الشياطين الحمر ، و رغم أهمية الرقم و الاسماء الشهيرة التي تداولت على صفوف المان يونايتد و صنعت جزءا من مجده ، فان نادي أرسنال هو من يملك الرقم القياسي في عدد المحترفين الفرنسيين بتسعة و عشرين لاعبا !!

فعلا يبقى نادي أرسنال « المعقل التاريخي» و الوجهة الأكثر استقطابا للاعبين الفرنسيين في البريميرليغ ، رقم كرسّه دون شك بقاء الشهير أرسين فينغر مدربا للمدفعجية لأكثر من عقدين بين عامي 96 و 2018 ،،

تعددت الاسماء على مدار سنين ، و لكن ككل التجارب تحتفظ ذاكرة الجماهير ببعض منها و تخلد غيرها بقدر حجم العطاء و بقدر ما أسعدتها ، لكل بصمته في تاريخ النادي ، و هنا يقفز الى أعلى مرتبة في قلوب الجماهير المهاجم الفذ تيري هنري

الذي لعب ثمانية مواسم بين عامي 99 و 2007 كان فيها هداف البريميرليغ أعوام 2002 –2004–2005–2006 ما جعل منه أيقونة المدفعجية دون منازع ، صحيح انه لم يوفق أوروبيا مع فريقه لكنه فاز بكل الالقاب المحلية ،،

هنري كان الأشهر بين مواطنيه ، دون أن يقلل ذلك من المكانة الكبيرة التي حظي بها قائد الفريق باتريك فييرا أو لاعب الوسط روبير بيريز و زميله بطل العالم ايمانويل بيتي و المدافع ويليام غالاص

مانشستر يونايتد

وفاران آخر حبات العنقود

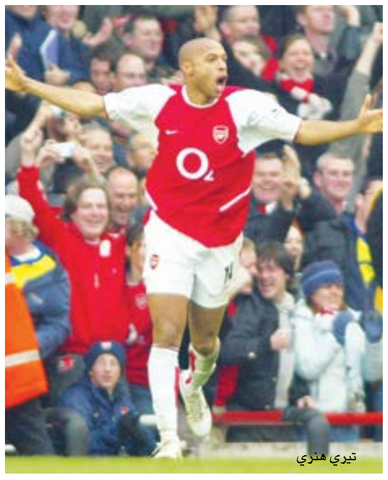
تيري هنري

مجتمع

معدلات الفقر في قطاع غزة الأعلى في الأراضي الفلسطينية

إسماعيل عبدالهادي

يزداد معدل الفقراء في قطاع غزة ارتفاعا حيث يعاني المزيد من المواطنين من الآثار السلبية المترتبة على الحرب الإسرائيلية الأخيرة، ولاسيما المئات من العمال ممن فقدوا عملهم بسبب تدمير الاحتلال العديد من المنشآت الصناعية والتجارية، وعدم تمكن هذه المنشآت من التعافي بسبب فرض الاحتلال الإسرائيلي حصاراً اقتصاديا إضافيا على غزة، ومنعه إدخال العديد من المواد الخام والسلع الأساسية على مدار ثلاثة أشهر متواصلة.

ووفق بيانات مركز الإحصاء الفلسطيني، فإن معدلات البطالة والفقر في غزة ارتفعت خلال الشهور الثلاثة الماضية إلى نسبة 89 في المئة، وهذه النسبة تعتبر الأعلى في الأراضي الفلسطينية، في وقت كانت معدلاتها قبل الحرب الأخيرة تصل إلى 75 في المئة.

ومنذ أن شنت إسرائيل عدوانها على قطاع غزة في 10 أيار/مايو الماضي، تواصل تشديد الخناق من خلال ضرب اقتصاد القطاع، فلم تكتف بتدمير عشرات المصانع والمنشآت التجارية، بل تواصل حصارها الاقتصادي وتمنع إدخال العديد من المواد الخام الضرورية للصناعات.

وحسب وزارة الاقتصاد في غزة، فإن أكثر من 300 مصنع قد أغلقت أبوابها بعد الحرب الإسرائيلية الأخيرة على القطاع، في حين أن هناك 100 منشأة صناعية تم تدميرها بشكل كامل من قبل طائرات الاحتلال، وباقي هذه المصانع أغلقت أبوابها بسبب منع الجانب الإسرائيلي إدخال المواد الخام لتشغيلها، بينما أدى تدمير وتوقف هذه المصانع إلى فقدان 350 عاملا مصادر رزقهم، الأمر الذي فاقم من معدلات الفقر في صفوف شريحة واسعة من الغزيين.

يقول سامي العمصي رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين، إن ما يزيد عن 80 في المئة من سكان القطاع، يعيشون تحت خط الفقر في ظل استمرار الحصار والإغلاق والاعتداءات والممارسات الإسرائيلية، لافتا إلى أن جائحة كورونا زادت من الأوضاع الإنسانية تعقيدا، بعد الإغلاقات المتكررة على مدار عامين للمحلات والأسواق التجارية.

وأضاف العمصي في تصريحات صحافية، إن المعطيات لدى نقابة العمال تشير إلى وجود أكثر من 150 ألف عامل في غزة، فقدوا خلال سنوات الحصار مصدر رزقهم، منهم نحو 30 ألفا انضموا لصفوف البطالة خلال الشهرين الأخيرين، فيما قدر إجمالي العاطلين عن العمل سواء كانوا عاملين وفقدوا مصدر رزقهم، أو غير عاملين أو خريجين ولم يحصلوا على فرصة عمل بأكثر من ربع مليون شخص، لافتاً إلى أن ذلك مؤشر اقتصادي خطير إضافة إلى ارتفاع معدلات الخريجين العاطلين عن العمل كل عام.

وأكد أن الحد من معدلات الفقر الخطيرة والمرتفعة جداً، يتطلب تدخلاً دولياً عاجلاً إلى جانب العمل من أجل رفع الحصار وتنفيذ مشروعات تستوعب الأيدي العاملة، إلى جانب ضرورة تنفيذ مشروعات تنموية من شأنها أن تقلل نسب البطالة والفقر المرتفعة.

وأشار إلى أن آلاف العمال الذين تقطعت بهم سبل العمل وانضموا إلى جيش البطالة بلا أي مصدر دخل، باتوا يعتمدون على المنحة القطرية كمصدر يعينهم على مواجهة مصاعب الحياة، في حين إن تأخير صرف المنحة، يفاقم أوضاع عشرات الآلاف من العمال المتعطلين عن العمل في قطاع غزة، والذين ينتظرون بفارغ الصبر السماح بصرف المنحة كي يتمكنوا من توفير احتياجاتهم الخاصة.

وتشكل عملية تأخير إعمار قطاع غزة ومنع إدخال المنحة المالية القطرية للأسر الفقيرة، عقبة كبيرة أمام سريان عجلة الاقتصاد، فرفض إسرائيل البدء بالإعمار وربط هذا الملف بالعديد من الملفات وأبرزها عودة الأسرى الإسرائيليين المفقودين في غزة، يكرس من الواقع الاقتصادي كما أن ذلك يزيد من معاناة المواطنين، الذين يعتمدون وعلى مدار ثلاثة أعوام متتالية على صرف المنحة القطرية التي تقدر بـ100 دولار شهرياً.

في سياق ذلك، قال الخبير في الشأن الاقتصادي معين رجب إن السلطة الفلسطينية تعرقل كل الجهود الدولية التي من شأنها أن تعيد إعمار ما دمره الاحتلال الإسرائيلي من منشآت سكنية واقتصادية في العدوان الأخير، كما أنها تفرض حصاراً مالياً على المؤسسات والجمعيات الخيرية العاملة في قطاع غزة.

وبين رجب لـ«القدس العربي»: إن القطاعات الصناعية والتجارية والزراعية والطبية والبنية التحتية في غزة، تلقت ضربة كبيرة وتكبدت إثر ذلك خسائر مالية فادحة، حيث وصلت الخسائر من جراء الدمار الإسرائيلي خلال 11 يوماً من الحرب إلى 450 مليون دولار، لافتاً إلى أن خسائر القطاع الصناعي والتجاري وحده وصلت خسائره إلى 30 مليون دولار، بعد قصف الاحتلال عدداً من المصانع والمرافق التجارية.

وأوضح أن الحصار الإسرائيلي وإغلاق المعابر، يسببان ضغطاً معيشياً يثقل كاهل العائلات الغزية، ويزيدان من رقعة العائلات الفقيرة والتي تنام جائعة، مطالباً بإنشاء صندوق دعم للعمال الفلسطينيين، تشارك فيه مؤسسات محلية ودولية لإسناد العمال أمام شبح البطالة والحصار والفقر، وانتشالهم من براثن ومستنقع البطالة الذي أغرقهم فيه الاحتلال على مدار سنوات طويلة.

وحذر الخبير الاقتصادي من انفجار في قطاع غزة والخروج عن السيطرة، جراء الأوضاع الإنسانية الكارثية والتضييق الإسرائيلي المتواصل على المواطنين، داعياً المجتمع الدولي بالضغط على الاحتلال لإنهاء الحصار الإسرائيلي المفروض منذ أكثر من 15 عاماً، وفتح المعابر المغلقة والبدء الفوري والسريع بإعادة الإعمار وتحريك عجلة الاقتصاد المتوقفة.

ويعيش قطاع غزة أزمة تضاف إلى التي تفرضها إسرائيل، حيث يئن من تداعيات جائحة كورونا، وهناك قلق كبير من دخول القطاع في موجة رابعة من كورونا بعد أن ألمحت الجهات الصحية والحكومة بفرض إجراءات وقائية قريباً، حيث يعتبر القطاع الخاص الأكثر تضرراً نتيجة جائحة كورونا، إذ انخفض عدد العاملين فيه بمقدار 38 ألفا منذ بدء تفشي الفيروس عام 2019 خاصة العاملين في مجال التجارة والمطاعم والفنادق، حيث انخفض عدد العاملين في هذه القطاعات إلى ما يقارب من 27 ألف عامل، بسبب ضعف التردد على هذه الأماكن وتكبد أصحابها خسائر مالية دفعتهم إلى إغلاقها.

فطيرة السمك بالبطاطس

المكوّنات

2 كوب حليب
نصف كيلو سمك فيليه
حبة بصل مفروم
فصّان ثوم مهروس
ورق غار
عود كراث مفروم
50 غم زبدة
ملعقة كبيرة زيت الزيتون
ملعقة كبيرة بقدونس مفروم
3 ملاعق كبيرة طحين
ملعقة كبيرة بشر الليمون
5 حبات بطاطس مسلوقة مقشرة ومقطعة
3 ملاعق كبيرة زبدة
كريمة الطبخ:
100 ملليلتر كريمة
2 ملعقة كبيرة حليب
نصف ملعقة صغيرة ملح
ربع ملعقة صغيرة فلفل أسود

طريقة التحضير

نهرس البطاطس المسلوقة مع الزبدة والملح والفلفل جيداً، ثم نضيف الكريمة ونخلط.

نضع الحليب في قدر على نار متوسطة حتى يبدأ بالغليان ثم نضيف السمك ونصف كمية البصل والثوم والغار ونخفف النار ونتركها لمدة 5 دقائق يغلي.

نذيب الزبدة في مقلاة ثم نضيف الزيت وباقي كمية البصل والثوم والكراث وملعقة من صلصة السمك بالحليب ونقلب حتى تتحمر ثم نضيف باقي كمية الصلصة ونتركها على نار خفيفة حتى تسمك.

نفسخ السمك بالشوكة ونضيف ملح وفلفل والبقدونس وبشر الليمون.

ندهن صينية الفرن بالزبدة ونضع السمك ثم نوزع البطاطس المهروسة فوقها وندهن الوجه بالقليل من الزبدة. ندخلها إلى الفرن حتى يحمر السطح.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

القهوة وصحة الدماغ

يعتبر شرب القهوة من الطقوس الصباحية الشائعة، بيد أن بحثا جديدا كشف أن تناول الكثير من القهوة يمكن أن يؤثر على صحة الدماغ. ووجد الباحثون أن الاستهلاك المفرط للقهوة يقلل من الحجم الكلي للدماغ ويزيد من خطر الإصابة بالخرف.

ولطالما اعتبر الإكثار من القهوة ضارا بالصحة، حيث أظهرت الدراسات العلمية على مر السنين العديد من الآثار الصحية للساخن الأكثر شعبية، بيد أن دراسة حديثة ربطت بين ارتفاع استهلاك القهوة بانخفاض حجم الدماغ الكلي وزيادة خطر الإصابة بالزهايمر (الخرف) وبالسكتات الدماغية.

الدراسة التي شارك فيه خبراء من جامعة كامبريدج وجامعة جنوب أستراليا ونشرتها مجلة طبية أكدت أن الذين يشربون أكثر من ستة فناجين من القهوة يوميا كانوا أكثر عرضة لخطر الإصابة بالخرف بنسبة 53 في المئة مقارنة بمن يستهلكون كميات أقل، بحسب موقع هايل براكسيس الألماني والذي يعنى بقضايا الصحة.

أهمية التوازن

وقام فريق البحث الدولي بفحص تأثير القهوة على أدمغة 17702 مشارك تتراوح أعمارهم بين 37 و 73 عامًا. ونظرًا لأن الاستهلاك العالمي يصل إلى أكثر من تسعة مليارات كيلوغرام سنويًا، فقد أراد العلماء البحث عن المخاطر الصحية المحتملة، فقاموا بتصوير حجم الدماغ، مع مراعاة مجموعة متنوعة من العوامل الطبية الأخرى. حيث أظهرت النتائج أن أكثر من ستة فناجين من القهوة يوميًا تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض الدماغ مثل الخرف والسكتة الدماغية.

ويقصد بالسكتة الدماغية، الحالة التي يتعطل فيها إمداد الدماغ بالدم، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى نقص الأكسجين وتلف الدماغ. على الصعيد العالمي، يعاني واحد من كل أربعة بالغين فوق سن 25 عامًا من سكتة دماغية خلال حياته.

قد تكون هذه الأخبار قاسية على عشاق القهوة، بيد أن هدف الدراسة كان ضرورة إيجاد توازن بين حبنا للقهوة والحفاظ على صحتنا. فالاستهلاك اليومي العادي للقهوة يمكن أن يكون فنجانا أو فنجانين من القهوة، ويمكن أن تزيد قليلا بحسب اختلاف البلدان والثقافات. فإذا وجدت أن استهلاكك للقهوة يقترب من أكثر من ستة أكواب في اليوم، فقد حان الوقت لإعادة التفكير في مشروبك التالي.

ويوصي الباحثون بضرورة الإكثار من تناول الماء مع فنجان القهوة، وهو ما قد يذكرنا بما كان يفعله أجدادنا بإحضار كوب من الماء مع فنجان القهوة، ما يدلل على معرفتهم بأهمية هذه العادة الصحية.

الحمل

لا تخبر الآخرين عن خططك وأعمل في صمت

الثور

أصبحت صاحب قرار في عملك

الجوزاء

تفرح اليوم للإطراء من قبل مدير العمل

السرطان

لا تهتم بغيرة أو حسد البعض على نجاحك

الاسد

يفتح هذا اليوم صفحة عاطفية أكثر جمالاً

العذراء

لقاءات عملية تغير حياتك المهنية

الميزان

تشعر بالملل وتحاول القيام ببعض النشاطات

العقرب

احذر من المواقف التي قد تجعلك متوترا

القوس

قرار يزعجك ويسبب لك تراجعاً مهنيا

الجدي

تحلّى بالصبر ولا تطل الخلافات

الدلو

لن تمرّ بأمور مخيّبة للآمال

الحوت

لا تنزعج بسرعة من مشاكلك العاطفيّة

جديد الطب

مذكرة أمريكية تحذر من متحورة دلتا

كشفت مذكرة رسمية أمريكية أن متحورة دلتا معدية بالدرجة نفسها لجدري الماء، وآثارها أخطر على الأرجح من الفيروس السابق بينما يبدو الأشخاص الذين يصابون بها ينقلونها سواء كانوا أو لم يكونوا تلقوا لقاحا.

ووردت هذه الملاحظات التي تستند إلى دراسات علمية، في مذكرة داخلية يجري تداولها حاليا داخل «مراكز الوقاية من الأمراض ومكافحتها» الوكالة الصحية الرئيسية في الولايات المتحدة.

وكشفت صحيفة «واشنطن بوست» هذه الوثائق وقد أرفقتها بتحذير لمسؤولين مفاده أن «الحرب تغيرت».

واستندت مديرة «مراكز الوقاية من الأمراض» روشيل ولنكسي إلى البيانات الواردة في المذكرة لتكرار التوصية قبل يومين بوضع كمامات في الأماكن الداخلية، للأشخاص الملقحين في المناطق عالية الخطورة.

وتعتمد المذكرة خصوصا على تحليل تم إجراؤه في بروفينستاون بولاية ماساتشوستس حيث رصدت نحو 900 إصابة بفيروس كورونا بعد احتفالات العيد الوطني في الرابع من تموز/يوليو، على الرغم من أن ثلاثة أرباع المشاركين في الحدث كانوا مطعمين.

مع ذلك «لم يكن هناك فرق» في قوة الفيروس بين الذين تم تطعيمهم وغير الملقحين، حسب النص نفسه، ما يشير إلى درجة عدوى واحدة أيا كان وضع التطعيم.

وقالت سيلين غوندر المتخصصة بالأمراض المعدية في جامعة نيويورك إن هذه الملاحظة «هي العامل الرئيسي في تغيير توصيات مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها» بشأن الكمامات.

وأضافت «إنها ليست لحماية الأشخاص الملقحين الذين ستكون لديهم إذا أصيبوا أعراض خفيفة أو لا تظهر أعراض على الإطلاق، بل نلاحظ أنهم يمكن أن ينقلوا العدوى إلى أشخاص آخرين».

وأوضحت جينيفر نوزو عالمة الأوبئة بجامعة جونز هوبكنز أنه يجب نشير إلى أن حادثة بروفينستاون وقعت في مكان كان فيه انتشار العدوى ضعيفا، لذلك التوصية الجديدة للسلطات الصحية بشأن الكمامة ما كانت لتطبق.

وتشير وثائق وكالة الصحة الأمريكية إلى أنه ليس من النادر أن يصاب أشخاص تلقوا تطعيما ضد الفيروس كما كان يعتقد سابقا، إذ سجلت «35 ألف إصابة أسبوعيا رافقتها عوارض من بين 162 مليون أمريكي تم تطعيمهم».

وبناء على دراسات دولية، كان مركز الوقاية من الأمراض رأى أولا أن كوفيد معد مثل الإنفلونزا لكنه أصبح مشابها لمرض جدري الماء – شخص مصاب بمتحورة دلتا ينقلها إلى ثمانية آخرين في المتوسط – ولا يزال أقل من الحصبة.

وتشير بيانات من كندا وسنغافورة واسكتلندا إلى أنه قد يكون أخطر ويسبب مزيدا من الإصابات التي تتطلب علاجا في المستشفى أو تؤدي إلى الوفاة.

وفاعلية اللقاحات متفاوتة. لكن في المذكرة الداخلية تقدر مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها أن خطر الموت أو الإصابة بمرض خطير مقسوم بتراجع بوجود لقاح، بمقدار عشر مرات وخطر الإصابة بثلاث على الأقل.

وهذا يعني أن اللقاحات فعالة بنسبة تسعين بالمئة ضد الأشكال الشديدة و67 بالمئة ضد الالتهابات.

ويرى الخبراء أن اللقاحات تبقى هي الحل للأزمة الصحية.

انتفاخ أسفل العين: وصفات بسيطة لمشكلة تؤرق الكثيرين

كثيراً ما تظهر لدى البعض منا انتفاخات تحت العيون وخصوصاً عند الاستيقاظ في الصباح. لكن لا داعي للقلق. فبحسب خبراء التجميل والصحة العامة فإن تلك الانتفاخات يسهل التخلص منها باتباع الخطوات البسيطة التالية.

فبعد يوم طويل من العمل والأنشطة المختلفة قد يستيقظ الشخص في صباح اليوم التالي بعيون منتفخة خصوصا في المنطقة تحت العينين والتي يسميها البعض «جيب العين».

وفي بعض الأحيان تتورم تلك المنطقة بشكل غير دائم سرعان ما يختفي خلال اليوم وتلاحظ تلك التورمات غالباً في الصباح بعد الاستيقاظ. إذا كان هذا هو الحال، فإن الأمر في الغالب هو حالة من احتباس الماء والذي يمكن تخفيفه باستخدام الكريمات وتقنيات التدليك والعلاجات المنزلية.

أما إذا كان التورم ظاهراً بشكل دائم، فهو علامة على ترهل الجلد أو تخزين الدهون وهنا لن يتمكن التدليك والكريمات من فعل الكثير. إذا كان هذا يزعجك كثيراً، فعليك استشارة الطبيب.

كيف تتطور الانتفاخات تحت العينين؟

بحسب الدكتور كيركيفارد، فإنه غالبًا ما تحدث الانتفاخات تحت العين بسبب اضطراب تدفق الدماء في الشبكة الليمفاوية في تلك المنطقة. ويمكن أن تكون أحد الأسباب أيضا الجفاف أو قلة النوم أو الإجهاد. أيضا قد يرجع ذلك إلى تقدم العمر حيث يفقد الجلد مرونته وتصبح العضلات والنسيج الضام في هذه المنطقة أضعف وبالتالي ينزلق للأسفل إلى جانب تزايد ترسب الدهون.

وعموماً لا داعي للقلق. فمع بعض نصائح العناية البسيطة، يمكنك التخلص من تلك الانتفاخات. موقع «وومن هيلث» (صحة المرأة) سأل خبراء التجميل الدكتور كيركيفارد والدكتور كورتز في هامبورغ عن الأمر. وكانت هذه توصياتهما للتخلص منها:

–استخدام الكريم الصحيح: إذا كانت الانتفاخات تحت العين مرتبطة بالعمر، فلا يمكنك التخلص منها. لكن كريم العين الجيد قد يساعد على تأخير ظهور أعراض الشيخوخة. وهنا يكشف الدكتور كيركيفارد عن المكونات المفيدة للبشرة في تلك المنطقة تحت العينين والتي تدخل في تركيب الكريم المفيد لتلك المنطقة:

الصبار: مفيد للغاية عندما يتعلق الأمر بالعناية بالبشرة. له تأثير مرطب ومضاد للالتهابات.

الريتينول: مفيد للغاية في تجديد الخلايا وخصوصا في هذه المنطقة، لكن يجب التعامل معه بحذر حتى لا يسبب ضرراً للعين نفسها خلال وضعه على الجلد ويفضل أن يكون التعامل بجرعات خفيفة.

الهيالورونيك: يمد البشرة بالرطوبة ويمكنه تقليل علامات الشيخوخة. لذا ينصح كثير من الخبراء بضرورة وجوده في كل خزانة حمام منزلي.

الكولاجين: يجعل الجزء الجلدي الموجود تحت العين مشدودًا وممتلئًا. ومع ذلك، وبمرور الوقت، يتناقص إنتاج الجسم للكولاجين وتظهر التجاعيد. وهنا يمكن للكولاجين الذي يتم توفيره من الخارج ترطيب البشرة وربما تأخير مظاهر الشيخوخة المبكرة. ويرى الخبراء أن أفضل طريقة لإضافة تلك المستحضرات هي باستخدام إصبع البنصر. إذ أن لديه قوة عضلية أقل من الأصابع الأخرى وبالتالي لن يسبب شداً في منطقة العين الحساسة عن طريق الخطأ.

–الحماية من الشمس: تعمل الحماية من الشمس على تقليل الانتفاخات تحت العينين. وبالتالي فإن واقي الشمس في هذه الحالة يقوم بعمل مفيد للغاية إذ يجعل البشرة تحتفظ بالرطوبة ولا تفقد مرونتها.

وينصح الخبراء باستخدام واقي الشمس كل يوم. بغض النظر عما إذا كان الطقس جيدًا أم سيئًا، إذ أن الأشعة فوق البنفسجية موجودة طوال الوقت.

– ضمادات تبريد العين: يقول الدكتور كيركيفارد إن «أي شيء يبرد ويرطب العين وما حولها هو جزء من الروتين الأمثل للعناية بالعيون». ويرى الخبراء أنه من الأفضل حفظ تلك الضمادات المستخدمة في تبريد العيون في الثلاجة قبل استخدامها حتى يتزايد تأثيرها الإيجابي في التخلص من الانتفاخات.

–أكياس الشاي: يقول الدكتور كورتز إن أكياس الشاي الأسود أو البابونغ المبردة من الثلاجة تبرد لك المنطقة بشكل جيد للغاية وتضمن انحسار الانتفاخ بسرعة. يحتوي الشاي الأسود والبابونغ على التانينات والفلافينويد وكلاهما له تأثير مضاد للأكسدة، كما يدعمان تأثير إزالة الاحتقان وتهدئة تلك المنطقة.

– ملعقة تبريد: لا توجد ضمادات جاهزة للعين؟ لا مشكلة.. إذ يمكن دائما اللجوء إلى الحيل القديمة واستخدام ملاعق طعام تم وضعها في الثلاجة وهذه ستفي بالغرض. ينصح الدكتور كورتس قائلاً :«قبل الذهاب إلى الفراش وبعد الاستيقاظ، غطِ عينيك بالملاعق المبردة لمدة 10 دقائق تقريباً».

–تدليك خفيف: يقول الدكتور كورتز إن التدليك الخفيف يحفز تدفق الدماء في تلك المنطقة بما يقلل الانتفاخ. لهذا، قم بالتدليك بلطف بإصبعين في حركات دائرية. ويجب الاحتراس من أن الضغط والسحب بشدة في المنطقة تحت العين قد يؤدي إلى إتلاف الجلد. (DW)

منوعات

عبقرية الفيلم الديني حقوق التميز محفوظة لمصطفى العقاد

كمال القاضي

لا يزيد عدد الأفلام الدينية والتاريخية على سبعة أفلام فقط لا غير، ومعظمها تم إنتاجه في فترة الخمسينيات والستينيات، وتولى إخراج غالبيتها المخرج إبراهيم عمارة، ذلك أنه كان مهتماً بتوثيق المراحل المهمة في التاريخ الإسلامي. ولأن السينما المصرية في مراحلها المُبكرة كانت تقوم على الأفكار التقليدية والفطرية فقد نشطت صناعة الفيلم الديني اعتماداً على الرغبة الجماهيرية في مشاهدة تلك النوعية من المُصنفات الدينية، خاصة التي تتناول مراحل انتشار الدعوة الإسلامية والفتوحات والانتصارات، ولأن بعض الدول المهتمة بهذه القضية كانت مُفتقدة لمقومات الصناعة السينمائية فقد لجأت إلى دعم الأفلام الدينية والتاريخية التي تُنتج في مصر.

وبحسب نجاح كل فيلم ومستوى الإقبال علية يتم التفكير في إنتاج فيلم آخر، أي أن الصناعة كانت بالطلب تقريباً فما إن يُحقق الفيلم النجاح المرجو ويصل إلى النتيجة المُستهدفة حتى تتكرر التجربة في موضوع آخر مماثل لا يخرج عن الإطار المرسوم للفكرة الخاصة ببداية ظهور الإسلام وانتشار الدعوة، أو قصة الهجرة من مكة إلى المدينة أو تناول سيرة أحد الصحابة أو غيرها من البطولات والفتوحات.

ولأن كتابة الفيلم الديني أو التاريخي تحتاج إلى جهد في جمع المعلومات والبحث عن طريقة خاصة وأسلوب معين للمعالجة فعادة ما كان كُتاب السيناريو والمخرجون يتهربون من مسؤولية الفيلم النوعي الحامل لهذه المواصفات، لذا قلت نسبة الأفلام الدينية بشكل ملحوظ وأصبحت بمقاييس الأفلام التجارية الأخرى لا تمثل أكثر من مجرد هامش صغير في دفتر أحوال السينما المصرية صاحبة التاريخ الطويل والتي بدأت مسيرتها قبل مئة عام ويزيد!

والأفلام المُسجلة في الأرشيف والمُعتد بها من حيث المستوى الفني والضمني والتاريخي تعد على أصابع اليد الواحدة فهي أقل من العدد المذكور، ولا تزيد عن كونها أفلام يتم عرضها تلفزيونياً في المواسم الدينية والأعياد، وكلها كما أسلفنا أنتجت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ولو شئنا الدقة وتحديد الفترة الزمنية بالضبط سنجد أنها نشطت في فترة الخمسينيات على وجه التحديد قبل أن تضاف إليها نوعيات سينمائية تاريخية في مراحل زمنية تالية كفيلم «الرسالة» على سبيل المثال للمخرج مصطفى العقاد وهو إنتاج حديث نسبياً، عاماً على الأقل لظهور شخصية سيدنا حمزة عم الرسول ضمن الأبطال الرئيسيين بخلاف ظهور ناقة الرسول لأول مرة على الشاشة، الأمر الذي مثل خلافاً كبيراً بين الفقهاء والأئمة والرقباء أيضاً.

مصطفى العقاد

ويعد فيلم «الرسالة» نموذجاً متطوراً للتناول الديني الخاص لهجرة الرسول والمسلمين إلى يثرب–المدينة من حيث الكتابة المُدققة في السيناريو وطريقة الأداء التمثيلي للنجوم والأسلوب الإخراجي للمخرج السوري الكبير، فضلاً عن المشاركة العربية لعدد من الممثلين الكبار، وهو الدعم الذكي للفكرة بتعميمها عربياً بدلاً من اقتصارها على النجوم المصريين فقط، بالإضافة إلى عمل نسخة أجنبية من الفيلم ذاته ليتمكن المشاهد غير العربي من متابعة الأحداث والإحاطة بجوانب القصة وملابساتها لتسهيل فهم المحتوى الديني والتاريخي على المشاهد العالمي الذي لا يجيد اللغة العربية ولا يحيط علماً بالثقافة الإسلامية وتفاصيلها وأبعادها.

وفي هذا الفيلم عمل العقاد على تعظيم الفكرة الرمزية للدين الإسلامي والشخصيات البطولية التاريخية، إذ اعتبر أن شخصية سيدنا حمزة هي الرمز الفدائي للمُقاتل الجسور، بيد أنه لم يتوقف عندها فقط، ولكنة استعرض بطولات أخرى لشخصيات مهمة كي لا يُصبح حمزة حالة فردية في تاريخ الفروسية والبطولات الإسلامية، وهو المعنى المُتضمن في سياق الأحداث والطرح الفلسفي غير التقليدي المُختلف عن بقية الأفلام السابقة في الإنتاج كـ«ظهور الإسلام» و«الشيماء» و«فجر الإسلام» و«هجرة الرسول» و«بلال مؤذن الرسول» وغيرها من النماذج القديمة لسينما الأبيض والأسود التي كرست لصورة نمطية اعتمدت على التأثير الشكلي ولعبت على الحس الوجداني للجمهور من دون أن تطرح الرؤية الواقعية بكل أبعادها بعيداً عن الصورة المثالية للأحداث. فعلى سبيل المثال تم تصنيف الممثلين وفق الشكل فمن يرتدون الزي الأبيض هم المسلمون ومن يرتدون الزي الأسود ويأكلون بشراهة ويتصرفون بهمجية ويتبنون العنف هم الكفار، وهي صورة تم توظيفها للإشارة إلى المُتغير السلوكي والحضاري والشكلي الذي يطرأ على من يعتنقون الإسلام فيصيرون أكثر رقياً وتحضراً وهو أمر إيجابي مفهوم، ولكن المشكلة تكمن في تلك المبالغات غير المنطقية لتحقير النموذج الكافر، وهو أسلوب لم يتبعه مصطفى العقاد في تدليله على تميز الشخصية المُسلمة وإنما جعل الجوهر الداخلي للشخصية الإسلامية هو الأهم والأكثر جذباً.

وبالنظر لشخصية هند بنت عُتبة قبل وبعد الإسلام نجد أنها لم تختلف كثيراً من حيث الشكل في الصورة السينمائية عند مصطفى العقاد، وإنما ما تغير وشعر به المشاهد هو التفاعل الداخلي للشخصية الدرامية التي تأملت وفكرت واختارت بناءً على قناعاتها الجديدة برغم تأزمها الشديد وحزنها لمقتل زوجها وأخيها وعمها وانتقامها من حمزة.

وهذا الملمح يعد من أهم علامات تميز الفكر السينمائي المتطور عند المخرج العربي الكبير مصطفى العقاد في تعامله مع الشخصية الدرامية، الرئيسية أو الثانوية بمواصفاتها الإنسانية من دون الحاجة إلى الرتوش الشكلية الاصطناعية لتحديد هويتها ومرجعيتها ودرجتها الثقافية، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، حيث تتحدد المواصفات كلها بما ينضح به المحتوى الداخلي، وهذا هو الفارق المُعتبر بين صياغة العقاد السينمائية العبقرية الناضجة وبين الصياغات الأخرى البدائية.

غاليري تانيت في مار مخايل

17 فناناً يجسدون وجهات نظرهم بحرية

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

غاليري تانيت يستعيد حضوره الفاعل في عالم الفن بعد الدمار البالغ الذي أصابه جراء تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب/اغسطس الماضي، إلى إصابات بشرية من ضحايا وجرحى بداخله وفي المبنى. أعاد الغاليري افتتاح مساحته في منطقة مار ميخائيل، يوم السبت 19 حزيران/يونيو، بمعرض يحمل عنوان «معاً» ومحوره مفهوم التعاون من خلال الشعور والفكر والتصرّف. ويستمر إلى 7 آب/اغسطس الجاري.

يشكل المعرض استجابة لنداء أطلقه الغاليري لتقديم مشاريع تنطلق من فكرة «معاً». 61 مشروعاً تلقتها اللجنة المكلفة بالاختيار. 17 منها شكلت معرض «معاً» وهي تمثل 17 وجهة نظر، و17 لغة فنية. وكل من وجهات النظر تلك كان لها توصيفها ومقاربتها الخاصة لفكرة «معاً». وكل وجهة نظر حملت تحدياتها، والتبني الخاص بها لفكرة أن نكون معاً من جديد. فبحسب صاحبة غاليري تانيت نايلا كتانة «لن نتمكن من إعادة الإعمار إلاّ معاً، والسماح لكل منّا بالتعبير عن حساسيته الخاصة وطرق صياغته لها».

المعيار الأساسي للمشاركة في المعرض أن يكون الفنانون مقيمون في لبنان. اختيار اللجنة وقع على أعمال للفنانين التالية اسماؤهم: علاء عيتاني، بتينا خوري بدر، كليمانس كوتارد هاشم، وكارولين تابت، كريستيان سليمان، كريستين كتاني، كريستيانا دي ماركي، الياس نفاع، البيش، جان مورو، ليتيسيا حكيم وطارق حداد، منار علي حسن، ميسا الخوري، نويل نصر وكليف مخول، ريان رعيدي، ساره صحناوي، طارق مراد وزينة أبو الحسن.

«معاً» عنوان وضِع بين أيدي المهتمين وتُركت لهم حرية التعبير، وكيف للفن في أن يترجم التضامن والحسّ الجماعي من خلال الشعور. وكذلك من خلال الفكر والتصرّف. ومن بين أهداف هذا المشروع إعادة الحياة إلى شارع مار مخايل، عبر تقديم سلسلة من الاكتشافات من خلال أعمال لم يتم عرضها من قبل فنانين ناشئين، وآخرين معروفين.

إن كان تفجير 4 آب/اغسطس ووباء كوفيد–19 قد شكلا تحدياً جماعياً على مستويات عدّة وفي طليعتها جعل مفهوم أن نكون معاً باطلاً، فإن معرض «معاً» أتى بمثابة عرض للتعاون في كافة المجالات. المعرض الذي يشكل عودة لغاليري تانيت بعد الترميم، استوحى عنوانه وتالياً مجموع الأعمال الفنية التي وضعت بمتناول المتلقين، من حاجة ماسة للمجتمع اللبناني للتلاقي. هذا المجتمع الذي تكاتفت بوجهه جائحة كورونا والأزمة الاقتصادية ثم تفجير المرفأ المريع، عاش تباعداً موصوفاً، وبالتالي يحتاج للتواصل بين مكوناته. وإلى جانب الأعمال الفنية التي اتسم بعضها بتعاون ثنائي، كان للفنانين نص مكتوب عبّروا من خلاله عن مفهومهم لفكرة «معاً».

في المعرض: حزام العفة وعشوائية هوياتنا ومعمول العيد يجمعنا

بالوقوف على محتويات المعرض ثمة مقاربات مفاجئة لفكرة «معاً». بيتينا خوري بدر رصدت السماء لزمن طويل وخلُصت إلى موزاييك يستدعي معاينته بدقة. رسمت السماء بين الفصول، ليلاً ونهاراً، وكذلك خلال تفجير المرفأ. وأطلقت على عملها تعريف «يوميات سما». أما ليتيسا حكيم وطارق حداد وهما مصوران لبنانيان، الأولى تعيش في لبنان والثاني في فرنسا، استدرجهما العمل على فكرة المسافة. تلك المسافة التي تفصل بين الناس وغالباً ما يكون البحر أبرزها. مسافة يحتمها السفر للدراسة أو البحث عن فرصة عمل. جذور فكرتهما انطلقت من «مغط» المسافة. واختبار قدرة التحمّل التي تتمتع بها. وهكذا تجسّدت الفكرة بصورة للبحر طُبعت على قماش وشُدّت من طرفيها للحد الأقصى المتاح. ومع انتهاء المعرض ستتحرر القماشة من رباطها للوقوف على التحولات الناتجة من الشّد. سارة صحناوي راحت إلى السيراميك مجسّدة حوض المرأة. من بين مجموعتها جاء حزام العفة الأكثر دلالة. فالفنانة أنجزت شكلا جذّاباً وعلمياً لحوض المرأة، ميزه القفل. فيما كانت للحوض أشكال عدة أخرى منفصلة ومتصلة. وفي رمزية عمل سارة صحناوي تبرز قدرات المرأة على الاحتمال، ومن خلال الحوض الذي يحمل الجنين تسعة أشهر، ويحمل الرجل خلال التواصل العاطفي. أما ميسا خوري التي عاشت مع جدتها، فصوّرتها بأوضاع مختلفة. تلك الصور شكّلت طريقة تواصل مع الجدة حين كانت عاجزة عن التعبير. إذاً الصور والفيديو فتحا خط تواصل بين الطرفين.

كريستيان سليمان ذهب باتجاه الأرض ليستحضر موضوع «السليق» الذي تشهده المناطق الجبلية، مع نهاية الشتاء وبداية الربيع. هذا النشاط الجماعي بدأ ينتعش من جديد في كافة مناطق لبنان مع الأزمة الاقتصادية والعودة للأرض. فقد جال كريستيان سليمان في كافة مناطق لبنان وجسّد موضوع «السليق» ضمن شبكة معبّرة. ومع النباتات أيضاً حيث تجسدت ثلاثة منها بمجسمات لثلاثة صناديق من المفترض أن تخبئ في داخلها الحظ الجميل. كارولين تابت وكليمانس كوتارد هاشم اختارتا لعملهما هذا نباتات لبنانية هي شقائق النعمان، والخبيزة والسيكلاما، مع ذكر استعمالاتها وفوائدها الصحية، إضافة إلى رمزيتها كونها جاذبة للحظ الجميل. وكان لطارق مراد أسلوبه في كيفية أن نكون «معاً» وببساطة جمع في وعائين مختلفين «ماء زمزم والماء المصلّى عليها» وترك للخلاط الكهربائي مهمة مزجهما.

إلى الفن الرقمي راحت منار علي حسن، ففي خلال الحجر المنزلي وجدت المسافات بيننا بهدف الحماية. فيما غريزتنا تدفعنا لنتقارب. ولهذا تضاءلت المسافات رغم التباعد عبر استخدام المتاح من سبل تواصل كزووم وسكايب وغيرها. لكن السبل المتاحة للتواصل تلك كانت تصطدم بعوائق محلية كضعف

ينفض الدمار ويعود لنكون «معاً»

مطلقة فهل يصل الفن ما قطّعته السياسة؟

الإنترنت وانقطاع الكهرباء، وهذا ما جسدته منار من خلال الفيديو. وإلى الجانب الروحاني غير الملموس والعلمي راحت كريستين كتّانة. جسّدت بخطوط متصاعد إصابات كورونا في لبنان بدءاً من شهر أيار/مايو 2020 وإلى شهر شباط/فبراير 2021. وبأسلوب تجريدي رسمت آثار الخط التصاعدي، وانعكاسه على حياتنا النفسية والجسدية والتواصل فيما بيننا.

من خلال المكعبات عمل الياس نفّاع على فكرة ضياع الخاص بالعام خلال الحجر. والسبب التواجد الكثيف على التطبيقات المتاحة في العالم الرقمي من زووم وسواه. الياس نفّاع المعماري بالأساس استعان بالخشب والزجاج وهما أساسيان في تكوين منازلنا، باحثاً عن الخاص والعام. من الهوية انطلقت كريستيانا دي ماركي لتطرح تساؤلات عن كيفية تشكلها، وعشوائيتها أحياناً. لجأت إلى طاولة الزهر، وحمل أحد أحجارها الـ43 خاصية المشكلة للإنسان. من تلك الخصائص العمر، والوضع الاجتماعي، ولون البشرة وغيرها. وكما يرمي الزهر على الطاولة بعشوائية، هويتنا عشوائية بتركيبها، وتالياً انعكاسها على حياتنا.

المصوران جان ومورو رصدا بتهكم قدرة الـ1000 ليرة لبنانية الشرائية وعلى مدى زمني. حاجيات ضرورية للحياة تمّ شراؤها بأسعار مختلفة تبعاً لسعر صرف الدولار. منها الدواء، والبنزين، والسجائر وغيرها. تراجعت قدرات الـ1000 ليرة وصارت تشتري نصف موزة، ونصف فنجان قهوة، ونصف قناع للحماية من كورونا. وهكذا تدهورت الليرة تباعاً في مراحل متعددة.

الفنان إليس اشتغل على موضوع «الثورة» مقدماً إياها من منظار مختلف اسمه «هابي فيبت». ثورة وقف فيها الشعب اللبناني منتظراً التغيير، ولكن... عبر الفيديو كانت لحركة الأقدام تابت اللتان تواصلتا كمصورتين مع مجموعة من المصورين في لبنان لتبادل الصور. بدأ التبادل يوم 19 حزيران/يزنيو. مهمة يومية يعمل خلالها غاليري تانيت على وصل الأسمين الذين تبادلا الصور من خلال «تومبولا». إنه مجتمع صغير للمصورين تجمعه شبكة وتبادل للأعمال. وهذا ينافي النظر للفن كقيمة استثمارية، ويؤكده كقيمة تواصلية. والسحب ينتهي في 7 آب/اغسطس مع نهاية المعرض.

نايلا كتانة

سألت «القدس العربي» صاحبة غاليري تانيت نايلا كتانة عن إمكانات الفن في نشر الأمل وبأن نكون معاً في مدينة تتراجع إلى الخلف وبسرعة؟

● بعزم وقوة وأمل عملنا الذي نعيش فيه علينا. لوحة تقول بمدى التشابك. إلى رندا ميرزا ولارا تابت اللتان تواصلتا كمصورتين مع مجموعة من المصورين في لبنان لتبادل الصور. بدأ التبادل يوم 19 حزيران/يزنيو. مهمة يومية يعمل خلالها غاليري تانيت على وصل الأسمين الذين تبادلا الصور من خلال «تومبولا». إنه مجتمع صغير للمصورين تجمعه شبكة وتبادل للأعمال. وهذا ينافي النظر للفن كقيمة استثمارية، ويؤكده كقيمة تواصلية. والسحب ينتهي في 7 آب/اغسطس مع نهاية المعرض.

لترميم الغاليري لمساعدة الفنانين ومساعدة ذاتنا أيضاً. لحق بنا ضرر بشري ومادي كبير. أصيب بعضنا بجروح حيث كنا أربعة أشخاص في الغاليري حين حدث التفجير، كما فقد آخرين حياتهم في هذا المبنى. بعد أشهر على التفجير بدأت أتعافى نفسياً وباشرت رحلة الترميم بتمهل، وكأننا كنا في مرحلة إعادة البناء. انتظرنا مستحقاتنا من شركة التأمين لكنها لا تزال متخلّفة عن واجباتها، لهذا كان تركيب الزجاج هو المرحلة الأخيرة. ومن ثمّ أطلقنا عبر وسائل التواصل دعوة للمشاركة في معرض ينطلق من فكرة أن نكون «معاً» للفنانين المقيمين في لبنان. الشرط الوحيد للمشاركة في المعرض أن يكون المشارك دارساً للفن أو للهندسة المعمارية، أو لفن السينما أو التصوير. تلقينا 61 طلباً، واختارت اللجنة المكلفة بالمهمة 17 مشروعاً، من بينها عدّة مشاريع عمل مشتركة بين اثنين. دون شك للفن قدرة بعث الأمل، هذا في الرد المباشر على السؤال. وقد استقطب المعرض عدداً كبيراً من المتفرجين خلال الافتتاح، خاصة وأنه شكل الافتتاح الأول الكبير في منطقة مار مخايل بعد الدمار. الحضور فاق التوقعات رغم الأزمات التي يمر بها الناس من كهرباء وبنزين وماء وسوى ذلك.

○ هل شكلت المشاريع التي وصلتكم مفاجأة في مكان ما؟

● هناك مستويات عدّة للأعمال التي تلقيناها، بعضها ضعيف، وبعضها الآخر يستحق الدعم ليتطور. بعضهم قدّم أفكاراً غاية في الخلق والذكاء للتعبير عن عنوان «معاً». رندا ميرزا ولارا تابت قدمتا فكرة جميلة. ومع بدء المعرض في 19 حزيران/يونيو يومياً يتم تبادل صورة بين فنانين. ويُختتم التبادل في 7 آب/اغسطس مع ختام المعرض.

○ هل يمكن القول أن الأعمال الفنية التي تمّ اختيارها للمعرض أشبعت فكرة «معاً» وشكلت رضى بالنسبة لك؟

● دون شك. المنطلق الفني الذي تمّ التعبير من خلاله عن الفكرة كان على درجة عالية من الأهمية. جميعهم كان لديهم بعد نظر في كيفية ترجمة مشاعره حيال فكرة «معاً».

○ هل أوحى لك المعرض بأمر ما للمستقبل؟

● نبحث في متابعة العمل مع عدد مختار من الفنانين المشاركين في معرض «معاً».

وأكدت صاحبة الغاليري نايلا كتانة كونيغ أنّ «من دون الرغبة في العيش معاً الإبداع، وتطوير المشاريع والأفكار جنباً إلى جنب، مع السماح لكل منّا بالتعبير عن حساسيته الخاصة وطرق صياغته، فإن التقدم غير ممكن. لذلك، من أجل إعادة البناء، علينا أن نعمل معا.»

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10341 الأحد 1 آب (اغسطس) 2021 – 22 ذو الحجة 1442 هـ
Volume 33 - Issue 10341 Sunday 1 August 2021

فرنسا: سيارتان فاخرتان في المزاد بعد اكتشافهما في حظيرة

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

في حظائر أحد المنازل البرجوازية في مدينة flèche الواقعة في إقليم Pays de la Loire الفرنسي، تم اكتشاف سيارتين من نوع Facel-Vega وهي ماركة فرنسية سابقة للسيارات الرياضية والفخمة التي ظهرت في معرض باريس للسيارات في تشرين الأول/اكتوبر عام 1954 واختفت بعد ذلك عقد من الزمن، في نهاية عام 1964 وقد غطاهما الغبار على مدى عقود.

الخبير الاستشاري في مجال السيارات بيير ألكسندر كويت لم يتردد في الذهاب لرؤية السيارتين حيث قرر مالكهما طرحهما للبيع بالمزاد العلني، في ايلول/سبتمبر وذلك خلال معرض السيارات والدراجات النارية القديمة، والذي يعد ثالث أكبر حدث من نوعه في فرنسا. ويعتبر بمثابة مرآة مهمة لأي سيارة قديمة للبيع.

وبالنسبة لكويت فإن السيارتين نادرتان جدًا لدرجة أن أي ترميم، حتى وإن كان باهظ الثمن، ليس مفتوحًا للنقاش.

وقبل السجادة الحمراء، سيتعين على سيارتي Facel-Vega المعنيتين المرور على أيدي صائغي الذهب. إحدى السيارات Facel 3 صنعت منها 625 نسخة انطلاقاً من عام 1963 ومزودة بمحرك فولفو رباعي الدفع. وهي ترقد في المكان منذ نهاية السبعينيات. وكذلك الحال بالنسبة لزميلتها الأخرى، وهي من نوع Facel 2 تم تقديمها عام1961 في 184 نسخة، حتى عام 1964.

وقد قطعت كلا السيارتين نحو 50 ألف كيلومتر مربع فقط. وهو ما جعل الخبير سابق الذكر يتحدث عن أن المزادات يفترض أن تبدأ بخمسين ألف وستين ألف يورو وتصل إلى ثمانين ألف يورو.

حضور عروض برودواي مشروط باللقاح والكمامات

تعتزم مسارح برودواي المغلقة منذ آذار/مارس 2020 بسبب الجائحة، فرض إلزامية التلقيح على الجمهور وطواقم العمل عند عودة العروض إليها في أيلول/سبتمبر.

وستُلزم مسارح برودواي الـ41 في نيويورك الجمهور والفنانين والطواقم العاملة في الكواليس والعاملين في المسرح بأخذ اللقاح للعروض كافة، بحسب ما كشفت رابطة «برودواي ليغ» في على أن تبقى هذه السياسة سارية حتى 31 تشرين الأول/أكتوبر.

كما سينبغي للجمهور وضع الكمامات طوال الوقت، ما عدا عند تناول الطعام «في الأماكن المخصصة لهذا الغرض» وفق ما أعلنت هذه الجمعية التي تضمّ مشغلي المسارح والمنتجين.

ويُعفى من هذه الشروط الأطفال دون الثانية عشرة والأشخاص الذين يظهرون أسبابا طبية أو «قناعات دينية راسخة تحول دون التطعيم» لكن يتعين في هذه الحالة تقديم نتيجة سلبية لفحص كورونا.

وتعود أغلبية الاستعراضات الموسيقية، من قبيل «مولان روج» و«تينا» و«هاملتون» إلى خشبة برودواي، الرئة الثقافية لنيويورك، اعتبارا من أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر، لكن إعادة فتح المسارح ستمتد طوال الخريف. وقد بدأ مجددا عرض حفل «سبرينغستين في برودواي» لكن عروضه محصورة بالجمهور الملقح.

وتنوي الهيئة المشرفة على المسارح إعادة النظر في هذه القواعد في أيلول/سبتمبر مع احتمال تخفيفها اعتبارا من تشرين الثاني/نوفمبر. (أ ف ب)

إبعاد أحد النزلاء عن القرية الأولمبية في طوكيو بسبب الخروج في نزهة

قرر مسؤولو اللجنة المنظمة لأولمبياد طوكيو 2020 إبعاد أحد النزلاء عن القرية الأولمبية لانتهاكه اللوائح المشددة لمكافحة فيروس كورونا المستجد، بعدما زار معالم المدينة.

وقال ماسا تاكايا، المتحدث باسم اللجنة المنظمة للأولمبياد أنه جرى سحب اعتماد نزيل القرية الأولمبية.

ولم يكشف تاكايا عن هوية النزيل، أو ما إذا كان من المشاركين في الأولمبياد.

وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها إبعاد أحد النزلاء عن القرية الأولمبية لانتهاك القواعد المنظمة، والتي تتضمن القيود على الحركة بسبب أزمة جائحة كورونا.

وقال تاكايا في مؤتمر صحافي السبت: «مغادرة القرية الأولمبية لزيارة معالم المدينة أمر لا يمكن التهاون معه، وبالتالي جرى سحب الاعتماد».

وأضاف: «لا يمكنني أن أفصح عن المزيد، أتخذ القرار أمس».

ولدى سؤاله عما إذا كان هذا الشخص من الرياضيين ، أوضح «لا يمكنني أن أقول، إنه شخص معني بالدوري الأولمبي». (د ب أ)

تركيا: حافلة ركاب خردة تتحول إلى فندق متنقل

حول فنيون أتراك في بلدية مدينة قيصري، حافلة ركاب خردة إلى فندق متنقل، وذلك لخدمة فرق الإطفاء العاملة في المناطق التي تشهد كوارث طبيعية.

وقال مدير دائرة الصيانة في بلدية قيصري الكبرى، سلمان صفا سورملي أوغلو، إنهم قالوا بتصميم الحافلة الخردة لتكون فندقا متنقلاً لخدمة فرق الإطفاء بالولاية.

وأضاف أن الحافلة كانت تخدم في نقل الركاب بالمدينة، وجاء وقت خروجها من الخدمة لتكون خردة، إلا أنهم قرروا عمل شيء مختلف منها لتخدم فرق الإطفاء التي تهرع إلى المساعدة أثناء الحالات الطارئة والكوارث.

وأشار إلى أنهم بعد الاستشارات قرروا تحويل الحافلة الخردة إلى فندق متنقل، ودرسوا كل التفاصيل التي يمكن أن توفر الراحة لأفراد فرق الإطفاء.

وأوضح أن الحافلة الفندق تسع لـ12 شخصا، وتحتوي على أسرّة نوم، وحمام، ودورة مياه، وفرن، وماكينة غسل الصحون، وأخرى لغسل الملابس، وثلاجة.

ولفت إلى أنه بفضل جهود الفنيين بدائرة الصيانة تمكنوا من تحويل الحافلة الخردة إلى أشبه بفندق متنقل وبمصاريف قليلة بلغت 150 ألف ليرة (نحو 18 ألف دولار).

(الأناضول)